

مَدَامُ بِأَسْمِ اللَّهِ

مَوْسُوعَةُ

الْغَزْوَاتُ الْكُبْرَى



غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى

الْمَكْتَبَةُ السَّلَفِيَّةُ

محمد أحمد باشميل

الكتاب الأول

من معارك الإسلام الفاصلة

غزوة بدر الكبرى

المكتبة السلفية - وطبعها

٢١ شارع الفتح بالروضة • القاهرة • تليفون ٨٤٠٣٦٤

{ حقوق الطبع محفوظة }

{ الطبعة الثامنة ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م }

غزوة بدر الكبرى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مَقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الثَّالِثَةِ

إِنْتِقَارُ الْإِسْلَامِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ

بِقَلَمِ

اللَّوَاءِ الرُّكْنِ

مُحَمَّدُ شَيْخُ خُطَابٍ

عَضُوُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ

- ١ -

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدى ومولائى رسول الله
وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ورضى الله عن قادة الفتح الإسلامى
وجنوده الغر الميامين .

قضى رسول الله ﷺ ، فترة حياته المباركة فى مكة المكرمة من
بعثته رحمة للعالمين إلى هجرته إلى المدينة المنورة فى الجهاد الأكبر
لوضع الأسس السليمة لدولة الإسلام موحداً من أجل الجهاد .

وفى هذه الفترة لاقى المسلمون أذى كثيراً : طوردوا وعذبوا ،
وأُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله .

وهاجر المسلمون إلى المدينة بأنفسهم تاركين ذويهم الأقربين تحت
رحمة أعدائهم فى خطر داهم مقيم ، فابتدأت فى المدينة فترة الجهاد
الأصغر من حياة سيد القادات وقائد السادات عليه أفضل الصلاة
والسلام ، فكانت حياته الغالية فى المدينة من هجرته إليها حتى التحاقه
بالرفيق الأعلى جهاداً من أجل التوحيد .

وأذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ،
فركبت خيل الله عليها فرسان النهار ورحبان الليل : البلايا تحمل
المنايا ، نواضح يشرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة
ولا ملجأ إلا سيوفهم ، لا مدد لهم ولا كمين ، يهدرون بالقرآن الكريم
وبذكر الله ويرددون في دعائهم : « يا نصر الله اقترِب » .
وفي بدر ، التقى الظلام بالنور ، والكفر بالإيمان ، والباطل بالحق ،
والتقت الجاهلية بالإسلام ، فجاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان
زهوقاً .

ودارت في بدر رحى معركة طاحنة بين فئتين غير متكافئتين :
فئة قليلة مؤمنة ، وفئة كثيرة كافرة ، فانتصرت الفئة القليلة على
الفئة الكثيرة بإذن الله : « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة » .

ولست أعرف معركة حاسمة من معارك الحرب الحاسمة ، كيوم
بدر ، انتصرت فيه العقيدة السليمة على العقيدة الفاسدة ، فكانت
العقيدة وحدها هي السلاح الأول والأخير للمنتصرين .

كان المشركون أكثر عدداً من المسلمين ، وكانوا أحسن عدداً وأغنى
في قضاياهم الإدارية : كان عدة أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة
وبضعة عشر ، وكان عدة المشركين ألفاً ، وكان مع المسلمين فرسان ،
وكان مع المشركين مائة فرس ، وكان المسلمون حفاة عراة جباة ، وكان
المشركون ينحرون يوماً عشراً ويوماً تسعاً من الإبل ، وكان المسلمون
من قبائل شتى ، وكان المشركون من قريش !! .

إنه انتصار عقيدة لا مرء ، فكيف كان ذلك ؟

لقد بدل الإسلام العقول والنفوس من حال إلى حال ! كان الرسول
القائد ﷺ مثلاً شخصياً رائعاً لأصحابه في التضحية والفداء .

كان المسلمون يوم بدر كل ثلاثة على بعير : فكان إذا كانت عقبة النبي ﷺ قال له صاحبه : « اركب حتى نمشي عنك » ، فيقول : « ما أنتما بأقوى على المشي مني ، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما » .

وعند نشوب القتال يوم بدر ، خرج ثلاثة من رجالات المشركين وقادتهم فدعوا إلى البراز ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار ، فكره رسول الله ﷺ أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الأنصار ، وأحب أن تكون الشوكة بيني عمه وقومه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا بني هاشم ! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم إذ جاؤوكم بباطلهم ليطفئوا نور الله » .

وفي المعركة كان النبي ﷺ يضرب بنفسه لأصحابه في الشجاعة والافتداف أروع الأمثال . قال الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنه : « لما كان يوم بدر وحضر البأس ، اتقينا برسول الله ﷺ ، وكان من أشد الناس بأساً ، وما كان أحد أقرب إلى المشركين منه » .

وكان رسول الله ﷺ في أثر المشركين بعد انهيار صفوفهم يتناو الآية الكريمة : ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ ، فأجاز على جريحهم وطلب مدبرهم .

وبعد المعركة سلم ﷺ وسلم الغنيمة للمسلمين الذين حضروا بدرأ ، وأخذ سهمه مع المسلمين ، لا فرق بينه وبين أى مسلم آخر . لم يستأثر بالدعة والأمن بل قاتل هو قتال الأبطال الصناديد أمام المقاتلين من أصحابه ، ولم يؤثر ذوى قرباه بالراحة والاطمئنان بل آثرهم بالنزال والطعان ، فلما انتصر المسلمون كان نصيبه من الغنائم نصيب أحدهم لا يزيد .

لقد كان الرسول القائد صاوات الله وتسليمه عليه أسوة حسنة لأصحابه بأعماله لا بأقواله ، وشتان بين الأعمال والأقوال ، فلا موعظة في كلام لم يمتلئ من نفس صاحبه ليكون عملاً ، فيتحول في النفوس الأخرى عملاً ولا يبقى كلاماً .

ذلك هو الرسول القائد ﷺ ، أما جنوده فكان أمرهم كله عجباً . آخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، فأخى مثلاً بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضى الله عنهما ، فقال سعد لعبد الرحمن : « إني أكثر الأنصار مالا ، فأقسم مالى إلى نصفين ، ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لى أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها » .

هذا مثال واحد للإيثار الذى كان نتيجة من نتائج هذا التأخى . وفى الطريق إلى بدر ، هتف متكلم المهاجرين : « والذى بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك حتى تنتهى إليه » . وهتف متكلم الأنصار : « فامض يا نبي الله لا أردت ، فوالذى بعثك بالحق ، لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما بقى منا رجل واحد » .

وبوم بدر ، قتل أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه أباه ، وكان أبو بكر رضى الله عنه مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ، وكان عتبة بن ربيعة مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين .

فى هذه المعركة التقى الآباء بالأبناء ، والإخوة بالإخوة .

خالفت بينهم المبادئ ، ففصلت بينهم السيوف ! ..

وفى يوم بدر تسابق المسلمون إلى الشهادة ، وكان كل واحد منهم
يتمنى أن يموت قبل صاحبه ، وكان كل واحد من المشركين يتمنى
أن يموت صاحبه قبله ، وكان الشهيد يردد وهو يحتضر : « وعجلت
إليك رب لترضى » .

وبعد معركة بدر ، استشار النبي ﷺ أصحابه فى مصير الأسرى ،
فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه « أرى أن تمكّن من فلان - قريب
عمر - فأضرب عنقه ، حتى يعلم الله أنه ليست فى قلوبنا هودة
للمشركين ، وهؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم » .

وكان فداء أسرى بدر أربعة آلاف إلى ما دون ذلك ، فمن لم يكن
عنده شيء كان فداؤه أن يعلم غلمان الأنصار الكتابة .

هكذا كان جنود الرسول القائد عليه الصلاة والسلام يؤثرون على
أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة ، ويؤثرون عقيدتهم على آبائهم
وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم وأموالهم ، بل يؤثرون عقيدتهم على
أنفسهم ، فيتسابقون إلى الشهادة ، فيقول أحدهم للآخر : « هنياً لك
الشهادة » ، وتقول الأمهات والأخوات والزوجات حين يعلمن باستشهاد
ذويهن : « الحمد لله الذى أكرمهم بالشهادة » .

وهؤلاء قادة وجنوداً ، يبنون للمستقبل ، فيعتبرون العلم فريضة
لا نافلة ، ويعتبرونه عبادة لا تجارة ، ويعتبرونه غاية لا وسيلة .. ! .
كانوا إخوة فى الله يحب أحدهم لأخيه ما يحبه لنفسه ، وكانوا
كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، وكانوا كالجسد السليم المعافى
إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ! ..

هؤلاء قادة وجنوداً ، كانوا يبنون ولا يهدمون ويعمرون ولا يخربون
ويفعلون ولا يقولون ..

كان انتصار المسلمين في بدر ، إيذاناً بمولد دولة الإسلام عملياً ،
فقداد المسلمون بعدها العالم إلى الخير والصلاح والمدينة والنور قروناً
طويلة .

وكان انتصارهم بالإسلام ، ولن ينتصروا بغيره ، وتاريخ المسلمين
خير دليل على ذلك .

كان العرب في الجاهلية متفرقين فتوحدوا بالإسلام ، وكانوا
أعداء فألف الإسلام بين قلوبهم ، وكانوا على شفا حفرة من النار
فأنقذهم الإسلام منها ، فأصبح العرب بالإسلام (وحدة) رصينة ،
و (دولة) عظيمة و (أمة) متماسكة و (قوة) ضاربة وجدت لها متنفساً
بالفتح الإسلامي العظيم ، فسارت رايات العرب المسلمين تهدي الدنيا
وتحضّر العالم وتمدّن الناس ، فامتدت . دولة الإسلام من سيبيريا
شمالاً إلى فرنسا غرباً إلى الصين شرقاً إلى المحيط جنوباً .

كانوا ضعفاء فأصبحوا بالإسلام أقوياء ، وكانوا أعداء فأصبحوا
إخوة ، وكانوا مستعبدين فأصبحوا فاتحين .. ! .

ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ،
فأصبحوا مستعمرين مستعبدين أذلاء غثاء كغثاء السيل ، والله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

أصبح هؤلاء الخلف يستوردون المبادئ من الشرق والغرب مبهورين
متخاذلين ، وأصبحوا يتعشقون تراث الأجنبي ويحتقرون تراثهم ،
ويتدارسون تاريخ أعدائهم ويتركون تاريخهم وراءهم ظهيراً ، حتى
أصبحنا نسمع بعض العرب والمسلمين يقولون ويكتبون ويذيعون علناً

باسم الثقافة وباسم التحرر ما لم يستطع أن يقوله أو يكتبه أو يذيعه
المبشرون وأعداء الإسلام !! ..

وإذا كان أكثر المستشرقين قد بذلوا قصارى جهودهم لتعميق آثار
الاستعمار الفكرى بين العرب والمسلمين ، فما عذر المستغربين من
العرب المسلمين ؟ ! .

إن الدعوة التى تبناها المبشرون وعملاء الاستعمار وأذنابهم فى أبعاد
الدين الإسلامى عن الحياة ، دعوة مريبة هدفها إبعاد العرب عن الناحية
المعنوية فى حياتهم ، فالعرب جسم والإسلام روحه ، ولا بقاء للجسم
بدون روح .

والدعوة التى تبناها هؤلاء لاستعمال الغامية بدل العربية الفصحى
دعوة مريبة ، هدفها أن يجعلوا من الأمة العربية أمماً ، ومن الشعب
العربى شعوباً ، لأن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ولغة الرسول ﷺ ،
ولغة قادة الفتح وجنوده ولغة الفكر وجنوده .

والدعوة التى تبناها هؤلاء لإشاعة الفحشاء والتخث فى العرب
خلافاً لعقيدتهم وتقاليدهم ، دعوة مريبة لاتخدم غير الاستعمار وأعداء
العرب وإسرائيل ، وكيف تنتظر من الديوثين والبغايا أن يبذلوا
أرواحهم فى ميادين الشرف والفداء ؟ ؟ !!

إنى أتحدى كل من يزعم أن هناك عقيدة أفضل من عقيدتنا ،
وأن هناك رجالاً أعظم من رجالنا وأن هناك تاريخاً أنصع من تاريخنا ،
وأن هناك تراثاً أروع من تراثنا ..

والذين يزعمون أنهم طردوا الاستعمار العسكرى والاستعمار
السياسى والاستعمار الاقتصادى من بلادهم ، ثم يعملون ليلاً ونهاراً

على ترسيخ الاستعمار الفكري في بلادهم ، لم يصنعوا شيئاً أكثر من إخراج الاستعمار من باب ضيق ، وإدخاله بمحض إرادتهم من باب فسيح .

نطرد الاستعمار ثم نترجم قوانينه ونعمل بها نصاً وروحاً ، فنشيع في بلادنا فجور القانون ... !

ونتخلص من الاستعمار ثم نستورد مبادئه ونطبقها حرفياً .
فنستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

ونحارب الاستعمار ثم نستورد منه التحلل الخلقي ، فنفسد جيلنا الصاعد ونشيع بينهم الفاحشة والمنكر ! عقوبة السارق في الإسلام قطع اليد ، فيقول عن ذلك الجهلاء منا : أن ذلك رجعية ، وهذا همجية وهو لا يتفق مع روح القرن العشرين !!

وعقوبة السارق في أعظم دول الاشتراكية الإعدام ، فيقول عن ذلك الجهلاء منا : هذه تقدمية ، وهذه مثالية ، وهذا يتفق مع روح القرن العشرين !!

فلمصلحة من هذا التهافت الذليل ؟؟ !! وأى استعمار فكري نشيع نعانى ؟؟ !!

أن الذين يدّعون بأن السلوك السياسى لا علاقة له بالسلوك الشخصى التزاماً بالمبادئ الخلقية الرفيعة ، واهمون كل الوهم أو أغبياء كل الغباوة أو عملاء كل العمالة .

والذين يريدون إشاعة الفحشاء والتخثث في أبنائنا لا يخدمون غير الاستعمار وإسرائيل .

إن عقيدتنا المستمدة من رسالة السماء ، وتاريخنا الذى هو التطبيق العملى لتعاليم الإسلام ، ورجالنا الذين هم الترجمة العملية لروح

الإسلام ، وراثتنا الذى هو حصيلة الفكر الإسلامى ، هى أعظم وأرفع وأنصح وأروع وأنقى وأطهر وأسمى وأبهر من كل ما وجد على الأرض من عقائد وتواريخ وتراث .

وأتحدى كل من يدعى خلاف ذلك ، إلا أن يكون جاهلاً أو غيباً أو عميلاً ، فلا يعجى شئ مع الجهلاء والأغبياء والعملاء ..
إن الماضى هو أساس الحاضر والمستقبل ، فكيف ننكر لماضيـنا المجيد ؟ .

وهل هناك عاقل يبدأ ببناء البنيان أول ما يبدأ من قمته ؟ !!
إننا سدنا بالإسلام عقيدة وعملاً وتضحية وفداء ، ولن نسود بغيره أبداً مهما نحاول من محاولات ..
إن الإسلام مفخرة الدنيا ومعجزة العالم ، فيجب أن نهاجم به أعداء الإسلام .

يا أتباع محمد ﷺ فى كل مكان من دار الإسلام :
يجب أن نهاجموا بالإسلام أعداء الإسلام ، فلا يقولن قائل بعد اليوم ، إننى أَدافع عن الإسلام ، لأن الإسلام أقوى من أن يدافع عنه إنسان : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل نخوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ .
تمسكوا بالإسلام بما فيه من تكاليف التضحية والفداء ، وبذلك وحده تعودوا إلى قيادة العالم كما فعل أجدادكم من قبل ، وصدق الله العظيم : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ .
رددوا معى ما كان يردده السلف الصالح من رجالنا الغر الميامين :
﴿ يا نصر الله اقترب ﴾ .

إننا مع المسلمين في كل مكان على أعدائهم في كل مكان فهم
إخوتنا في الدين ، وهم إخوتنا في الله ، والله يقول : ﴿ إنما المؤمنون
إخوة ﴾ ، وعلينا واجب نصرهم ، والذي لا ينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً
عليه ألا يدعى الإسلام .

إننا مع لغة القرآن ، لغة النبي ﷺ ، ولغة العرب الفاتحين ،
على دعاة العامة الذين يتظاهرون بالشعارات الزائفة ويخفون ما
لا يظهرون ..

وكل من لا يكون مع مبادئ القرآن ولغة القرآن ، منحرف
عن الحق ، يعمل لحساب الاستعمار وإسرائيل ولو تظاهر بالعروبة
والإسلام .

وإلى هؤلاء المنحرفين ، أقول مذكراً ومنذراً ما قاله الله في القرآن
الكريم : ﴿ وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم
كيف فعلنا بهم ، وضربنا لكم الأمثال ﴾ .

وحد الله العرب من المحيط إلى الخليج تحت لواء الإسلام ، وجعل
وحدتهم قاعدة رصينة لوحدة المسلمين من المحيط إلى المحيط ، فالعرب
بالإسلام كل شيء ، والعرب بغير إسلام لا شيء ..

والحمد لله كثيراً ، وصلى الله على سيدى ومولائ رسول الله : سيد
القادات وقائد السادات ، ورجل الرجال وبطل الأبطال ، ورضى الله
عن أصحابه وعن كل من يخدم العرب والإسلام بأمانة وإخلاص .

مقدمة المؤلف عن الطبعة الثانية

الحمد لله نستعينه ونستهديه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، ونصلي ونسلم على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الذين نصره في كل موطن وحين .

وبعد ، لقد كان صدور كتابنا هذا - وهو الكتاب الأول من سلسلة معارك الإسلام الفاصلة - تجربة شجعنا نجاحها على المضي فيما اعتزمنا القيام بتنفيذه من إصدار سلسلة كاملة عن معارك الإسلام الفاصلة .

لقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في شهر محرم ١٣٨٣ ، ولم يأت شهر شوال من السنة نفسها إلا وقد نفذت نسخ هذه الطبعة ، فشجعنا ذلك النجاح على المسارعة إلى إصدار الطبعة الثانية هذه ، التي أضفنا إليها زيادات بلغت أكثر من ضعف الطبعة الأولى .

فقد كانت صفحات الكتاب من الطبعة الأولى لا تزيد على ١٦٠ صفحة ، بينما بلغت صفحات الكتاب في هذه الطبعة (كما يرى القارئ) أكثر من ٢٩٦ صفحة ، كما شجعنا ذلك النجاح على المسارعة إلى إصدار كتابنا (غزوة أحد) وهو الكتاب الثاني من سلسلة معارك الإسلام الفاصلة ، وعلى المضي في إخراج كتابنا (غزوة الأحزاب) وهو الكتاب الثالث من هذه السلسلة ، والذي سيأخذ طريقه إلى المطابع قريباً إن شاء الله

فشكراً لله أولاً وآخراً ، وله الحمد والمثنة ، على ما تفضل به علينا
من نعمه الظاهرة والباطنة ، ونسأله تعالى أن يمدنا بعونه ويسندنا
بتوقيفه ، وأن يحمينا من مضلات الفتن ومزالق الغرور . وأن يجعل
أعمالنا خالصة لوجهه تعالى ، وأن يكون نصيرنا - مادمنا على الحق - إنه
نعم المولى ونعم النصير .

محمد أحمد باشميل

مكة المكرمة : ربيع الثاني ١٣٨٤ هـ

آب - أغسطس ١٩٦٤ م

مَقَدِّمَةُ الطَّبَعَةِ الْأُولَى

اللهم صل على محمد سيد الكافحين وإمام المجاهدين وعلى آله
الطيبين الطاهرين وأصحابه الأوفياء الصامدين .
اللهم نستمد منك العون والتوفيق .

وبعد ، لقد عزمنا (بعون الله تعالى) على وضع سلسلة تاريخية
مفصلة عن معارك الإسلام الفاصلة ، التي قلبت موازين القوى وغيّرت
مجرى التاريخ بالنسبة لقيام الدولة الإسلامية وانتشار العقيدة التي
ارتكزت عليها وحملت أوائها في العالمين .

إن هذه السلسلة لن تقتصر على المعارك الكبرى التي تم الفوز فيها
للإسلام فقط ، كمعركة بدر الكبرى .

بل سنتناول كبريات المعارك الهائلة الشهيرة الأخرى التي خاضها
المسلمون وتمت الغلبة فيها لأعدائهم كمعركة أحد في يثرب ، ومعركة
بلاط الشهداء في فرنسا .

والهدف الأول من وضع هذه السلسلة هو إزاحة الستار (وخاصة
أمام الشباب المثقف ثقافة عصرية) عن جزء ثمين من كنوز تاريخنا
الإسلامي الزاخر بالبطولات والتضحيات ، والذي تأمر عليه العدو من
الخارج بالاتفاق مع فئات آثمة في الداخل .

فئات اصطنعها العدو الخارجي (أيام حكمه) وأجلسها أمام قيادات
التربية والتعليم ، وجعل لها الهيمنة على مركز الصحافة وقيادة الإذاعة
والنشر .

فأجرت في حق تاريخنا الإسلامي إجراماً كبيراً ، إذ طمس
(في فصل المدرسة ومدرج الكلية) ، عن عمد وإصرار ، كل جانب
مشرق من جوانب هذا التاريخ العظيم ، وخاصة جانب البطولة والفداء
والنجدة الذي يتمثل في المعارك الفاصلة التي خاضها الإيمان ضد الكفر ،
وقادها العدل ضد الطغيان ، والتي تجلى فيها زخم العقيدة وشرف المبدأ .
فقد رأينا ولا نزال نرى حتى هذا اليوم ، هذه الفئات التي شاء لها
الأجنبي أن تضع (حسب وحيه ورغبته) برامج التعليم ومقررات التدريس
للنشء الإسلامي في كثير من أقطارنا الإسلامية .

نعم رأينا ولا نزال نرى هذه الفئات الآثمة ، تجعل هذا الجيل
الناشئ يتلهى (في مراحل دراسته التاريخية) ، بالنظر في وقائع تاريخ
مبتوت الصلة كلياً بتاريخنا الإسلامي .

وإذا ما تعرضت هذه الفئات الخطيرة للتاريخ الإسلامي ، (سواء
تدريساً أو محاضرة أو إذاعة) لا تتعرض (في الغالب) إلا لما كان نزاعاً
واختلافاً بين المسلمين .

كالحوادث المؤسفة التي حدثت أيام عثمان وبعد موته ، بين علي ومعاوية^(١)

(١) هو معاوية بن أبي سفيان ، صخر بن حرب الأموي القرشي ، أول من وضع
أسس الدولة الأموية العظيمة في الشام ، ولد بمكة وأسلم يوم فتحها ، وكان أحد كتاب
الوحي ، تولى قيادة إحدى الكتائب تحت قيادة أخيه يزيد في حرب الروم في الشام ، بأمر
من الخليفة أبي بكر ، كان على رأس الجيوش التي فتحت بيروت وصيدا وعرة وجبيل ،
قاد الجناح الأكبر من المعارضة المسلحة لخلافة علي ، بعد أن اتهمه بدم عثمان ، بابعه
المسلمون بالخلافة العامة سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وذلك بعد وفاة أمير المؤمنين
علي ، فقد تنازل له الحسن بن علي وبابعه بالخلافة لإطفاء للفتنة وحققا لدماء المسلمين ،
كان معاوية أحد عظماء الفاتحين في الإسلام ، فقد وصلت طلائع جيوشه إلى شواطئ
الحيط الأطلسي في الشمال الإفريقي ، وفي أيامه تم فتح السودان ، وكان أول من حاصر
القسطنطينية (أسطنبول) براً وبحراً ، ومعاوية هو الذي قام بإنشاء أول أسطول بحري

وعائشة^(١) وطلحة والزبير رضى الله عنهم أجمعين .

فتطلب هذه الفئات في ذكر تلك الحوادث وتنفلسف في أسبابها ومسبباتها ، وتنشرها بين الطلبة تدريساً ومطالعة ومحاضرة ، وكأنها وحدها هي التاريخ الإسلامى .

بينما تهمل إهمالاً كاملاً . باقى الجوانب الوضاعة المشرقة التى يمكن أن تكون حافزاً للشباب المسلم على السير فى طريق الرجولة والتضحية والاستقامة تحت لواء القرآن .

ولا شك أن هذا عمل تخريبي مقصود ، سارت عليه هذه الفئات الآتية فى المدرسة والجامعة ، منذ عشرات السنين ، لتثبيت دعائم الاستعمار الثقافى والفكرى - الذى هو الاستعمار الأكبر - والذى قرر الأعداء أن يكون خليفة الاستعمار السياسى - الذى هو الاستعمار الأصغر وهذا ما حدث فعلاً ، عندما رحل الأجنبى بجلدته عن أكثر الأوطان الإسلامية .

إن القصد من إهمال التاريخ الإسلامى - إلا ما كان نادراً ، أو خلافاً بين المسلمين أو مجوناً ولهوأ من بعض حكامهم - هو قطع الصلة

= للإسلام ، وهو أول حاكم مسلم قام بأول حملة بحرية ضد الرومان فى البحر الأبيض المتوسط ، وقام أسطوله باحتلال جزائر كريت ورودرس وقبرص ، وجزر الدردنيل ، ويقدر بعض المؤرخين أسطول الإسلام الذى أنشأه معاوية بألف وسبعمئة سفينة يعيب عليه الكثير أخذه البيعة لابنه يزيد الذى لم يكن أهلاً لها ، ومطاعن الشيعة فيه أكثر من أن تحصى وغلاتهم يعتبرونه كافراً ، مات معاوية بدمشق سنة ستين من الهجرة (١) هى أم المؤمنين ، عائشة بنت أبى بكر الصديق غنية عن التعريف ، أفقه نساء المسلمين وأكثرهن علماً بالدين والأدب ، تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانية من الهجرة ، كانت أكثر النساء حديثاً عن رسول الله . روى المحدثون عنها ٢٢١٠ حديثاً . كانت أحب نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ، شهدت معركة الجمل ، وكانت من الناقمين على قتلة عثمان توفيت رضى الله عنها سنة ثمان وخمسين من الهجرة

بين الشباب المسلم وبين الاطلاع على الصفحات الناصعة المشرقة ، من تاريخ أسلافهم المجيد ، الذى يخشى الأجنى الحاقده على الإسلام ، أن يحملهم النظر فى هذا التاريخ على التأسى بأولئك الأبطال الميامين الذين اجتذبهم الإسلام من الكهوف وأغوار الوديان ، حفاة أشباه عراة ، ثم أقعدهم (بعد أن صهرهم فى بوتقة الإيمان) أمام دفقة قيادة الدنيا ، فصنعوا بالإسلام ، وصنع الإسلام بهم تاريخاً ، لم تشهد الدنيا مثله فى البناء والعظمة والنزاهة والإشراق ، من لدن آدم حتى يومنا هذا . تاريخاً لو اعتنى به الأستاذ فى مدرسته والعميد فى جامعته ؛ لصنعت لنا هذه المدارس والجامعات ، شباباً قوياً فى عقيدته ، متيناً فى خلقه ، عظيماً فى بطولته ، فذاً فى استقامته ، مفلح فى قيادته .

شباباً بإمكانه أن يجمع بين صدق أبى بكر ، وعدل عمر ، ونبل عثمان ، وبسالة على ، وفروسية خالد ، وحنكة عمرو ، وحلم معاوية ، وإقدام ابن الزبير .

ولما خلقت لنا هذه المشكلة الخطيرة التى نواجهها فى كل قطر إسلامى .. مشكلة هذا القطيع الهائج ، ممن يسون أنفسهم التقدميين ، المتحررين ، الذين أصبحوا ، أشد ضرراً على الإسلام ، وأعظم تجريحاً لتاريخه من أعدائه الأصليين الذين قاموا بتفريخهم فى معامل استعمارهم الثقافى ، أيام سيطرتهم وحكمهم .

ولكنه الاستعمار الحقود ، وسماسته من المحسوبين علينا ، دبوا (فى غفلة منا طويلة) خطة اغتيال هذا التاريخ ، ونجحوا فى إهالة التراب عليه ، بأيدي رجال ينتسبون إلينا ، فلم يبقوا منه فى مقررات التدريس ، إلا مقاطع لا تصلح لشيء ، إلا للنيل من ماضى الإسلام والظعن على بناء دولته ، والتشهير بمن قادوا معارك الإسلام والحط من

مكانتهم^(١) كتنطاولهم على عثمان وابن الزبير^(٢) ومعاوية وعمرو ابن العاص^(٣) وتوسعهم في نشر ما يظنه خصومهم طعناً في دينهم وأمانتهم ، وكتعمدهم الإسهاب في نظرية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

(١) قرأت مرة قصة فلم في مجلة المصور ، عن خالد بن الوليد وإذا أبرز ما في الفيلم قصة قتل مالك بن نويرة وغرام خالد بـزوجة القتيل نوار التي يقول بعض المؤرخين إن خالداً تزوجها بعد قتله ابن نويرة (كمردت) في حروب الردة ، وأوجع منظر رأيته أن ممثل البطل في الفيلم ، قد ظهر ملتصقاً (في حالة مزرية) بممثلة أخرى ، على اعتبار أن هذا الممثل هو خالد بن الوليد ، والممثلة نوار ، زوجة القتيل مالك بن نويرة ، وهكذا يشن فروخ الاستعمار حرباً واسعة على قادة الإسلام وأبطاله حتى في الأفلام السينمائية . فقد عز على هؤلاء العملاء أن يمر هذا الفيلم في جميع أدواره مرور البطولة الكاملة المترهة عن نزوات الجنس ، فأفسدوه بذلك المنظر الذي كان من أسباب كساده :

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام أشهر من نار على علم ، كان فارس قریش في زمنه ، كان أحد القادة الذين اشتركوا في فتح تونس ، وهو الذي قتل جرجس ملك الرومان هناك ، نازع بني أمية الخلافة ، أعلن نفسه خليفة عقيب موت يزيد بن معاوية فتحت له السيطرة على الحجاز ومصر والعراق واليمن وخراسان وأكثر الشام ، كانت له مع الأمويين وقائع رهيبة ، تغلب عليه عبد الملك بن مروان في آخر الأمر ، حاصرت جيوش الشام في الحرم بقيادة الحجاج ، فقاتل قتال الأبطال حتى قتل وهو في الثمانين وذلك سنة ثلاث وسبعين : كان أول مولود في المدينة بعد الهجرة استمرت خلافته تسع سنين :

(٣) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي ، قال صاحب كتاب (الأعلام) كان أحد عظماء العرب ودهاتها وأولى الرأي والحزم والمكيدة فيهم ، كان عمرو من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ، سافر إلى الحبشة للإيقاع بالمسلمين فيها عند النجاشي فلم يفلح ، أسلم في هدنة الحديبية وكان إسلامه وخالد بن الوليد في آن واحد ، ولاه الرسول قيادة جيش (ذات السلاسل) وأمدّه بأبي بكر وعمر ، ثم جعله عاملاً على منطقة عمان ، كان أحد القادة الأربعة الكبار الذين تولوا فتح الشام ، إليه يعود الفضل في فتح فلسطين ومصر ، ولاه ابن الخطاب إمارة فلسطين ثم مصر ، عزله عثمان عن الإمارة ، كان في جانب معاوية أيام الفتنة ، وتولى مصر بعد أن تم الأمر لمعاوية ومات وهو أمير عليها ، كان ابن الخطاب من المعجبين برجاحة عقله ودهائه ، كان يقول إذا رأى رجلاً يتلجلج كلامه : .. إن خالقي هذا وخالقي عمرو بن العاص واحد ، توفي رضي الله عنه في مصر سنة ثلاث وأربعين من الهجرة :

التي خالف بها جميع الصحابة ونفاه الخليفة الثالث من أجل التمسك بها .. إلى الربذة .

وكنوسعهم في تدريس القصص والتمثيلات (المفتعل أكثرها) التي تصور بدخ ومجون بعض الخلفاء من بني أمية وقادتهم الذين لم يكره الصليبيون والوثنيون والمجوس ، محاربين إسلاميين أعظم منهم . لأن زحف الإسلام وقوته العسكرية وهيبته السياسية وصلت (أيام هؤلاء الخلفاء والقادة) إلى درجة لم يصل إليها أحد قبلهم ولا بعدهم .

فبينما كانت جيوشهم تتوغل في أحشاء أوروبا الغربية ، ويقف منها (أيام بني أمية) خمسمائة ألف مقاتل على بعد ثلاثمائة كيلومتراً من باريس ، كانت مئات الآلاف من جنود دمشق الأموية . وقادتها تندفع كالطوفان نحو الشرق جارفة أمامها معالم الوثنية وآثار المجوسية .

وهذا هو السبب في الحقد المشبوب من هذا الثالث المعادي على هؤلاء القادة والخلفاء ، هذا الحقد الذي نراه متمثلاً فيما يدرسه وينشره ويذيعه فروخ الصليبيين من أدعياء الإسلام ، من طعن في خلفاء الإسلام وكبار قاداته ممن خاض الإسلام بقيادتهم أعنف المعارك ضد الصليبيين في الغرب والوثنيين والمجوس في الشرق .

إن إهمال التاريخ الإسلامي في فصل المدرسة ومدرج الكلية أو الاختصار على مقاطع مشوهة مما نسب إليه ، إنما يخدم الأعداء ويزهد الشباب المسلم ، بل ويكرهه في تاريخ الإسلام .

وهذا أقصى ما يهدف إليه أعداء الإسلام الذين نجحوا (بواسطة المخربين من أبنائه) في أن ينحرفوا بالشباب المسلم (إلا من عصم الله ، وقليل ما هم) عن الاتجاه الإسلامي الصحيح ، واتجهوا به نحو أوروبا

وحضارة وعظمة رجالها ، حتى أصبحوا لا يرون شيئاً جديراً بالدرس وأولى بالإعجاب والتقدير إلا ما كان آتياً عن أوروبا ، وأوروبا وحدها .

والسبب في ذلك أنهم (منذ تفتح أعين عقولهم) ، وطيلة مراحل التدريس لم يسمعو ولم يقرأوا في معرض تاريخ البطولات والمعارك والحضارات والتضحية والعلوم إلا عن معارك الطرف الأغر ، ووقائع (واترلو) وبطولات انطونيو ، وغرام كليوبترا ، وشجاعة نابليون وثبات ولنجتون ، وبسالة نلسون ، ومغامرات كرسstof كولبس ، وحضارات الفراعنة ، ومدنيات روما ، وفلسفات اليونان ، وصلاح سانت ماريا ، وعفة جان دارك ، وغير ذلك مما لا يجعلون معه أى مكان في ذهن الطالب المسلم لما يجب أن يعرفه عن تاريخ دينه ، وأخبار بطولات رجاله ، وشجاعة قادته ، ونزاهة حكامه ، وعدل خلفائه وإشراق حضارته وعظمة مدنياته ونباهة علمائه ، وذكاء فلاسفته .

والأغرب من هذا أن هؤلاء الآثمين في حق التاريخ الإسلامى ، عندما يضطرون إلى التحدث عن تاريخ الإسلام ، يتجنبون ذكر الإسلام كلياً ، ويتحدثون عنه كتاريخ قوى مجرد ، وكأنه قد بنته سواعد لا علاقة لها بهذا الدين البتة .

سألت (مرة) أحد هؤلاء الحائزين على الشهادات العالية من تلك الجامعات ، سألته عن معركة الصوارى ، فاستغرب هذا الاسم ، وقال ضاحكاً ، إنه لم يسمع بمعركة تحفل هذا الاسم الغريب .

بينما هذه المعركة تعد من أهم المعارك البحرية الفاصلة في تاريخ حروب الإسلام والإمبراطورية الرومانية ، فقد هزم الأسطول الإسلامى الأسطول الرومانى في هذه المعركة شر هزيمة لم تقم بعدها للرومان

قائمة وذلك في عصر الخليفة عثمان بن عفان وبقيادة الأمير عبد الله
ابن سعد بن أبي سرح بالقرب من المياه التونسية .

ولكنني عندما سألت هذا الجامعي المثقف (الذي يجهل معركة
الصواري) عندما سألته عن معركة الطرف الأغر ^(١) أخذ يشرح لي
تفاصيل هذه المعركة وكأنه أحد الذين شهدوها ، فقد اندفع يتحدث
عن بسالة نلسون وثباته وكيف جرح وهو على ظهر سفينة القيادة
يدبر دفة المعركة ، وكيف انهزم الأسطول الفرنسي بعد أن خسر ثمانى
عشرة سفينة وكيف أسر الإنكليز قائد الأسطول الفرنسي .

وما هذا الجهل بالتاريخ الإسلامى والإمام بالتاريخ الأجنبى
إلا حصيلة التثقيف الحديث الذى أخذه شبابنا المسلم حسب المخطط
التعليمى الذى وضعه أعداء الإسلام منذ عشرات السنين .

نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته المثل أن يثبتنا على ديننا
ويأخذ بأيدينا للسير على الصراط السوى إنه على كل شئ قدير .

محمد أحمد باشميل

مكة المكرمة .. رمضان المبارك ١٤٢٨هـ - ١٩٦٢م

(١) معركة بحرية شهيرة دارت بين الأسطول الفرنسى والبريطانى بالقرب من
الشواطئ الأسبانية في عهد نابليون بونابرت عام ١٨٠٥ م .

بدر

بدر - بفتح أوله وسكون ثانيه - ماء من مياه العرب الشهيرة وأسواقهم المشهورة ، وقد أطلق على هذا المكان اسم أول من حفر بشراً فيه وهو رجل من غفار ، واسمه : بدر بن قريش بن مخلد بن النضر ابن كنانة .

وقال الزبير بن بكار ، هو قريش بن الحارث ... سميت به قريش قريشاً ، فغلب عليها ، لأنه كان دليلها وصاحب ميرتها ، وكانوا يقولون جاءت غير قريش ، وخرجت غير قريش ، وابنه بدر بن قريش به سميت بدر التي كانت بها الواقعة المباركة ^(١) .

تقع بدر جنوب غرب المدينة ، والمسافة بينها وبين المدينة - بطرق القوافل التي سلكها الرسول ﷺ - حوالى ١٦٠ ميلاً .

كما أن بدرأ تقع شمالى مكة ، والمسافة بينها وبين مكة - بطرق القوافل القديمة التي سلكها المشركون - حوالى ٢٥٠ ميلاً .

أما المسافة اليوم بين مكة وبدر - بطرق السيارات - فهي ٣٤٣ كيلو متراً ، والمسافة بين المدينة وبدر بهذا الطريق فهي ١٥٣ كيلو متراً .

أما المسافة بين بدر وساحل البحر الأحمر الواقع غربها فهي حوالى ثلاثين كيلو متراً .

(١) عمدة الأخبار ص ٢٣٨ .

الفصل الأول

ما قبل المعركة

- بدء الصراع بين الإسلام والوثنية في مكة .
- حرب الدعاية والتشويش والإيذاء ضد النبي صلى الله عليه وسلم
- قريش تنذر أبا طالب بحرب أهلية .
- أبو طالب يرفض الإنذار .
- فرض العزل المدني والحصار الاقتصادي على بني هاشم وبني المطلب
- فشل سياسة العزل والحصار .

قبل الدخول في تفاصيل هذه المعركة ، لابد من إلقاء نظرة عابرة على الحوادث والتطورات الهامة التي سبقت هذه المعركة مما له علاقة بها ويعد بعضاً من أسبابها .

لقد استمر الرسول ﷺ في منطقة مكة ثلاث عشرة سنة ، وهو يدعو إلى ربه مناضلاً ومجاهداً من أجل نشر العقيدة التي ألقى الله تعالى على عاتقه مهمة نشرها .

وقد كان جهاده (طيلة تلك السنين) جهاداً سلمياً بحثاً لم يشهر فيه سلاحاً . وكان خصوم دعوته من جانبهم (كذلك) يسلكون كافة السبل ويعملون بكل الوسائل لمقاومة دعوة الإسلام وقطع تيار نورها عن أقوامهم ، (بالإيذاء ، بالتهديد ، بالمقاطعة) إلا الحرب .

فقد اقتصر قريش (أول الأمر) في مقاومتها لدعوة الإسلام ،

على استخدام وسائل الإعلام والنشر للتشويش على صوت هذه الدعوة الكريمة لئلا يصل (أو لكي يصل على غير حقيقته) إلى الأسماع .
ففي داخل مكة جندت قريش السفهاء ، واستخدمت القاصين والشعراء ليقوموا بحملات السخرية والاستهزاء ضد النبي ﷺ وبشنوا عليه حرب أعصاب قاسية بغية إقلاقه ومضايقته والتضييق على الذين اتبعوه رجاء أن ينفضوا من حوله .

ولقد لاقت هذه الحملات من قريش نجاحاً كبيراً في أول الأمر ، حيث تمكنت من عزل الناس عن النبي ﷺ ودعوته عزلاً يكاد يكون تاماً .. قال ابن هشام :

« إن أشد ما أتى رسول الله ﷺ من قريش أنه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه ، لا حر ولا عبد فرجع ﷺ إلى منزله (مغتماً) فتأثر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى عليه ﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر ﴾ ، الآية » .

تنظيم الحملات الدعائية ضد النبي صلى الله عليه وسلم

أما في مجال الدعاية الخارجية (ونعني بها العمل على صد غير القرشيين عن دعوة الإسلام) فقد كان القرشيون (في هذا المجال) يقومون بأعمال المقاومة على شكل وفود وبعثات تشويش وتضليل ، وكانت أهم حركات تلك المقاومة ، هي حركات تلك الجماعات المنظمة التي كانت قريش تشكلها كل عام عند اقتراب موسم الحج لبليلة أفكار الحجاج وتشويش أذهانهم وتشكيكهم فيما يقوله النبي ﷺ ويدعو إليه .

لقد فشلت قريش في إيقاف تيار دعوة محمد ﷺ - بالرغم من النجاح الذي أحرزته ضدها أول الأمر - عن طريق حرب الاستهزاء

والسخرية والاستعداد والتنفير التي كانت تقوم بها داخل مكة - فقد ظل النبي ﷺ ثابتاً على دعوته لم يتزحزح .

فبدلاً من أن ينكمش نشاط دعوته ويتلاشى داخل مكة (كما كانت تطمع قريش) نقل هذا النشاط إلى خارج النطاق القرشي ، حيث أخذ في الاتصال بوفود الحجاج من مختلف قبائل العرب التي كانت كلها يرم ذلك على دين الوثنية ، وصار يشرح لهم دعوته وأهدافها ويدعوهم إلى اعتناق الإسلام .

برلمان مكة يجتمع

وهنا اتسع نطاق دائرة الخطر بالنسبة لمركز قريش الروحي الممتاز بين العرب ، فقد خافت قريش مغبة تزايد هذا النشاط النبوي بين وفود الحجاج ، ولذلك سارع زعماء مكة إلى الاجتماع في برلمان قريش (دار الندوة) للتشاور فيما يجب اتخاذه من وسائل فعالة يضعون بها حداً للنشاط المتزايد الذي يقوم به صاحب الدعوة الجديدة النبي محمد ﷺ مما اعتبروه خطراً على دينهم وشتماً لآلهتهم ، .

وقد استعرض المجتمعون الموقف من جميع نواحيه وناقشوه مناقشة طويلة واستمعوا إلى مختلف الحلول والاقتراحات التي تقدم بها بعض الرؤساء والقادة .

وكان أول الخطباء في (برلمان مكة) الوليد بن المغيرة المخزومي الذي تحدث إلى المجتمعين قائلاً :

يامعشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم (يعني الحج) وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا (يعني النبي ﷺ) ، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم

بعضاً ، ويرد قولكم بعضه بعضاً ، قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل وأقم لنا رأياً نقول به ، قال .. بل أنتم فقولوا أسمع ، وهنا تعاقب الخطباء للإدلاء بآرائهم ، فقال أحدهم .. نقول كاهن .. فقال الوليد .. لا والله ما هو بكاهن . لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكهان^(١) ولا سبعة ، فقالوا .. نقول مجنون .. قال : ما هو بمجنون . لقد رأينا الجنون وعرفناه ، فما هو بخنقه . ولا تخالجه . ولا وسوسته ، قالوا .. فنقول شاعر ، قال ما هو بشاعر ، لقد عرفنا الشعر كله ، رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر ، قالوا .. فنقول ساحر ، قال .. ما هو بساحر ، لقد رأينا السحار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولا عقدهم ، قالوا ، فما نقول يا أبا عبد شمس ؟؟ فقال لهم (فى صراحة) : والله إن لقوله لحلاوة ، وإن أصله لعذق^(٢) ، وإن فرعه لجنّة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل ، ثم قال لهم الوليد :

وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر ، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه ، وبين المرء وأخيه ، وبين المرء وزوجته ، وبين المرء وعشيرته ، وقد وافق المجتمعون على هذا الاقتراح الذى قدمه الوليد ابن المغيرة بالإجماع .

منظمات التشويش

وتنفيذاً لهذا الاقتراح نظمت قريش جماعات مخصوصة كلفتها بالمراقبة فى كل سبيل يمر به القادمون إلى الحج لتذكر لهم أمر

(١) الزمزمة ، الكلام الخفى الذى لا يسمع .

(٢) العذق (بفتح أوله) النخلة :: يشبهه بالنخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب

فرعها إذا جنى ،

النبي ﷺ وأنه ساحر يفرق بين المرء وأبيه الخ ، وتحذره من الاستماع إليه والإصغاء لما يقول .

قال ابن إسحاق .. فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله ﷺ لمن لقوا من الناس . وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها .

غير أن كل هذه المقاومة الدعائية أو الحرب الباردة (كما يسمونها اليوم) لم تستفد قريش منها شيئاً ، فلم تفت في عضد النبي ﷺ ولم نوهن من عزمه كل المشاغبات والعراقيل والانتهاكات التي قامت بها قريش لصد الناس عن الإسلام ، والتأثير على حامل رسالته رجاء أن يتخاذل فينحلي عن دعوته ، بل ظل النبي الأعظم ﷺ صامداً في وجه كل هذه الأحداث المتعبة ، يواصل الدعوة إلى ربه صابراً محتسباً ، غير آبه بكل ما يعترضه من عراقيل ، فزاد أمره انتشاراً ، وتزايد عدد الذين اتبعوه على دينه ، مما ضاعف قلق قريش وزاد من حيرتها .

التهديد بالحرب الأهلية

ولما رأى قادة مكة أنهم قد فشلوا في حربهم الدعائية المنظمة التي شنوها على النبي ﷺ ودعوته ، وتأكد لديهم تصميم الرسول على المضي في دعوته مهما كلفه الأمر ، سلكوا سبيلاً آخر لإجبار النبي محمد ﷺ على التخلي عن دعوة الإسلام التي قامت على أساس هدم الوثنية التي هي دين القرشيين يوم ذاك .. سلكوا سبيل التهديد بالحرب إن لم يكف محمد ﷺ عن عيب آلهتهم ودعوة الناس إلى اعتزالها .

ولما كان أبو طالب (وهو عم النبي وكافله بعد جده عبد المطلب) بمثابة الحامي لرسول الله ﷺ والدائد عنه بين هذه القبائل الناقمة

عليه ، فقد قررت قریش إرسال وفد إلى أبي طالب ليبلغه احتجاجها الشديد على ما يقوم به ابن أخيه النبي محمد ﷺ من عيب لآلهتها وتحقير لأوثانها ، وقد فوض برلمان مكة أعضاء هذا الوفد بأن يحذر عميد الأسرة الهاشمية (يوم ذاك أبا طالب) من حرب أهلية قد يندلع لها فيها إذا ما استمر ابن أخيه في دعوته القائمة على هدم الوثنية ونبد الأصنام ، واستمر هو (أي أبا طالب) في حمايته لابن أخيه وسكوته على ما يقوم به من نشاط معاد لدينهم .

وفد قریش عند أبي طالب

وفعلاً اجتمع وفد دار الندوة بعميد الأسرة الهاشمية بمقره في نادى بنى هاشم .

وعلى مسمع من أقطاب أسرة بنى عبد مناف تكلم رئيس الوفد وقال :

يا أبا طالب .. إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا ، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتى تكفه عنا ، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين » ، أو كما قال له .

ولقد أثرت كلمات هذا الإنذار الشديد على أبي طالب تأثيراً كبيراً ، ودب عند سماعها ضعف الشيخوخة في نفسه فكاد يرضخ للإنذار .

فقد بعث إلى رسول الله ﷺ ، ولما حضر أبلغه خبر الوفد الذى جاء إليه بشأنه ، وحذّثه عن الإنذار الشديد الذى تبليغه من قبائل قریش على لسان ذلك الوفد ، ثم قال له طالباً منه الكف عن عيب آلهتهم : « فأبقي على وعلى نفسك ولا تحملى من الأمر ما لا أطيق » .

وكان هذا كافياً لأن يفهم النبي ﷺ أن عمه قد ضعف عن نصرته وفكر في التخلي عنه .

إلا أن النبي ﷺ أمام هذا الحدث العظيم أعلن - دونما أى تردد أو تلجلج - بأنه غير مستعد للدخول في أية مساومة على حساب الإخلال بالأمانة العظمى التي كلفه الله بأدائها ، حتى وإن تخلى عمه أبو طالب عن نصرته .

فقد قال لعمه (وفي عزم يدك الجبال) : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته » ، ثم غادر المجلس .

أبو طالب يرفض الإنذار

غير أن هذه الكلمات النبوية كان وقعها على نفس أبي طالب أشد من وقع كلمات الإنذار الذي سمعه من وفد قريش ، فلم يكذ يسمع هذه الكلمات العظيمة من ابن أخيه النبي حتى عاد إليه صوابه ، فقد نسي قريشاً وتناسى قوتها أمام تلك الكلمات النبوية الرائعة ، ونادى ابن أخيه محمداً ﷺ - وكان قد ولّى خارجاً - ، فقال له .. أقبل يا ابن أخي ، فلما أقبل عليه رسول الله ﷺ قال له :

« اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحبيت ، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً »
وقد كان أبو طالب يعرف ماذا سيكون رد الفعل من جانب قريش إزاء تصريحه بحماية ابن أخيه وعدم التخلي عنه ، ولذلك فقد استدعى زعماء بني هاشم وبني المطلب ، وأبلغهم خطورة الموقف (بعد التصريح الذي أدلى به وتحدثت به مكة كلها) وطلب منهم أن يكونوا بجانبه لحماية محمد من قريش ، فاستجاب له جميع بني المطلب وبني هاشم

(مسلمهم وكافرهم) إلا أبا لهب (عم النبي ﷺ) فإنه صارحهم
العداوة ورفض الانضمام إليهم وانضم إلى خصومهم .

وبهذا التصريح الذى أدلى به أبو طالب وأبلغه زعماء مكة رسمياً ،
دخل النزاع بين الوثنية والإسلام فى طور جديد ، وازدادت مخاوف
قريش أكثر من ذى قبل ، لاسيما بعد موقف التحدى الذى وقفته
من قريش الغاضبة على النبي ، قبيلتا بنى هاشم وبنى المطلب اللتان كان
لهما وزنهما الكبير بين القبائل المكية ، سواء كان ذلك فى ميدان الحرب
أو السياسة .

ولا شك أن قريشاً قد فكرت فى شن حرب دموية على قبيلتي
بنى هاشم وبنى المطلب ، بسبب موقفهما الحازم من صاحب رسالة
الإسلام ، ولكن عقلاء قريش خافوا مغبة هذه الحرب الأهلية التى
خوفهم منها دائماً هو الذى كان يحول بينهم وبين الإقدام على قتل
النبي الأعظم .

ولذلك عدلوا هذه المرة (أيضاً) عن اتباع خطة الحرب الدموية
لمقاومة دعوة الإسلام (ولو مؤقتاً) ولجأوا (بدلاً عنها) إلى حرب
المقاطعة ، وهى لا شك حرب قاسية لا تقل ضرراً عن الحرب الدامية ،
ففرضوا الحصار الاقتصادى على قبيلتي بنى هاشم وبنى المطلب ، كما
اتبعوا خطة عزل هاتين القبيلتين عن المجتمع القرشى عزلاً تاماً

قريش تساوّم الرسول شخصياً

غير أن قريشاً قبل أن تقدم على تنفيذ مخطط الحصار الاقتصادى
والعزل الاجتماعى ، لجأت إلى مساومة النبي ﷺ شخصياً ، لعله يقبل
المساومة فتنتهى الخصومة .

فقد تحدث مرة عتبة بن ربيعة في برلمان مكة واستعرض تزايد خطر الدعوة المحمدية بشدة إقبال الناس عليها وخاصة الشباب القرشي ، وكان عتبة هذا من سادات بني عبد مناف وذوى الحلم والرأى فيهم وبعد مناقشات ومداولات وافق برلمان مكة (دار الندوة) على انتداب عتبة هذا شخصياً ، ليتصل بمحمد شخصياً أيضاً فيساومه ويعرض عليه كل ما يمكن أن يرضيه من منصب أو جاه أو مال لقاء سكوته عن دعوته .

وفعلا تم الاجتماع الشخصى بين الزعيم القرشى (عتبة) والنبي محمد ﷺ ، وفي هذا الاجتماع (الذى كاد يكون سرياً) قال عتبة لمحمد ﷺ :

يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من المكان فى النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفحت أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع منى أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها .

فقال رسول الله ﷺ ... قل يا أبا الوليد أسمع .

قال : يا ابن أخى إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثياً ^(١) تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبذلنا لك فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإنه ربما غلب التابع ^(٢) على الرجل حتى يداوى منه .

(١) الرثى (بفتح الراء وكسرها) ما يترأى للإنسان من الجن .

(٢) التابع من يتبع الناس من الجن :

فشل خطة المساومة

فلما انتهى عتبة بن ربيعة من حديثه ، قال له رسول الله ﷺ :
أقد فرغت يا أبا الوليد ؟؟ قال .. نعم قال ﷺ فاسمع مني ، قال :
أفعل ، فقال النبي ﷺ

بسم الله الرحمن الرحيم ، حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب
فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون . بشيراً ونذيراً ، فأعرض
أكثرهم فهم^(١) لا يسمعون^(١) ، ثم مضى ﷺ في تلاوة آيات هذه
السورة . وعتبة يستمع إليه منصتاً وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً
عليهما ، ولما وصل النبي ﷺ إلى السجدة منها قطع التلاوة ثم سجد
لله تعالى ، وبعدها قال لزعيم قريش ومندوبها (عتبة بن ربيعة) .. قد
سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ، وكان النبي ﷺ يعني أن
جواب قريش على عروضها واقتراحاتها التي حملها عتبة هو ما سمعه
عتبة من الآيات القرآنية التي تلاها عليه من سورة السجدة .

ولقد دهش عتبة لبلاغة وروعة ما سمع حتى لقد ارتج عليه فلم
يرد على النبي ﷺ بكلمة واحدة ، بل بمجرد انتهاء الرسول ﷺ من
تلاوة الآيات البينات على مسامع عتبة ، انصرف هذا مأخوذاً إلى
قومه ، وقد تغير رأيه في النبي ﷺ وتبدل موقفه من دعوته تبديلاً
جانحياً .

وقد عرف زعماء مكة هذا التغير والتبدل في وجه عتبة لما أقبل
عليهم ، فقال بعضهم (بعد أن رأى عتبة قادماً) : نحلف بالله ، لقد
جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

(١) سورة فصلت : آية ١ - ٣ .

وكان عتبة بن ربيعة من خيار القوم ، وذوى العقل الراجح ، وكان مشهوراً ببعده النظر وأصالة الفكر وحسن السياسة وشدة الصراحة . ولذلك فإنه لما جلس إلى زعماء مكة وقالوا (مستفسرين عن نتائج محادثاته مع الرسول ﷺ) : ما وراءك يا أبا الوليد ؟؟ قال : ورائي أنني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا هو بالسحر ، ولا بالكهانة ، ثم قال ناصحاً قومه .. يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل (يعنى محمداً ﷺ) ، وبين ما هو فيه ، فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به ، قالوا .. سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ، قال : هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم . وبدلاً من أن تستجيب قريش لنصيحة عتبة بن ربيعة اتهمته بأنه قد وقع تحت تأثير سحر محمد ﷺ ، فقالوا له .. سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه .. فقال لهم عتبة (بلسان الواثق بما يقول) .. هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم .

سياسة العزل الاجتماعى والمقاطعة الاقتصادية

ولما فشلت قريش فى حمل النبي ﷺ على التخلي عن دعوته ، عن طريق إغرائه بالجاه والمال والمنصب حيث لم تنجح وساطة عتبة ابن ربيعة فى ذلك ، كما فشلت من قبل فى إقناع أبى طالب وبنى هاشم وبنى المطلب بالتخلي عن رسول الله ﷺ ، لجأت إلى تنفيذ مخطط الحرب الاقتصادية والاجتماعية ضد هاتين القبيلتين (بنى هاشم وبنى المطلب) ، وفرضت عليهما حصاراً اقتصادياً خانقاً وعزلاً اجتماعياً قاسياً .

فقد اجتمعت في برلمانها للتشاور فيما يجب أن يتخذوه من خطوات حاسمة إزاء الانتصارات المتزايدة التي تسجلها دعوة النبي ﷺ يوماً بعد يوم ، لا داخل مكة فحسب ، بل وخارجها بين القبائل المجاورة ، ومما زاد مركز قريش حرجاً أن أسلم عمر بن الخطاب وحمزة بن عبد المطلب ، وهما رجلان تحسب لهما قريش حساباً كبيراً ، وفعلاً أحدث إسلامهما ثقلًا كبيراً في كفة المسلمين الذين اشتد بهما جانبهم

موافقة البرلمان على قرار المقاطعة

فإزاء هذا كله اتخذ برلمان مكة قراراً يقضى بفرض الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي على قبيلتي بني هاشم وبني المطلب ، وصمدت هاتان القبيلتان (مسلمهما وكافرهما) في وجه هذا الحصار الشديد ، فلم تخذل محمداً بل ظلت بجانبه تحميه بالرغم من الأضرار الجسيمة التي نزلت بها نتيجة لذلك الحصار الشديد .

قال ابن إسحاق ، فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا بلداً أصابوا به أمنا وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ إليه منهم ، وأن عمر قد أسلم ، فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله ﷺ وأصحابه . وجعل الإسلام يفسد في القبائل ، اجتمعوا واثمروا بينهم ، أن يكتبوا كتاباً يتعاقدوا فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، فلما اجتمعوا لذلك كتبوه في صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم .

فلما فعلت ذلك قريش انحاز بنو هاشم وبني المطلب إلى أبي طالب ،

فدخلوا معه في شعبه واجتمعوا إليه . وخرج من بنى هاشم أبو هلب
(عبد العزى بن عبد المطلب) إلى قريش فظاهرهم .

تطور النزاع بعد المقاطعة

وهكذا تطور النزاع بين الفريقين واتسع نطاقه ، حيث لم يعد
محمد ﷺ وحده في الميدان ، بل وقفت إلى جانبه قبيلتان لا يستهان
بهما من قبائل قريش .

ولقد اشتد الحصار على المسلمين ومن معهم من قبيلتي بنى هاشم
والمطلب ، وتعننت قريش في مقاطعتها الآثمة ، حتى أقامت مخافر
على الطرق المؤدية إلى الشعب الذي حوصر فيه المسلمون ، لمراقبة ما قد
يتسرب على أيدي بعض ذوى المروءات من طعام إلى المحصورين في
الشعب ، والدليل على ذلك أن أبا جهل بن هشام كان بنفسه يقوم
(أحياناً) بأعمال الدورية لهذا الغرض ، فقد التقى أبو جهل مرة
بحكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، ولدى تفتيشه وجد غلاماً له
يحمل شيئاً من القمح يريد إيصاله إلى عمته خديجة بنت خويلد ^(١)

(١) هي أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى القرشية ، أول زوجة
تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم وكانت (عند زواجها) تكبره بخمسة عشرة
سنة ، قتل أبوها في حرب الفجار ، وكانت قبل زواجها من النبي صلى الله عليه وسلم قد
تزوجت من أبي هالة بن زرارة التميمي فمات عنها ، كانت (رضى الله عنها) من
أصحاب الأموال الكثيرة ، وكانت ذات نشاط تجارى واسع ، وكانت تستأجر ذوى
النشاط للتجارة ، وتدفع لهم رؤوس الأموال (مضاربة) وخاصة في رحلات مكة
التجارية المشهورة إلى الشام ، اتفقت مع النبي صلى الله عليه وسلم - قبل البعثة -
ليذهب في تجارة لها إلى الشام ، فتوجه مع القافلة وتاجر باسمها في سوق بصرى في
الشام ، وعاد من رحلته تلك رابحاً ، وكان (يوم ذاك) قد بلغ الخامسة والعشرين ،
وبعد عودته من الشام أرسلت إليه من يعرض عليه الزواج بها فقبل ، وعند ذلك ،
أبلغت عمها (عمرو بن أسد بن عبد العزى) رغبتها فوافق مسروراً ، ثم تم عقد زواجها =

(زوجة رسول الله ﷺ - والموجوده عنده في الشعب) فمنعه من ذلك
وحاول مصادرة القمح .

دوام الحصار ثلاث سنوات

وقد دامت المقاطعة التي فرضتها قريش على بنى هاشم وبنى المطلب
ثلاث سنوات كاملة ، عانى المحصورون فيها الحرمان ألواناً ، وبلغ
بهم الضيق غايته ، فلم يكن يتاح لهم الاتصال بالناس أو الاختلاط
بهم ، فتضرروا لذلك كثيراً .

وقد كانت قريش تهدف من وراء سياسة التجويع والمقاطعة هذه
لإجبار قوم محمد (من بنى هاشم وبنى المطلب) على اعتزاله ليعود وحيداً
فلا يبقى له ولا لدعوته من خطر .

ولكن هذه السياسة الغاشمة لم تحقق لقريش شيئاً مما كانت تهدف
إليه ، فلم يردد محمد ﷺ إلا اعتصاماً بحبل الله وثباتاً على عقيدته ،
ولم يزد الذين آمنوا به إلا تكتلاً والتفافاً حوله ، وظل الذين لم
يتابعوه على دينه من أهله بجانبه يحرسونه ويذودون عنه ، ولم تؤثر
على موقفهم سياسة التجويع والمقاطعة بأي حال من الأحوال .

أما بالنسبة لانتشار الإسلام ، فإن تنفيذ مخطط الحصار الاقتصادي

= على رسول الله صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة - فولدت له صلى الله عليه وسلم
ذكرين هما القاسم (وكان يكنى به) وعبد الله (وهو الطاهر والطيب) ، كما ولدت له
أربع إناث وهن : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة رضي الله عنها ، ولما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت أول إنسان آمنت به ، كانت (رضي الله عنها) أعلى
مثل للزوجة الصالحة الطيبة الحنون ، فقد كانت رضي الله عنها (بمعاملتها الحسنة وقلبها
الطيب المشرق الكبير من أكبر مصادر تخفيف الآلام عن النبي صلى الله عليه وسلم أيام
اشتداد الحنة عليه في مكة قبل الهجرة ، توفيت بمكة سنة ثلاث قبل الهجرة عن عمر دام
٦٤ سنة .

والعزل الاجتماعي ضد النبي ومن ناصره وآمن به لم يكن له أثر فعال في منع هذا الدين من الانتشار ، فقد ظلت الدعوة إلى الإسلام تنشق طريقها وتسجل كل يوم نصراً جديداً ، لا بين أهل مكة فحسب ، بل بين كثير من قبائل العرب خارج مكة ، فقد فشا ذكر الإسلام في شبه الجزيرة العربية بأكملها ، مما حمل الكثير على السفر إلى مكة للتعرف على هذا الدين الذي جاء به من عند الله ، ثم الدخول فيه بعد الاقتناع بصدقه .

إلغاء الحصار الآثم

ظل النبي ﷺ ومن تبعه على دينه أو ناصره ممن ليس على دينه ، ظلوا صامدين ثابتين أمام تعنت قريش وتعسفها ، وتحذوا ذلك الحصار الآثم بشجاعة وثبات ، بالرغم من أنهم كادوا أن يهلكوا جوعاً لشدة ذلك الحصار الاقتصادي الخانق ، لولا أن بعض المروءة والنجدة من مشركي مكة أنفسهم ، كانوا يقومون (في ظلام الليل) بتهديب بعض الأطعمة الضرورية إليهم داخل الشعب .

غير أن العنت والتعسف والقسوة إذا كانت قد بلغت من أكثر زعماء مكة غايتها ، فارتكبوا جريمة المقاطعة الاقتصادية والعزل الاجتماعي في حق إخوانهم وأبناء عموماتهم وأصهارهم من بني هاشم وبني المطلب ، فإن ضمائهم بعض هؤلاء الزعماء قد تيقظت فشعروا بفدح ما ارتكبت قريش من ظلم وقسوة وتعسف .

فقد تذاكر هؤلاء الزعماء حول بشاعة الجريمة التي ارتكبتها قريش بحق المحصورين في الشعب ، وتعاهدوا على إزالة معالم هذه الجريمة بالسعي الجدي لإلغاء ذلك الحصار الآثم .

بل لقد بلغ بهم النبل إلى التعاهد على تحقيق هذا المطلب الشريف ،
حتى ولو أدى بهم الأمر إلى أن يمزقوا بأيديهم صحيفة المقاطعة الظالمة
المعلقة في جوف الكعبة .

النبلاء الخمسة

وكان الذين فكروا في هذا العمل النبيل ونفذوه في النهاية هم :

- ١ - هشام بن عمرو بن ربيعة العامري^(١)
- ٢ - زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي^(٢)
- ٣ - المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف^(٣)
- ٤ - البختري بن هشام^(٤)
- ٥ - زمعة بن الأسود بن المطلب الأسدي^(٥)

فقد عقد هؤلاء الخمسة النبلاء ، اجتماعاً سرياً فيما بينهم (ليلاً)
في منطقة الحجون بأعلى مكة ، وتم الاتفاق فيما بينهم على تمزيق
الصحيفة ليكون ذلك نهاية المقاطعة الآثمة .

-
- (١) أسلم هذا الرجل النبيل (هشام بن عمرو) وحسن إسلامه ، وقد أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم معركة حنين خمسين من الإبل .
 - (٢) هو زهير بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي ، أسلم هذا الرجل النبيل بعد الفتح ، وهو أخو أم سلمة (زوج النبي صلى الله عليه وسلم) .
 - (٣) مات مطعم هذا كافرأعلى ما ذكر ابن حجر في الإصابة .
 - (٤) قتل هذا الرجل الشهيم (أبو البختري) يوم بدر مشركاً ، وقد كان النبي أمر الجند الإسلامي بعدم قتله اعترافاً له بالفضل لما له من موقف مشرف في إلغاء هذا الحصار الآثم ، ولكن لأمر بريدته الله قتله المجذر بن زياد البلوي بعد أن رفض أبو البختري إلا القتال .
 - (٥) قتل زمعة بن الأسود مشركاً يوم بدر ، وقد كان هذا الشاب من أحب أبناء أبيه إليه :

وقد رسموا لتنفيذ ذلك محكمة حيث اتفقوا على أن يقف زهير ابن أبي أمية بين أندية قريش في المسجد ويشجب ما تضمنته تلك الصحيفة من مقاطعة بني هاشم وبني المطلب ويدعو إلى إنهاء هذه المقاطعة ، وإذا ما عارضه أحد من زعماء مكة سارع إلى تأييده بقية الخمسة حسب تكتيك منظم اتفق عليه الخمسة في اجتماعهم السرى بالحجون .

هذا أمر قضى بليل

ففي صبيحة تلك الليلة غدا كل من النبلاء الخمسة إلى نادى قومه بالمسجد ، وغدا زهير بن أبي أمية فطاف بالبيت سبعا ، ثم أقبل على أندية قريش ونادى بصوت يسمعه الجميع :

يا أهل مكة ، أنا كل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكت لا يباع ولا يبتاع منهم ؟ ، والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة المقاطعة الظالمة ^(١) .

وهنا ثار أبو جهل غاضبا وصاح بزهير بن أبي أمية .. كذبت والله لا تشق ، فقاطع أبا جهل (حسب الخطبة المرسومة) زمعة بن الأسود قائلا .. أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابتها حيث كتبت ، ثم ساند زمعة في قوله أبو البختری بن هشام قائلا .. صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به ، ثم ساند الثلاثة في رأيهم المطعم بن عدى فقال - معقبا بالتأييد على قول زمعة وأبي البختری - صدقنا وكذب من قال غير ذلك ، نبرأ إلى الله منها ، ومما كتب فيها ولا نقر به .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٧٦ .

تمزيق الصحيفة وانتهاء المقاطعة

وهنا أدرك أبو جهل أن الأمر قد جاء بتدبير سابق ، فقال كلمته المشهورة .. هذا أمر قضى بليل .. كما أنه أيقن أنه من الصعب الحيلولة بين هؤلاء الزعماء الخمسة وبين ما اعتزموا تحقيقه من إنهاء المقاطعة ، وأن مقاومتهم قد تثير شرّاً وتشعل حرباً ، فراجع ولاذ بالصمت ، وهنا تقدم المطعم بن عدي إلى صحيفة المقاطعة ليمزقها ، ليكون ذلك إيذاناً بانتهاء المقاطعة الآتمة ، فوجد الصحيفة قد أكلتها الأرضة إلا فاتحتها (باسمك اللهم) . وبتمزيق الصحيفة وإخراجها من جوف الكعبة أصبح الحصار الاقتصادي والعزل الاجتماعي (الذي فرضته قريش على بني هاشم وبني المطلب) لاغياً .

وبهذا خرج المسلمون ومن ناصرهم من مشركي بني هاشم وبني المطلب منتصرين من محنتهم ، وعادوا من الشعب إلى مكة لم تنحن لهم هامة ، يبيعون كما يشاؤون ، وتنفست الدعوة الإسلامية الصعداء من جديد وازداد نشاطها ، وفشلت (نهائياً) سياسة التجويع والتضييق والمقاطعة .

الفصل الثاني

- التحول الخطير في الصراع .
- اللقاء الأول بين النبي والأنصار .
- بيعة العقبة الأولى .
- سفير النبي صلى الله عليه وسلم في يثرب .
- التحالف العسكري بين النبي والأنصار .
- قريش تنزعج وتحتج على هذا التحالف .
- هجرة المسلمين قبل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .
- برلمان مكة في جلسته التاريخية .
- إجماع قريش على قتل النبي صلى الله عليه وسلم ومنعه من الهجرة .
- فشل المؤامرة ونجاح الهجرة .

لقد ظلت جل أعمال المقاومة القرشية لدعوة الإسلام وحامل لوائها منذ بدأت مقتصرة على حرب الدعاية والتضييق والإعنات والمقاطعة ، وكان كفار مكة يظنون أن سلوك هذا السبيل كفيلاً وحده بأن يحقق لهم ما يصبون إليه من تفرق الناس عن النبي ﷺ وانفضاض أتباعه من حوله ، وتركه ودعوته وحيداً في الميدان مما يحقق لها الظفر به والقضاء عليه منفرداً .

إلا أنه في أواخر سنوات الصراع حدث تطور سياسي خطير ، أقض مضاجع مشركي مكة ، وأثبت لهم خطأ ظنهم ، وجعلهم يغيرون من

نظرتهم إلى المشكلة ، وهذا التطور هو نجاح النبي ﷺ في الاتصال بأهل يثرب وإقناع الكثير منهم باعتناق الإسلام ، ثم إقامة حلف عسكري بينهم وبين النبي ﷺ يمنعونه بموجبه كما يمنعون أنفسهم ونساءهم وأولادهم .

فقد كان من عادة النبي ﷺ أن يغتنم فرصة كل موسم من مواسم الحج فيعرض نفسه على قبائل العرب ويشرح لهم دعوته وأهدافها ، ويدعوهم إلى الإسلام .

وأثناء هذا العرض اتصل ببعض رجالات قبيلتي الأوس والخزرج^(١) من سكان يثرب ، وهم من قبائل قحطان ، وأقوى القبائل العربية وأمنعها في الجزيرة .

أول لقاء بين النبي صلى الله عليه وسلم والأنصار

وكان أول من لقي رسول الله ﷺ من أهل المدينة ستة نفر من شباب الخزرج ، التقى بهم ﷺ في موسم الحج عند العقبة من منى ، فقال لهم .. من أنتم ؟؟ .

قالوا .. نفر من الخزرج ..

قال .. أمن موالى يهود ؟؟ . أى حلفاءهم .

قالوا : نعم .

قال .. أفلا تجلسون أكلمكم ؟ .

قالوا : بلى .. فجلسوا معه ، فشرح لهم حقيقة دعوته ، ودعاهم إلى الله عز وجل ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فوقع قوله من نفوسهم موضع الرضى والقبول ، واستبشروا به خيراً .

(١) انظر ترجمة هاتين القبيلتين في كتابنا (غزوة أحد) :

وكان هؤلاء الرهط من عقلاء يثرب التي أنهكتها الحرب الأهلية المستعرة لحييها بين الأوس والخزرج ، فأملوا أن يضع الله بدعوته حداً للحرب الأهلية المدمرة الناشئة في يثرب .

فقالوا للنبي ﷺ - بعد أن قبلوا ما عرض عليهم من الإسلام -- :
إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك .

وأبدوا استعدادهم للنبي ﷺ أن يكونوا رسل دعوته إلى أهل يثرب قائلين :

فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ، فكان هؤلاء نفر أول من أسلم من الأنصار .

وكان هذا اللقاء بين النبي وأهل يثرب سنة ثلاث قبل الهجرة (على أغلب الظن) .

وبعد أن أسلم هؤلاء ، حملوا إلى المدينة (ولأول مرة) رسالة الإسلام . وصاروا يبثونها (بكل جد وإخلاص) بين قبائلهم في يثرب فلم يستدر العام إلا وقد انتشر ذكر النبي في كل دار من دور أهل المدينة .

وأسماء رجال هذه الطليعة المباركة هم :

١ - أسعد بن زرارة (من بني النجار) ^(١) .

(١) هو أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد ، الأنصاري النجاري الخزرجي ، كان طليعة الشباب يثربي المسلم . شهد بيعة العقبة الأولى والثانية ، وكان نقيباً على قبيلته في بيعة العقبة الثانية (وهي المعاهدة العسكرية الأولى التي عقدت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الأنصار) ، ولم يكن في نقباء الأنصار الإثنا عشر أصغر سناً من أسعد =

- ٢- عوف بن الحارث بن رفاعه (من بنى النجار)^(١) .
 ٣- رافع مالك بن العجلان (من بنى زريق)^(٢) .
 ٤- قطبة بن عامر بن حديدة (من بنى سلمة)^(٣) .
 ٥- عقبة بن عامر بن نابی (من بنى حرام بن كعب)^(٤) .
 ٦- جابر بن عبد الله بن رثاب (من بنى عبيد بن غنم)^(٥) .

بيعة العقبة الأولى

وفى العام التالى للقاء الأول بين النبي والطليعة المباركة (النفرة الستة) التقى النبي ﷺ - وفى موسم الحج - بإثنى عشر رجلاً من

= ابن زرارة ، كان أسعد هذا ، أول من بايع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة ، وكان رضى الله عنه أول من صلى بالمسلمين الجمعة ، وذلك فى المدينة عندما جاء إليها داعياً إلى الإسلام ، قبل الهجرة ، توفى أسعد رضى الله عنه والمسلمون يبنون المسجد النبوى ، كان أسعد وذكوان بن قيس أول من أدخل الإسلام إلى المدينة ، وذلك أنهما (كما ذكر الواقدي) جاءا إلى مكة فى حاجة لهما لدى عتبة بن ربيعة ، فسمعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتياه ، فلما عرض عليهما الإسلام أسلما ، فعادا إلى المدينة ، دون أن يتصلا بعتبة بن ربيعة وذلك (قبل بيعة العقبة الأولى) .

(١) استشهد عوف هذا فى معركة بدر مع أخيه معوذ بعد أن شارك فى قتل الطاغية أبى جهل .

(٢) هو رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق الخزرجى ، وذكر ابن إسحاق أنه شهد بدرأ ، وحكى ابن إسحاق أن رافع هذا كان أول من قدم المدينة بسورة يوسف ، وروى الزبير بن بكار أن النبي صلى الله عليه وسلم لما لقي رافع بن مالك بالعقبة أعطاه ما نزل عليه فى العشر سنين التى خلت ، فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه ، فقرأ عليهم فى موضعه من المسجد ، وأن مسجد بنى زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن لم أطلع على تاريخ وفاة رافع رضى الله عنه .

(٣) قطبة هذا كانت معه راية بنى سلمة يوم الفتح ، شهد بدرأ والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى فى خلافة عمر بن الخطاب ، وقال ابن حبان مات فى خلافة عثمان .

(٤) انظر ترجمة عقبة هذا فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٥) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

الأنصار عند العقبة ، فيهم أربعة من الستة الذين اتقوا بالرسول ﷺ ، في العام السابق ، وهناك بايعوا رسول الله ﷺ بيعة النساء (كما يقول ابن إسحاق) وهي أنهم التزموا بموجب هذه البيعة العمل بأحكام الإسلام من فعل الواجبات وترك المحرمات ، ولم يأت ذكر في هذه البيعة للناحية العسكرية ، لأن هذه البيعة تمت قبل أن يأذن الله لنبيه بالقتال .

سفير النبي في المدينة

وبينما كانت قريش تشدد من ضغطها على النبي ﷺ وتضاعف من إيذائها للضعفاء من أتباعه ، كان ﷺ يوثق من صلته بأهل يثرب ويوسع من نطاق اتصالاته بهم .

فبعد أن تمت بيعة العقبة الأولى ، وانتهى موسم الحج بعث مع القوم الذين عقدوا معه هذه البيعة أول سفير له في يثرب ليعلم المسلمين فيها شرائع الإسلام ويفقههم في الدين ، ويقوم بنشر الإسلام بين الذين لا زالوا على الشرك ..

وقد اختار النبي ﷺ لهذه السفارة الشاب الصالح التقى الشجاع (مصعب بن عمير العبدري) ^(١) ، الذي كان من السابقين الأولين إلى الإسلام من شباب قريش .

ولقد أثبت الشاب مصعب أنه خير سفير للإسلام اعتمده ، النبي ﷺ لدى أهل يثرب ، فقد قام بمهمته خير قيام ، إذ استطاع بدمائه خلقه وصفاء نفسه أن يجمع كثيراً من أهل يثرب على الإسلام حتى إن قبيلة من أكبر قبائل يثرب (وهي قبيلة بني عبد الأشهل) قد أسلمت جميعها على يده بقيادة رئيسها سعد بن معاذ .

(١) ستأتي ترجمته فيما يلي من هذا الكتاب .

عودة السفير إلى مكة

وبعد أن اطمأن سفير الإسلام الأول (مصعب) إلى نجاح الدعوة وشاهد مغتبطاً ، سرعة انتشار دين الله بين تلك القبائل القحطانية العظيمة التي صارت فيما بعد أعظم قوة حربية اعتمد عليها الإسلام في عهده الأول ، وبعد أن قضى هذا السفير النبوى بين أهل يثرب تسعة أشهر ، عاد إلى مكة يحمل إلى رسول الله ﷺ بشارت الفوز ، وقدم له تقريراً ضافياً عن النجاح الباهر المطرد الذى تلاقيه دعوة الإسلام بين قبائل الأوس والخزرج ، وقص على النبي ﷺ خبر هذه القبائل ، وما هى عليه من منعة وقوة .. فسر النبي ﷺ لهذا النصر العظيم الذى سجلته دعوة الإسلام في يثرب على يد ذلك السفير الشاب التقى الصالح مصعب بن عمير .

معاهدة العقبة الثانية

وفي العام التالى للبيعة الأولى (أى سنة اثنين قبل الهجرة النبوية) حضر لأداء مناسك الحج من أهل يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان ممن أسلموا ، وقد جاءوا ضمن حجاج قومهم من أهل الشرك . وبمجرد وصولهم إلى مكة ، جرت الاتصالات (سرّاً) بينهم وبين النبي ﷺ وانتهت هذه الاتصالات بالاتفاق على أن يجتمع الفريقان في اليوم الثانى من أيام التشريق ، على أن يتم هذا الاجتماع في سرية تامة وفي ظلام الليل . وقد حددوا مكاناً لهذا الاجتماع .. الشعب من منى عند العقبة حيث الجمرة الأولى ، أو الشيطان الكبير (كما يسميه العامة اليوم) .

وفي الميعاد المحدد من تلك الليلة ، حضر النبي ﷺ إلى الشعب عند العقبة وأخذ الأنصار يتوافدون على النبي ، واحداً بعد واحد (في

ظلام الليل) خوفاً من أن ينكشف أمرهم لكفار مكة والمشركين من قومهم أهل يثرب .

ولنترك أحد قادة الأنصار يصف لنا كيف تم ذلك الاجتماع التاريخي الذي كان بداية التحول الخطير في تاريخ الصراع بين الإسلام والوثنية .. وهو كعب بن مالك ^(١) رضى الله عنه :

قال كعب .. ثم خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام ^(٢) ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له .. يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، ولنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطباً للنار غداً ، ثم دعوانا إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة قال .. فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

قال كعب ، فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لمعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من نساءنا .. نسيبة بنت كعب ، أم عمارة ، إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو ، وهي أم منيع .. فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ حتى جاءنا ومعه عمه العباس بن عبد المطلب - وهو يومئذ على دين قومه - إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له ، وكان أول متكلم ^(٣) .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) : (٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤١ :

بداية المحادثات وأول المتكلمين

وهكذا ، وبعد أن تكامل المجلس شرع المجتمعون في المحادثات التمهيدية لإبرام التحالف العسكرى بين هذه النخبة الممتازة من صفوة الأوس والخزرج وبين النبي ﷺ .

وكان أول المتكلمين في هذا الاجتماع التاريخى العظيم العباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ، فقد وقف خطيباً في القوم ليشرح لهم (بكل صراحة) خطورة ما هم مقدمون عليه ، ويبين لهم (ليستوثق منهم - عظم المسؤولية التى ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف العسكرى ، فقد قال لهم فيما رواه ابن إسحاق .

« يامعشر الخزرج - وكان العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار .. الخزرج - .. إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على رأينا فيه (أى من ناحية الاختلاف فى الدين) فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، والحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ومنعة من قومه وبلده » .

وبعد أن فرغ العباس من إلقاء بيانه قال له الشرييون (بلهجة تأكد العباس من صدقها) : قد سمعنا ما قلت ، ثم التفتوا إلى رسول الله ﷺ قائلين (فى عزم وتصميم وشجاعة وإيمان) :

فتكلم يارسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت ، وبعد ذلك ألقى الرسول ﷺ بيانه ، ثم تم عقد التحالف بين الفريقين .

وقد كانت أهم بنود هذا التحالف من الناحية العسكرية ، هو أن
اليثرييين من الخزر ج والأوس ، قد تعهدوا بحماية رسول الله ﷺ كما
يحمون أنفسهم ونساءهم وأولادهم .

شرع في وضع بنود المعاهدة التي أراد - من هذه النخبة اليثريية
المباركة المصادقة عليها قائلاً موجها خطابه إلى الأنصار :

« أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم » .
فأخذ البراء بن معرور^(١) بيد رسول الله ﷺ ثم قال : نعم ،
والذي بعثك بالحق (نبياً) لنمنعك مما تمنع منه أزرنا^(٢) فبايعنا
يا رسول الله ، فنحن والله أبناء الحروب ، وأهل الحلقة^(٣) ورثناها
كأبراً (عن كابر) ، وبينما البراء بن معرور يتكلم مؤكداً القيام
بالتزام ما يفرض هذا الحلف من دفاع عن النبي ﷺ ، اعترض أبو
الميثم بن التيهان^(٤) قائلاً :

يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً ، وإنا قاطعوها - يعني
اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى
قومك وتدعنا ؟ فتبسم الرسول ﷺ ثم قال :

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) أزرنا أى نساءنا ، والمرأة قد يكتفى عنها بالإزار :

(٣) الحلقة (بفتح الحاء) السلاح :

(٤) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

بل الدم الدم ، والمدم المدم ^(١) . أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

وبعد أن ارتضى الأنصار (بالإجماع) شروط البيعة وأرادوا الشروع في عقدها بالمصافحة طلب منهم العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ^(٢) قائلا (ليعرف مدى استعداد قومه للتضحية في سبيل تنفيذ ما عقدوا لرسول الله ﷺ من حلف ومبايعة) :

يامعشر الخزرج ... هل تدرون علام تبائعون هذا الرجل ؟ .
قالوا .. نعم

« قال .. إنكم تبائعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنهكت أموالكم مصيبة ، وأشرافكم قتلا أسلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله (إن فعلتم) خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتهم إليه على نهكة ^(٣) الأموال وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة » .

قالوا .. « فإننا نأخذه على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف » .. ثم التفتوا إلى رسول الله ﷺ قائلين :

فمالنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ .. قال .. الجنة ، قالوا .. ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه .

(١) كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار :: دمي دمك ، وهدي هدمك ، وهي كلمة تعني أن ذمتي ذمتك وحرمتي حرمتك ، قاله ابن قتيبة وابن هشام .

(٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٣) نهكة الأموال :: نقصها .

معاهدة غير مكتوبة

ولتبادل الثقة المطلقة بين الفريقين استعاضوا (عن تسجيل هذه المعاهدة والتوقيع عليها كتابياً) بالمبايعة بالأيدى .. وكانوا يرون ذلك (لشدة إيمانهم ولسجية الوفاء المتأصلة في نفوسهم الشريفة) أعظم من إبرام المعاهدة كتابياً ، فقد بسط رسول الله ﷺ لهم يده الشريفة فبايعهم واحداً واحداً ، وبهذا اعتبرت المعاهدة نافذة المفعول .. هذا من جانب الرجال .. أما الجناح النسوى في هذه الطليعة المباركة .. والذي تمثله امرأتان .. هما أم عمارة ، نسيبة بنت كعب المازنية ، وأسماء بنت عمرو ، فلم يبايعن رسول الله ﷺ بالأيدى لأنه ﷺ ما صافح امرأة أجنبية حتى توفاه الله ^(١) ، ولذلك كانت مبايعتهما بالموافقة التامة على بنود المعاهدة .

النقباء الإثنا عشر

وبعد أن تمت المراسيم العامة للبيعة بالمصافحة من الجميع ، طلب رسول الله ﷺ من المبايعين انتخاب اثني عشر زعيماً من زعمائهم ليكونوا نقباء على قومهم وكفلاء مسئولين عنهم في تنفيذ بنود هذه المعاهدة قائلاً : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم فتم انتخابهم في الحال ، وبعد أن قُدِّموا لرسول الله ﷺ أخذ عليهم النبي ﷺ العهد (كرؤساء مسئولين) قائلاً :

(١) روى الواقدي أن زوج أم عمارة (عربة بن عمرو) قال — ساعة إبرام هذه المعاهدة — يا رسول الله هاتان امرأتان (أم عمارة وأم سبيع) حضرتا مبايعتك ، فقال صلى الله عليه وسلم : قد بايعتهما على ما بايعتكم عليه ، إني لا أصافح النساء .

« أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، وأنا كفيل على قومي » - يعنى المسلمين قالوا . نعم ^(١) .

الجاسوس الذى اكتشف المعاهدة

وقد تم إبرام هذا الحلف العسكرى فى هدوء تام وانسجام كامل ، غير أن القوم ما كادوا يفرغون من إبرام هذا التحالف حتى اكتشفه أحد الشياطين الذين يعملون فى مخابرات مشركى مكة ، فقد كان هؤلاء الجواسيس يراقبون حركات محمد ﷺ لتزويد زعماء قريش بالمعلومات عن مدى نشاط دعوته ، وخاصة فى موسم الحج الذى يتزايد فيه نشاط النبي ﷺ بين قبائل العرب التى كان يتصل بزعمائها ويدعوهم وقومهم إلى الإسلام .

ولما كان اكتشاف هذا الجاسوس لاجتماع الأنصار بالنبي جاء متأخراً ، بحيث لا يمكن إبلاغ زعماء قريش خبر هذا الاجتماع سراً ليباغتوا المجتمعين وهم فى الشعب ، حيث جاء هذا الاكتشاف فى اللحظة الأخيرة من الاجتماع الذى كان على وشك الرفضاض .. لما كان الأمر هكذا وقف هذا الجاسوس على مرتفع يشرف على (منى) حيث يخيم الحجاج وصاح بأعلى صوته يلفت نظر قريش إلى الخطر الذى يتهددهم قائلا :

يا أهل الجبابب (أى المنازل) .. هل لكم فى مذمم ^(٢) والصباء ^(٣) معه قد اجتمعوا على حربكم .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٦ :

(٢) كان مجرمو كفار مكة يسمون النبي صلى الله عليه وسلم مذمماً :

(٣) الصبابة جمع صابى ، وهو (الصابى) بالهمزة ، وكان يقال للرجل إذا أسلم (فى زمن النبي عليه السلام) صابى .

استعداد الأنصار لضرب قريش في منى

وعند سماع الأنصار صوت الجاسوس وهو ينبه قريشاً إلى ذلك الاجتماع في العقبة ، قال أحد زعماء الأنصار (وهو العباس بن عباد ابن نضلة) وكان أحد النقباء الإثني عشر .. قال يخاطب النبي ﷺ والاجتماع على وشك الرفض .. : والذي بعثك بالحق ، إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسافنا ؟ .

إلا أن النبي ﷺ لم يوافق على فكرة هذا الهجوم قائلاً للزعيم الأنصاري البطل :

لم نؤمر بذلك ..

ثم سمح رسول الله ﷺ لطليعة يثرب المباركة بالانصراف إلى رحالهم .

فانصرف أبطال العقبة إلى رحالهم في منى وقد أرسوا قواعد النضال المسلح لحماية دعوة الإسلام والدفاع عن حاملها ، وبهذا كتبوا الفصل الأول في تاريخ تحول مجرى الصراع بين الإسلام والوثنية .

قريش تتقدم باحتجاجها على المبايعة

وفي صبيحة تلك الليلة التي تم فيها ذلك الحدث الخطير (بيعة العقبة) وعلى أثر ما نقله إليها جاسوسها من خبر هذه البيعة ، توجه وفد كبير من زعماء مكة وقادتها إلى مضارب أهل يثرب في منى ليقدموا احتجاجهم الشديد على ما تم من إبرام هذا التحالف العسكري بين النبي ﷺ وأهل يثرب .

فقد قالوا (في احتجاجهم هذا) .. يامعشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا (يعني النبي ﷺ) تستخرجونه من بين

أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم .

ولما كان مشركو الخزرج لا يعلمون شيئاً عن التحالف الذى تم بين الفئة المسلمة من قومهم وبين النبي ﷺ لأنه تم فى ظلام الليل وفى سرية تامة ، انبرى هؤلاء المشركون من اليثريين يحلفون بالله لقريش أن شيئاً من هذا لم يتم .

حتى إن عبد الله بن أبى بن سلول ^(١) (زعيم الخزرج) أكد لقريش عدم حدوث شىء من هذا قائلاً :

والله إن هذا الأمر جسيم ، ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا ، وما علمته كان ^(٢) .

وقد كان الذين قاموا بإبرام معاهدة العقبة حاضرين فى نادى قومهم ساعة أن تقدم زعماء مكة باحتجاجهم إلى زعماء يثرب ، وكان بعضهم ينظر إلى بعض وقد لاذوا بالصمت ، فلم يتحدث أحد منهم بنفى أو إثبات . لا سيما بعد أن رأوا زعماء قريش قد مالوا إلى تصديق شركاءهم فى الوثنية من زعماء يثرب .

تأكد خبر البيعة لدى قريش

وبعد أن سمع زعماء مكة جواب قادة الخزرج على الاحتجاج الذى تقدموا به عادوا إلى منازلهم وهم على ما يشبه اليقين بأن خبر هذه البيعة إنما هو من قبيل المبالغة ، ولكنهم (مع هذا) بقى الشك عالقاً بنفوسهم حيال هذا الأمر ، فأخذوا فى التحرى يتنظسون الخبر ،

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٤٩ :

فوجدوا أن البيعة قد تمت فعلاً ، فقامت قيامتهم فسارع فرسانهم إلى مطاردة اليربيين عليهم يظفرون بالذين أبرموا تلك المعاهدة أو بعضهم لينتقموا منهم ، ولكن حركة المطاردة هذه جاءت بعد فوات الأوان ، حيث لم تقم قريش بها إلا بعد أن نفر الحجيج كل إلى وطنه إلا أن المطاردين تمكنوا من إلقاء القبض على أحد سادات المسلمين اليربيين الذين اشتركوا في إبرام هذه المعاهدة وهو (سيد الخزرج سعد بن عبادة) انذى عادوا به إلى مكة ، والذي أجاره فيما بعد رجلا نهما : جبير ابن مطعم ^(١) والحارث بن أمية ، ثم أطلق سراحه .

أسماء الطليعة المباركة من الأنصار

وهنا يجدر بنا أن نحلى جيد هذا الكتاب بذكر أسماء الطليعة المباركة من الأوس والخزرج الذين وضعوا بتحالفهم العسكري مع النبي أسس النضال المسلح لحماية دعوة الإسلام وحامل لوائها من عبث العابشين وطيش المستهترين ، فصاروا بذلك (رضى الله عنهم وأرضاهم) طليعة القوات الرادعة التى أدب بها الإسلام (فيما بعد) الجبابرة ونكس أعلام الطغيان والجبروت .

عدد أبطال معاهدة العقبة

لقد بلغ عدد أبطال هذه المعاهدة العسكرية المباركة ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان .. منهم أحد عشر رجلاً من الأوس ، واثنان وستون رجلاً وامرأتان من الخزرج ^(٢) . وأسماؤهم كما يلي :

(١) انظر ترجمتهما فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

من شهدا من الأوس

أ- من بنى عبد الأشهل ثلاثة نفر ، وهم :

- ١- أسيد بن حضير ^(١) .
- ٢- أبو الهيثم بن التيهان ^(٢) (حليف لهم) من بلى .
- ٣- سلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة ^(٣) .

ب- ومن بنى حارثة ثلاثة نفر ، وهم :

- ١- ظهير بن رافع بن عدي ^(٤) .
- ٢- أبو بردة بن نيار ^(٥) (حليف لهم) من قضاة .
- ٣- نهير بن الهيثم ^(٦) .

ج- ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك ، خمسة نفر .

- ١- سعد بن خيثمة ^(٧) .
- ٢- رفاعة بن عبد المنذر ^(٨) .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٣) سلمة بن سلامة هذا شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كما شهد بيعة العقبة الأولى مع أسعد بن زرارة ، كان من فضلاء الصحابة ، ولاء عمر ابن الخطاب اليامة ، ولما قال عبد الله بن أبي المنافق (لن رجعتا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) قال ابن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبعث سلمة بن سلامة ابن وقش يأتيك برأسه ، مات سلمة سنة أربع وسبعين هـ .

(٤) شهد ظهير بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(٥) شهد أبو بردة بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مات في خلافة معاوية سنة خمس وأربعين هـ بعد أن شهد مع علي بن أبي طالب كل حروبه ضد منافقيه .

(٦) لم يشهد هذا الصحابي الجليل بدرًا :

(٧) تقدمت ترجمته في هذا الكتاب :

(٨) شهد رفاعة بدرًا وقتل شهيداً في معركة خيبر ، وهو أخو أبي بابة الصحابي

الشهير :

٣ - عبد الله بن جبير ^(١) .

٤ - معن بن عدى بن الجد (حليف لهم) من بلى .

٥ - عويم بن ساعدة ^(٢) .

عدد الذين شهدوا العقبة من الخزرج

أ - من بنى النجار أحد عشر رجلاً ، وهم :

١ - أبو أيوب الأنصارى .. خالد بن زيد بن كليب ^(٣)

٢ - معاذ بن الحارث بن رفاعه وهو ابن عفراء .

٣ - أخوه عوف بن الحارث .

٤ - وأخوه معوذ بن الحارث ^(٤) .

(١) كان قائد الرافة في معركة أحد ، وقد قتل فيها شهيداً .

(٢) انظر ترجمته كاملة في الإصابة :

(٣) هو الصحابي الجليل المشهور (بأبي أيوب الأنصارى) شهد بدرأ مع رسول صلى الله عليه وسلم والمشاهد كلها ، وكان بيته مقرأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند هجرته حيث نزل عليه وكان يسكن معه حتى تم بناء المسجد وبيته ، أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير العبدري ، شهد الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، ولاء أمير المؤمنين (على) المدينة لما توجه إلى العراق ، وشهد مع على قتال الخوارج ، ظل يواصل الجهاد ، كانت آخر غزوة غزاها القسطنطينية في أيام معاوية ، فقد جهز معاوية جيشاً عظيماً بقيادة ابنه يزيد ، وقد حاصر هذا الجيش القسطنطينية من البر والبحر ، وكان فيه أبو أيوب رضى الله عنه ، وقد مرض في هذه الغزوة ، فجاءه قائد الجيش يزيد بن معاوية يعوده ، ثم سأل ما حاجتك (يا أبا أيوب ؟) ، قال : حاجتى ، إذا أنا مت فاركبني ما وجدت مساعاً في أرض العدو ، فإذا لم تجد فادفني ثم ارجع ، ففعل يزيد ذلك فدفن أبو أيوب في أرض الروم بالقرب من القسطنطينية (أسطنبول) وكان ذلك سنة خمس وخمسين هـ .

(٤) هؤلاء الثلاثة الأبطال معاذ ومعوذ وعوف أبناء الحارث ، هم المشهورون بأبناء عفراء ، تقدمت ترجمة معوذ ومعوذ وعوف ، أما معاذ فقد ذكر البعض أنه استشهد يوم بدر ، ولم يذكره ابن إسحاق في القتلى ، أما عوف ومعوذ فقد استشهدا يوم بدر ، بعد أن شاركاني قتل (أبي جهل) .

٥- عمارة بن حزم بن زيد .

٦- أسعد بن زرارة .

٧- سهل بن عتيك .

٨- أوس بن ثابت بن المنذر .

٩- أبو طلحة ، زيد بن سهل^(١) .

١٠- قيس بن أبي صعصعة^(٢) .

١١- عمرو بن غزية بن عمرو .

ب- ومن بنى الحارث بن الخزرج سبعة نفر ، وهم :

١- سعد بن الربيع^(٣) .

٢- خارجة بن زيد بن أبي زهير^(٤) .

٣- عبد الله بن رواحة .

٤- بشير بن سعد بن ثعلبة .

٥- عبد الله بن زيد بن ثعلبة .

٦- خلاد بن سويد بن ثعلبة .

٧- عقبة بن عمرو بن ثعلبة .

ج- ومن بنى بياضة بن عامر ثلاثة نفر ، وهم :

١- زياد بن لبيد بن ثعلبة .

٢- فروة بن عمرو بن وذفة .

٣- خالد بن قبيس بن مالك .

(١) تقدمت ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) ؛

(٢) انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر ؛

(٣) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) ؛

(٤) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) ؛

د- ومن بنى زريق بن عامر ، أربعة نفر ، وهم :

١- رافع بن مالك بن العجلان .

٢- ذكوان بن عبد قيس بن خلدة ^(١) .

٣- عباد بن قيس بن عامر .

٤- الحارث بن قيس بن خالد .

هـ- ومن بنى سلمة بن سعد أحد عشر رجلاً ، وهم :

١- البراء بن معرور ^(٢) .

٢- سنان بن صيفى بن صخر .

٣- مسعود بن يزيد بن سبيع .

٤- يزيد بن حرام بن سبيع .

٥- جبار بن صخر بن أمية .

٦- الطفيل بن النعمان بن خنساء .

٧- معقل بن المنذر بن سرح .

٨- يزيد بن المنذر بن سرح .

٩- الضحّاك بن حارثة بن زيد .

١٠- بشر بن البراء بن معرور .

١١- الطفيل بن مالك بن خنساء .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) هو البراء بن معرور بن صخر بن سنان الخزرجى صحابى فاضل مشهور كان سيداً من سادات الأنصار وكان من أعلمهم ، وهو أول مسلم استقبل الكعبة حياً ، توفي البراء بن معرور قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بشهر واحد ، ولما وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة مهاجراً صلى على قبر البراء رضى الله عنه وكبر أربعاً :

و- ومن بنى سواد بن غنم بن كعب رجل واحد ، وهو :

١- كعب بن مالك بن أبي كعب .

ز- ومن بنى غنم بن سواد خمسة نفر ، وهم :

١- سليم بن عمرو بن حديدة .

٢- قطبة بن عامر بن حديدة .

٣- يزيد بن عامر بن حديدة .

٤- أبو اليسر .. كعب بن عمرو .

٥- صيفى بن سواد بن عباد .

ح- ومن بنى نابى بن عمرو بن سواد خمسة نفر ، وهم :

١- ثعلبة بن غنمة بن عدى .

٢- عمرو بن غنمة بن عدى .

٣- عيسى بن عامر بن عدى .

٤- عبد الله بن أنيس (حليف لهم من قضاة) .

٥- خالد بن عمرو بن عدى .

ط- ومن بنى حرام بن كعب بن غنم سبعة نفر ، وهم

١- عبد الله بن عمرو بن حرام ^(١) .

٢- جابر بن عبد الله ^(٢) .

٣- معاذ بن عمرو بن الجموح .

٤- ثابت بن الجذع .

٥- عمير بن الحارث بن ثعلبة .

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) :

٦- خديج بن سلامة بن أوس بن عمرو (حليف لهم من بني) .

٧- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس^(١) .

ى- ومن بني عوف بن الخزرج أربعة نفر ، وهم :

١- عبادة بن الصامت^(٢) .

٢- العباس بن عبادة بن نضلة .

٣- يزيد بن ثعلبة بن حزمة (أبو عبد الرحمن) .

٤- عمرو بن الحارث بن لبدة بن عمرو .

ك- ومن بني سالم بن غنم بن عوف رجلان ، وهما :

١- رفاعة بن عمرو بن زيد .

٢- عقبة بن وهب بن كلدة (حليف لهم من غطفان) .

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى بن كعب الأنصارى الخزرجى ، الصحابى الجليل المشهور ، كان الإمام المقدم فى علم الحلال والحرام ، قال أبو إدريس الخولانى ... كان أيضاً وضىء الوجه ، وكان شاباً سمحاً من خيرة شباب قومه ، شهد المشاهد كلها مع الرسول صلى الله عليه وسلم شهد بدرأ وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن ، وعندما ولاء النبي صلى الله عليه وسلم على اليمن كتب إليهم . إني بعثت إليكم خير أهلى ، توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذ باليمن وقدم المدينة فى خلافة أبى بكر ، مات بالطاعون فى الشام سنة ١٤ هـ روى معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث وسبعة وخمسون حديثاً .

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس الأنصارى الخزرجى الصحابى المشهور ، كان من القواد العسكريين فى فتح مصر تحت أمره القائد عمرو ابن العاص ، وقد كان رئيس الوفد الذى أرسله ابن العاص للتفاوض مع المقوقس حاكم مصر (أيام الرومان) ، وقد ولاء أبو عبيدة بن الجراح امارة حمص بالشام ، كان عبادة طويلاً جسيماً جميلاً ، ولهذا طلب المقوقس عدم التحدث إليه لأن نفسه قد امتلأت خوفاً منه : مات عبادة بالرملة من فلسطين سنة ٣٤ و قبل سنة ٤٥ هـ :

ل-ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلاً ، وهما :

١- سعد بن عباد^(١) .

٢- المنذر بن عمرو بن خنيس .

فهؤلاء هم ثلاثة وسبعون رجلاً (من الأوس والخزرج) قاموا بإبرام معاهدة العقبة مع النبي ﷺ .

المرأتان اللتان اشتركتا في المعاهدة

أما المرأتان اللتان اشتركتا في إبرام معاهدة العقبة فهما من الخزرج وهما :

١- نسبية بنت كعب بن عمرو (وهى أم عمارة) .

٢- أم منيع ، واسمها (أسماء بنت عمرو بن عدى) .

أسماء النقباء الإثني عشر

أما النقباء الذين انتخبهم قومهم (من الأوس والخزرج) ليكونوا كفلاء عليهم في تنفيذ هذه المعاهدة العسكرية (كما طلب الرسول ذلك) فهم إثنا عشر .. تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس ، وهم :

نقباء الخزرج

١- أسعد بن زرارة .

٢- سعد بن الربيع .

٣- عبد الله بن رواحة .

٤- رافع بن مالك العجلان .

٥- البراء بن معرور .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

٦- عبد الله بن عمرو بن حرام .

٧- عبادة بن الصامت .

٨- سعد بن عبادة .

٩- المنذر بن عمرو ^(١) .

نقباء الأوس

١- أسيد بن حضير .

٢- سعد بن خيثمة .

٣- رفاعة بن عبد المنذر بن زبیر ^(٢)

الحدث العظيم

وبعد هذا الحدث العظيم (قيام التحالف العسکرى بين النبی وأهل یثرب) أخذ القلق یساور کفار مکة بشكل لم یسبق له مثیل ، فقد تجسد أمامهم الخطر الحقیقی العظیم الذی یتهدد کیانهم الوثنی ، نتیجة هذا التحالف العسکرى .

فأهل مکة یعلمون ما علیه قبائل الأوس والخزرج من قوة ومنعة ، وما بین هاتین القبیلتین من حروب أهلیة متواصلة ضاق عقلاؤهما بها ذرعاً ، وأن ذلک مما قد ییسر لدعوة محمد الانتشار بینهم ، لما فی أصولها من حث علی حقن الدماء والدعوة إلی التآخی ونہذ الأحقاد ،

(١) هو المنذر بن عمرو بن خنیس بن حارثة بن لوذان الخزرجی الأنصاری ، صحابی جلیل مشهور ، شهد بدر ، وكان أحد الشهداء الذین غدرت بهم قبائل عامر فی نجد فی بئر معونة ، له حدیث واحد رواه عن رسولہ الله صلی الله علیه وسلم :

(٢) هو رفاعة بن المنذر بن رفاعة بن زبیر ، أخو أبی لبابة الصحابی الشهیر ، شهد رفاعة بدر واستشهد فی معركة خیبر .

الأمر الذى لو نجحت فيه دعوة الإسلام لكانت القضية على سلطان مكة السياسى والدينى والعسكرى .

لذلك أخذت قريش تفكر فى الأمر أكثر من أى وقت مضى لانتخاذ الخطوات العملية السريعة الحاسمة لقطع تيار نور دعوة الإسلام نهائياً .
ولذلك تعددت الاجتماعات فى برلمان مكة للتباحث فى هذا التطور الخطير الذى طرأ على الدعوة الإسلامية بسبب ذلك الدعم العسكرى المخيف الذى حصل عليه حامل لواء هذه الدعوة من قبل قبائل الأوس والخزرج فى المدينة .

هجرة المسلمين قبل النبى ﷺ

وبينما كان المشركون المكيون من جانبهم يوالون الاجتماعات فى برلمانهم لبحث الموقف الطارئ ، وكان النبى ﷺ من جانبه غير غافل عما تفكر فيه قريش وترسمه من مخططات آثمة للقضاء عليه وعلى دعوته .

فبعد أن تمركزت دعوة الإسلام فى يثرب ووجدت لها حماة أقوياء عاهدوا الله على بذل الدم فى سبيل الذود عنها والدفاع عن حاملها ، سارع وأصدر أوامره إلى أصحابه المكيين بأن يلتحقوا بيثرب ليدعموا الجبهة الجديدة التى أراد الله أن تكون (فيما بعد) القاعدة العسكرية الكبرى التى استند عليها النبى ﷺ فى كل حربه التى خاضها مع أعداء الإسلام .
فشرع أصحاب النبى (من أهل مكة) فى مغادرة هذه المدينة المكرمة فى اتجاه يثرب ، وكانت هجرتهم ، متفرقين فرادى ، أو فى جماعات قليلة ، وقد فعلوا ذلك (بموجب خطة سياسية حكيمة) القصد من

اتباعها التعمية على قريش لئلا تكتشف الهدف الذى يكمن وراء هذه الهجرة .

غير أن قريشاً التى لم تنم عين استخباراتها عن مراقبة المسلمين اكتشفت الأمر ، واتضح لها أن هجرة المسلمين إلى يثرب تنم باستمرار وبناتظام وحسب خطة مرسومة ومن أجل تحقيق غاية عسكرية تستهدف القضاء على الكيان الوثنى فى الدرجة الأولى .

فقامت بعدة محاولات لمنع المسلمين من الهجرة إلى المدينة ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل إذ لم تستطع أن تمنع من الهجرة إلا المستضعفين (وهم قلة) حبست البعض منهم وعذبت البعض الآخر ، أما بقية المسلمين فقد هاجر أكثرهم دون أن يقدر أحد على منعه ، ومن هؤلاء : عمر بن الخطاب - والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير العبدري ، وعثمان بن عفان ، وغيرهم .

التطورات الخطيرة

لقد ظلت قريش تقاوم دعوة محمد ﷺ بمختلف الوسائل ثلاث عشرة سنة ، فجربت كل أساليب الإرهاب والتهديد والمضايقة ، وشتت على النبي وعلى دعوته حرباً دعائية واسعة منظمة ، واتبعت ضده ومن ناصره سياسة التجويع والمقاطعة ، وعذبت وحبست المستضعفين من أتباعه وشتت عليهم حرباً نفسية مفضية ، فقد كانت (بحق) مقاومة عنيفة مرهقة .

غير أن هذه المقاومة بالرغم من عنفها وضراوتها لم تصل إلى إعلان الحرب واشهار السلاح .

ولقد كان النبي ﷺ يتحمل وأتباعه كل ما يلاقونه من قريش من عنت ومتاعب وويلات ، فيمشي ﷺ قدماً في نشر دعوته وإبلاغ رسالته في كل وسط يتسنى له الاتصال به .

إلا أنه في السنة الأخيرة من هذا الكفاح السلمي حدثت من جانب مشركي مكة تطورات هامة غيرت مجرى النضال تغييراً كلياً .

القرار الظالم

فقد ضاق المشركون ذرعاً بمحمد ودعوته ، بعد أن أثبتت لهم الأيام فشل خططهم غير الحربية التي ساروا عليها لمقاومة دعوة الإسلام والقضاء عليها في المهد ، وشعروا بتفاقم الخطر الذي يهدد كيانتهم الوثني ، لاسيما بعد أن قامت تلك الجبهة القوية المعادية لهم على أثر التحالف العسكري الذي تم بين النبي ﷺ وأهل يثرب ، فصاروا يبحثون عن أنجح الوسائل لدفع هذا الخطر الذي مبعثه الوحيد حامل لواء دعوة الإسلام محمد ﷺ .

ففي أوائل شهر ربيع الأول (وعلى رأس السنة الثالثة عشرة) من بعثة الرسول الأعظم ﷺ عقد برلمان مكة (دار الندوة) أخطر اجتماع له في تاريخه .

جلسة تاريخية يعقدها برلمان مكة

فقد توافد إلى برلمان مكة (في ذلك اليوم التاريخي) جميع نواب القبائل القرشية ، وتدارسوا في هذا الاجتماع الخطير ما يجب اتخاذه من خطوات سريعة حاسمة ، تكفل القضاء على حامل دعوة الإسلام وتقطع تيار نور هذه الدعوة عن الوجود نهائياً ، ليكتب البقاء لوثنينم التي تؤكد لديهم أن أيام بقائها ستكون قليلة جداً ، إذا لم يتم

القضاء (سريعاً) على خصمها القوى (الإسلام) الذى شرع حامل لوائه
فى إعداد العدة لسحقها وتطهير الأرض من رجسها .

وقد كانت الوجوه البارزة (فى هذا الاجتماع الخطير) من نواب
قبائل قريش :

- ١- أبو جهل بن هشام .. عن قبيلة بنى مخزوم .
 - ٢- جبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطعيمة
ابن عدى .. عن قبيلة بنى نوفل بن عبد مناف .
 - ٣- عتبة بن ربيعة ، وشيبة أخوه ، وأبو سفيان بن حرب .. عن
قبيلة بنى عبد شمس بن عبد مناف .
 - ٤- النضر بن الحارث بن كلدة (وهو الذى قتله النبى صبراً فى
وادي الصفراء بعد معركة بدر) نائباً عن بنى عبد الدار .
 - ٥- أبو البختری بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم
ابن حزام ، عن قبيلة بنى أسد بن عبد العزى .
 - ٦- نبيه ومنبه أبناء الحجاج .. عن قبيلة بنى سهم .
 - ٧- أمية بن خلف ..^(١) عن قبيلة بنى جمح .
- كما حضر نواب غيرهم عن جميع القبائل القرشية .

منع أهل تهامة من حضور الجلسة

وقد أمر رئيس البرلمان الحرس أن يمنعوا أهل تهامة (التى منها
يثرب) من حضور هذه الجلسة ، لأن هواهم (كما تقول قريش)
مع النبى ﷺ ، وأمرهم بأن يسمحوا بالدخول لغيرهم ، وخاصة أهل

(١) أمية بن خلف هذا هو أحد زعماء مكة الذين قتلهم المسلمون فى معركة بدر :

نجد ، ويظهر أنه كان من عادة القرشيين أن يسمحوا لغير النواب بشهود جلسات المناقشة في برلمان مكة .

وبعد أن تكامل نواب القبائل ، دار النقاش بينهم طويلاً . وتقدم النواب بمختلف الإقتراحات والحلول ، إلا أن أكثر هذه الإقتراحات ، رفضت من قبل النواب بأكثرية ساحقة .

فقد تقدم أبو الأسود ربيعة بن عمرو (أحد نواب قبيلة بني عامر ابن لؤى) باقتراح يقضى بنفى النبي ﷺ وإخراجه من مكة . غير أن هذا الاقتراح رفض في الحال ، بعد أن انتقده أحد النواب وشرح ما في تنفيذه من خطر على مستقبل قريش قائلاً :

ما هذا لكم برأى . ألم تروا حسن حديثه (يعنى النبي ﷺ) وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، ثم اختتم ذلك النائب انتقاده لذلك الإقتراح قائلاً .. أديروا فيه رأياً غير هذا .

وهنا تقدم نائب آخر وهو أبو البختري بن هشام (أحد نواب قبيلة بني أسد بن عبد العزى) باقتراح يقضى باعتقال النبي ﷺ وإيداعه الحبس قائلاً :

أحبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، -- زهيراً والنابعة -- ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم .

ولكن هذا الاقتراح (أيضاً) رفضه برلمان مكة بعد أن شجبه أحد النواب قائلاً :

لا والله ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه - كما تقولون -
ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتن دونه إلى أصحابه ، فلاؤشكوا
أن يشبوا عليكم ، فينزعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى
يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره .

الإجماع على قتل النبي ﷺ

غير أن برلمان مكة وافق فى النهاية على اقتراح آثم تقدم به كبير
مجرمى مكة أبو جهل بن هشام (أحد نواب قبيلة بنى مخزوم) يقضى
هذا الاقتراح بقتل النبي ﷺ ، على أن تشترك فى قتله جميع قبائل
قريش لتكون كلها خصماً لمن أراد المطالبة بدمه فلا يجرؤ على ذلك .
فقال هذا الشيطان الطاغية (أبو جهل) فى اقتراحه :

والله إن لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا ... وما هو
يا أبا الحكم ؟؟

قال ... أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جلدأ نسيباً وسيطاً
فينأ ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعملوا إليه ، فيضربوه
ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه
فى القبائل . جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم
جميعاً ، فرضوا منا بالعقل (أى الدية) فعلقناه لهم .

فوافق برلمان مكة على هذا الاقتراح الآثم بالاجماع ، واعتمدت
قريش هذا القرار الغاشم ، وانصرف النواب من البرلمان وقد عقدوا
العزم على تنفيذه فوراً .

تطويق منزل الرسول ﷺ

وبعد أن أتخذ برلمان مكة هذا القرار الطالم الغاشم ، أبلغ الله
سبحانه وتعالى نبيه ذلك . وأمره بالهجرة إلى المدينة ، قال ابن إسحاق :

فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال .. لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه .

وفى تلك الليلة التى اتخذ فى يومها برلمان مكة قراره ذاك قامت فصيلة تمثل جميع قبائل قريش بتطويق بيت النبى ﷺ بغية تنفيذ المؤامرة الفظيعة التى تستهدف حياة الرسول الأعظم ﷺ ، الذى كان (فعلاً) موجوداً فى منزله ساعة تطويقه بالفتيان المسلحين الذين أوكل إليهم القيام بقتله .

فشل المؤامرة ونجاح الهجرة

وهكذا وقف الكفر على باب الإيمان ليطفى شعلته إلى الأبد وليحرم العالم من موجات نوره الساطعة التى أخذت تتدفق لتضى جنبات العالم المتوحلة فى ظلمات الجهل والكفر والظلم والانحراف .

ووقف قادة الشرك مع جندهم الذين أحاطوا بمنزل الرسول ﷺ ، ليشهدوا تنفيذ أبشع مؤامره دنيئة عرفها التاريخ من لدن آدم .

ووقف أبو جهل بالذات وقفة الزهو والخيلاء ، وكأنه قد ضمن نجاح المؤامرة .. وقف مخاطباً عصابته المحاصره للمنزل النبوى قائلاً (فى سخريه واستهزاء) :

« إن محمداً يزعم إنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان (الأردن) ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها » .

وقد كان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل ، وظل قادة مكة وجنودهم متيقظين فى انتظار ساعة الصفر ، ليفتكوا بالرسول الأعظم ﷺ ، ولكن الله غالب على أمره .

﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين ﴾ (١) .

فقد فشلت تلك المؤامرة الرهيبة ، حيث نجى الله من شرها رسوله ﷺ الذي خرج على المتآمرين وهم ينظرون إليه ولا يبصرون . خرج عليهم واخترق صفوفهم وفي يده حفنة من التراب ذرها على رؤوسهم المشحونة بالكفر والطغيان ، ذرها وهو يتلو قوله تعالى : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (٢) .

وقبل حلول ساعة الصفر بقليل : تجلت للكفر خيبة أملة ، وظهرت للطغيان انهيار خططه ، وعصفت رياح الحسرة بنفوس المتآمرين حينما آتاهم رجل ممن لم يكن معهم ، وهم وأقفون بباب منزل الرسول ﷺ ينتظرون دنو ساعة الصفر ، فقال لهم : ما تنتظرون ؟؟ .

قالوا .. محمداً .. قال .. خبيكم الله .. قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه تراباً وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟ .. فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فإذا عليه تراب .

ولكنهم كانوا على يقين بأن النبي ﷺ داخل المنزل ، ولهذا فقد تراحموا على باب منزل الرسول يتطلعون من شقوقه ، فيرون علياً رضي الله عنه (٣) على الفراش متسجياً ببرد رسول الله ﷺ ، فيظنونونه

(١) الأنفال : ٣٠ .

(٢) يس : ٩ .

(٣) روى ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم لما علم بعزم قريش على ألفتك به قال لعلي بن أبي طالب .. نم على فراشي وتسج ببردى هذا الحضرمي الأخضر ، =

رسول الله ، فيقولون والله أن هذا لمحمد نائماً عليه برده ، فيظنون نهياً
للشك والتردد لا يقدمون على عمل حاسم^(١) ، حتى طلع عليهم الصباح ،
وإذا بعلى بن أبى طالب رضى الله عنه ينهض من فراش الرسول ﷺ ،
وبهذا تبين لهم صدق ما قاله لهم ذلك الرجل الذى أخبرهم بخروج
النبي عليهم من منزله .

وهنا تأكد لكفار مكة أن النبي ﷺ قد أفلت (فعلاً) من
قبضتهم فجن جنون الشرك لهذا الفشل الذريع الذى انتهت إليه
مؤامراتهم الخبيثة .

كيف نجحت الهجرة

كان النبي ﷺ قد اتصل بصاحبه الأكبر (أبى بكر الصديق)
ليتفقا على خطة يغادران بموجبها مكة إلى المدينة . وذلك بعد أن
تبلغ النبي ﷺ ذلك القرار العاظم الذى اتخذ به برلمان مكة ضده .
فقد ذهب ﷺ إلى بيت الصديق لهذا الغرض . ولما كانت عملية
الهجرة (بالنسبة للنبي ﷺ) تعد مغامرة خطيرة فقد أحيطت بالكتمان
الشديد . حتى إن النبي ﷺ لما وصل إلى منزل صاحبه الصديق
للتشاور معه فى وضع الخطة ، طلب منه أن يأمر كل من عنده بالخروج
لئلا يتسرب شئ مما يدور بينهما حول هذا الموضوع الخطير .

= فم فيه ، فإنه لن يغفل إليك شئ ، تكرهه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينام فى برده ذلك إذا نام .

(١) لقد حاول المحاصرون لمتزل الرسول التسلل لقتله داخل المنزل فصاحت امرأة
من الدار ، فقال بعضهم لبعض ، والله إنها لسيبة فى العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا
الحيطان على بنات العم ، وهتكنا ستر حرمتنا ، فذاك الذى جعلهم يؤجلون تنفيذ قتل
الرسول حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ، ثم طمست أبصارهم ، فلم يروه حين خرج :
هكذا جاء فى الروض الأنف للسهيلى .

قال ابن إسحاق فيما رواه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت .. كان لا يخطئ رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله ﷺ في الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه ، أتانا رسول الله ﷺ بالمهاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها ، قالت .. فلما رآه أبو بكر قال .. ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة إلا لأمر حدث ، قالت .. فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله ﷺ ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسول الله ﷺ :

أخرج عني من عندك ، فقال .. يا رسول الله ، إنما هما ابنتاي ، وما ذاك ؟ فذاك أبي وأمي .

فقال ﷺ .. إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة ، قالت .. فقال أبو بكر :

الصحبة يا رسول الله ، قال ﷺ .. الصحبة .

قالت عائشة .. فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم إن أحداً يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ثم قال .. يا نبي الله ، أن هاتين راحلتان قد كنت أعددتكما لهذا ، فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلاً من بني الدؤل بن بكر وكان مشركاً - يلهما على الطريق فدفعاً إليه راحلتيهما فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما ^(١)

كيف خرج النبي ﷺ من مكة

وفي تلك الليلة التاريخية التي كانت بداية التحول الخطير في تاريخ الإسلام ، بل الإنسانية كلها ، وبينما كانت قريش (بزعمائها

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٨٤ :

وقادتها) تحيط بمنزل الرسول الأعظم ﷺ في انتظار الصباح للفتك به ^(١) - تنفيذاً للقرار الذي اتخذته برلمان قريش - كان محمد ﷺ وصاحبه الصديق يغادران منزل الأخير من باب خلفي ليخرجوا من مكة على عجل ، وقبل أن يطلع الفجر .

الاختفاء في الغار

ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشاً ستجدُّ في طلبه بمجرد علمها باختفائه من مكة ، ولما كان يعلم (كذلك) أن الطريق الذي ستتجّه إليه الأنظار (لأول وهلة) ليكون تحت مراقبة المطاردين ، هو طريق المدينة الرئيسي والمتجه شمالاً ، فقد سلك طريقاً ، من المستبعد أن تفكر قريش في مراقبته (وخاصة في المرحلة الأولى من البحث) وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمن .

وقد نجح النبي ﷺ في التعمية على كفار مكة ، حيث تمكن من قطع مسافة كبيرة خارج مكة دون أن يعرف أحد من أعدائه إلى أين اتجه .

ومع نجاح هذه الخطة في مرحلتها الأولى فإن النبي ﷺ قد أدخل في حسابه إمكان تطور عملية البحث والمطاردة واتساع نطاقها بحيث تشمل المنطقة التي سلكها في هجرته فتصبح تحت المراقبة . ولهذا قرر النبي ﷺ صبيحة تلك الليلة التاريخية التوقف (مؤقتاً) عن مواصلة السير حتى يسكن الناس وتهداً نائرة زعماء مكة ، واتفق

(١) ذكرنا فيما مضى أن قريشاً أخرت ميعاد الفتك بالنبي حتى الصباح على أثر صباح المرأة من داخل المنزل عندمارأت كفار مكة يهيمون بتسور المنزل .

مع صاحبه الصديق على أن يختفيا في غار يقع في جبل جنوب مكة واسمه (ثور) .

المطاردة

أما قريش فقد طار صوابها وأسقط في أيديها حينما تأكد لديها إفلات الرسول ﷺ من قبضتها ونجاته من شر مؤامرتها .

فقد تجسد أمام زعمائها الخطر الجسيم الذي يتهدد كيانها الوثني نتيجة إفلات النبي محمد من قبضتها ، فقد كان إصرارها على الفتك بالنبي لا يستهدف قتل شخصه بقدر ما يستهدف قتل دعوته ، ولهذا فهي تعلم أن وصوله إلى يثرب سالماً يعني أن جبهة مسلحة قوية منظمة ستقف ضدها في جانب الإسلام بقيادة النبي في المدينة ، الأمر الذي يعرض تجارتها بين مكة والشام للخطر الشديد ، ويجعل مكة نفسها معرضة لغزو مسلح قد تقوم به المدينة فيعصف بكيان قريش الوثني . لذلك سارع زعماء مكة إلى عقد جلسة طارئة مستعجلة لاتخاذ الخطوات الفعالة الحاسمة لمنع الرسول من الوصول إلى يثرب بأيّة وسيلة ممكنة .

وبسرعة قرر برلمان مكة بالإجماع وضع جميع الطرق النافذة من مكة (من جميع الجهات) تحت المراقبة المسلحة الشديدة (وخاصة الطرق المؤدية إلى المدينة رأساً) لمنع الرسول وصاحبه من الهجرة واعتقالهما .

مائة ناقة مكافاة

كما وافق برلمان مكة على إعطاء مكافأة ضخمة قدرها مائة ناقة لمن يلقى القبض على النبي ﷺ ويعيده إلى قريش حياً أو ميتاً .

وقد أعلنت مكة ذلك على الجمهور ، وهنا تجندت مكة بأكملها للبحث عن النبي ﷺ وصاحبه ، فانتشر فرسانها ومشاتها وقصاصوا الأثر في الشعاب والرواد والجبال والوديان يفتشون عن النبي ﷺ ، رضى الله عنه ، وكان التفتيش دقيقاً للغاية .

يفتشون بيت الصديق

وكان أبو جهل أشد زعماء مكة هياجاً وأكثرهم امتلاء بالغیظ لنجاة الرسول ﷺ من شر مؤامرتهم الخبيثة ، فقد ذهب هذا الحاقد (في نفر من زعماء مكة) إلى بيت أبي بكر الصديق لتفتيشه بحثاً عن الرسول ﷺ ، ولما وقفوا على الباب خرجت إليهم أسماء بنت أبي بكر الصديق ، فقالوا لها :

أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ فقالت لهم ... لا أدرى .

وهنا رفع أبو جهل المجرم يده وكان (كما قال ابن إسحاق) فاختشأ خبيثاً ، فلطم خدّها حتى سقط منه قرطها من شدة اللطمة .

المطاردون على باب الغار

واستمر التفتيش عن النبي ﷺ وصاحبه الصديق ثلاثة أيام متوالية ، ولكن دونما جدوى ، إذ لم يعثروا له على أى أثر ، فقد ظل ﷺ طيلة هذه الأيام الثلاث مختفياً مع صاحبه في الغار الذي لم تسلم منطقته من تفتيش قريش الدقيق ، فقد وصل المطاردون في بحثهم إلى باب الغار الذي يمكن فيه محمد ﷺ وصاحبه وكادوا يكتشفونهما لولا عناية الله سبحانه وتعالى .

فهناك (وعلى مقربة من الغار) سأل كفار مكة أحد الرعاة فيما إذا كان رأى محمداً ﷺ وصاحبه ، فكان جوابه إنه لم ير أحداً ، ولكنه من المحتمل أن يكونا في هذا الغار وأشار إلى غار ثور .

وهنا توقفت نبضات التاريخ ، ووقفت الإنسانية المعذبة على مفترق الطرق ، فإما إلى الارتكاس في حماة البغي والظلم والفساد من جديد ، وإما إلى التخلص من ذلك وفتح صفحة جديدة مشرقة على يد الرجل الذى يكمن في الغار وجاءت قريش تطلب رأسه .

إن الله معنا

ففى تلك اللحظات التى تقرر فيها مصير العالم بأجمعه ، تسلق بعض المطاردين القرشيين الصخور ناحية الغار على أثر سماع ما قاله الراعى ، ليقوموا بتفتيش هذا الغار بحثاً عن النبي وصاحبه ، وكان أبو بكر الصديق (الذى قد سمع حديث الراعى وشعر باقتراب فتیان قريش من الغار) يتصبب عرقاً من الخوف ، واقترب من الرسول الأعظم ﷺ ليقول له هامساً (فى خوف وفزع) : « لو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لأبصرنا » ، ولكن الرسول الأعظم أجاب الصديق فى طمأنينة النبي الواصل من صدق وعده ربه قائلاً : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟؟

وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه .. فقد رجع القرشيون الذين تسلقوا الصخور دون أن يدخلوا الغار ، بعد أن وقفوا على بابه ، ولم يبق بينهم وبين الوصول إلى النبي إلا عدة خطوات قليلة .

ولما رجعوا هكذا سألهم أصحابهم لماذا لم ينظروا في الغار وقد وصلوا إلى مدخله ؟؟ فكان جوابهم :

إن على باب العنكبوت قبل أن يولد محمد ، وقد رأينا حمامتين وحشيتين بقم الغار ، فعرفنا أن ليس به أحد .

فاقتنع قادة المطاردين بخلو الغار من النبي وصاحبه ، فعادوا أدراجهم إلى مكة وقد ملوا من البحث ويئسوا من العثور على النبي ﷺ وصاحبه .

وهنا تنفست الإنسانية المبهورة الصعداء من جديد ، وكتب الله لها أن تسعد فترة من الزمن على يد الذي كان مختفياً في الغار مع صاحبه والذي نجاه الله من شر أعدائه .

أيام الغار الثلاث

وكان النبي ﷺ طيلة اختفائه وصاحبه في الغار لا يعلم بهما أحد سوى عبد الله بن أبي بكر^(١) وعامر بن فهيرة مولى^(٢) أبي بكر رضي الله عنه .

وكان النبي (ضمن الخطة المرسومة للهجرة) قد كلف عبد الله ابن أبي بكر أن يقوم بأعمال الاستخبارات ، فيكون عيناً على قريش ،

(١) هاجر عبد الله هذا بعد أبيه بعيال أبي بكر جميعاً ، في صحبة طلحة بن عبيد الله ، وكان عند الهجرة شاباً صغيراً ، ولم يذكر المؤرخون أنه شهد شيئاً من المعارك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى فتح مكة وحنين وحصار الطائف ، وقد أصيب بسهم فمات منه بعد مدة طويلة في خلافة أبيه ، وبعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعين يوماً :

(٢) كان عامر بن فهيرة من السابقين الأولين في الإسلام ، وكان ممن نالهم التعذيب الشديد على أيدي زبانية قريش ، وكان عامر مولى للآزد فاشتراه أبو بكر من الطفيل ابن عبد الله بن سخرية ثم أعتقه ، لم أطلع على تاريخ وفاته :

فيسمع ما يقولون ، ويراقب ما يفعلون طيلة الأيام الثلاث ، ثم ينقل كل ذلك إلى النبي وصاحبه في الغار .

فكان يقضى سحابة نهاره مع المشركين في مكة يراقب ما يقولون ويفعلون ، فإذا حلَّ المساء ذهب إلى الغار ليبلغ الرسول وصاحبه كل ما سمع ورأى بشأنهما .

أما عامر بن فهيرة (مولى الصديق) فقد أوكلت إليه مهمة تموين النبي وصاحبه (طيلة اختفائهما في الغار) بالإضافة إلى القيام بأعمال تضييع معالم آثار أقدام عبد الله بن أبي بكر الذي يذهب إلى الغار ويعود منه يومياً .

فقد كان عامر بن فهيرة (حسب الخطة المرسومة) يقضى سحابة نهاره يرعى الغنم مع رعيان مكة ، فإذا أمسى راح على رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار ، فيحلبان ويذبحان ، وفي الوقت نفسه يتبع أثر عبد الله بن أبي بكر عند ذهابه إلى الغار فيُعْفَى عليه بآثار الغنم ، وكذلك يفعل عندما يعود عبد الله من الغار إلى مكة ، وذلك لئلا تكتشف قريش أثر عبد الله فتستدل به على وجود النبي وصاحبه في الغار ، أما آثار الغنم وراعيها فلا يلفت النظر في تلك المنطقة ، لأنه أمر عادي .

النبي يستأنف سيره إلى يثرب

وهكذا ، وبعد أن استمرت المطاردة الحثيثة ثلاثة أيام دونما جدوى ، يثست قريش من العثور على الرسول ﷺ وصاحبه ، فهذأت ثائرتها ، وتوقفت أعمال دوريات التفتيش نهائياً .

وإذ ذاك غادر الرسول ﷺ وصاحبه الغار ، واستأنفا سيرهما

إلى المدينة ، فقد قدمت لهما راحتاهما ، فامتطى كل منهما بعيره ثم ارتحلا يقدمهما دليلهما المشرك عبد الله بن أريقط ^(١) ، ومعهما مولى أبى بكر الصديق عامر بن فهيرة . وقبل الرحيل حضرت إليهما أسماء بنت أبى بكر الصديق ^(٢) لزاد أعدته لهذه الرحلة الطويلة الخطيرة .

ذات النطاقين

وعندما أرادت أسماء أن تعلق الزاد بشداد الجمل لم تجد حبلًا تعلقه به ، فشقت نطاقها (وهو ما تشد به المرأة وسطها) إثنين فانتطقت بأحد الشقين وعلقت الزاد بالشق الآخر ، ولذلك سميت أسماء رضى الله عنها فيما بعد بذات النطاقين .

قال ابن إسحاق : فكان يقال لأسماء بنت أبى بكر ، ذات

(١) عبد الله بن أريقط ، ويقال (ابن الأرقط) قال ابن حجر فى الإصابة ولم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبى فى التجريد ، وقد جزم عبد الغنى المقدسى فى السيرة بأنه لم يعرف له أسلاماً وتبعه النووى فى التهذيب .

(٢) أسماء بنت أبى بكر من أجل نساء المسلمين وأرفعهن شأنًا وأرجحن عقلاً : كانت من السابقين الأولين فى الإسلام ، أسلمت بعد سبعة عشر نفراً ، تزوجها الزبير ابن العوام قبل الهجرة بمكة ، فهاجرت وهى حامل منه بولده عبد الله الفارس المشهور الذى ولدته فى المدينة عقيب وصولها المدينة ، وقد عاشت إلى أيام تولى ابنها الخلافة ، ثم توفاه الله بعد استشهاد ابنها عبد الله بقليل ، كانت رضى الله عنها قوية القلب ثابتة الجنان تتمتع بأنفة إسلامية رائعة ، دخلت مرة على الحجاج بن يوسف وكان هو الذى صلب ابنها عبد الله بالحبون من مكة ، فسمعها تقول عندما وقفت عند الحشبة التى صلب عليها ابنها (أما أن لهذا الفارس أن يترجل ؟؟) تمنى ابنها عبد الله المصلوب ، فقال لها الحجاج : المناق (يعنى ابنها عبد الله) فقالت .. لا والله ما كان منافقاً وقد كان صواماً قواماً ، قال اذهبي فإنك عجوز قد خرفت .. قالت .. لا والله ما خرفت ، ثم قالت له أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج فى ثقيف ومبير : أما الكذاب فقد رأيناه (تعنى المختار بن أبى عبيد) وأما المبير فأنت هو . بلغت أسماء مائة سنة ، لم يسقط لها سن ولم ينكر لها عقل :

النطاقين لذلك .. وقال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول (أى لأسماء) ذات النطاقين ، وتفسيره .. أنها لما أرادت أن تملق السفرة شقت نطاقها باثنين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر ..

الطريق إلى المدينة

وزيادة في الحذر وإمعانا في التعمية على قريش سلك الدليل بالرسول ﷺ طريقاً مهجوراً لم يألفه الناس ، كما أمعن في اتجاه الجنوب نحو اليمن ، زيادة في التعمية على العدو ، وحتى إذا ما ابتعد عن منطقة مكة اتجه غرباً نحو الساحل ، ولما وصل الرسول وصاحبه إلى مكان في غير الطريق الذي ألف الناس ، اتجه بهما دليلهما شمالاً على مقربة من شاطئ البحر ، متخذاً من السبل ما لم يطرقة أحد إلا نادراً ، وكان هذا دأبه حتى وصل النبي ﷺ قرية قباء من ضواحي المدينة .

الفارس المطارد سراقه بن مالك

وبالرغم من اجتياز النبي ﷺ وصاحبه منطقة الخطر الكبير ، إلا أنهما ظلا متيقظين للطوارئ ، طيلة سيرهما ، لاسيما وأن مكة قد جعلت مكافأة ضخمة (مائة ناقة) لمن يأتي إليها بالنبي حياً أو ميتاً الأمر الذي قد يحمل بعض الفتيان من فرسان مكة على تعقبهما بغية الظفر بهما لينال هذه المكافأة الكبيرة .

وفعلًا كان الأمر كذلك ، ذلك أنه بينما كان سراقه بن مالك

ابن جعشم^(١) جالساً في نادى قومه بسكة - . وقد سكن الناس وتوقف
البحث عن النبي ﷺ - إذ وقف رجل على القوم في ناديهم وقال :
والله لقد رأيت ركبة ثلاثة مروا على آنفأ ، إني لأراهم محمداً
وأصحابه .

وهنا أشار سراقا بعينه إلى الرجل أن اسكت ، ثم قال سراقا -
ليضل الحاضرين ويفوز هو بالمكافأة الضخمة - إنما هم بنو فلان
يبتغون ضالة لهم ، وبعد أن تغير الحديث في النادى انسحب سراقا
ابن مالك ، وذهب إلى بيته في الحال فأمر بفرسه فأسرج له ، ثم أمر
أحد مواليه بأن يربطه له في الوادى في مكان عينه له ، ثم أخذ سلاحه
وخرج من باب خلفى في بيته لئلا يراه أحد ، ثم امتطى صهوة جواده
وأركضه في اتجاه المكان الذى ذكر الرجل أنه رأى فيه النبي ليغتقل
النبي أو يقتله ، ليفوز بالجائزة من قریش وحده .

أراد قتله فأخذ منه الأمان

ولم يخب ظن سراقا ، فقد أدرك النبي ﷺ وصاحبه حوالى
المنطقة التى أشار إليها الرجل الذى أخبر خبرهما ، وعندما أبصر سراقا
النبي ﷺ وصاحبه ، سال لعبه للمكافأة الضخمة التى تعهدت قریش
بإعطائها لمن أعاد إليها محمداً ﷺ حياً أو ميتاً ، وهنا استعد سراقا
للحظة الحاسمة ، فإذا وجد النبي ﷺ منه قيد البصر دفع جواده
نحوه ليغتقله أو يقتله ، ولكن الجواد (وعلى مقربة من الرسول وصاحبه)
كبا براكيه كبوة عنيفة تدرج لها الفارس من على ظهره ، وهنا أدخل

(١) هو سراقا بن مالك بن جعشم الكنانى ، أسلم عام الفتح ، وهو من سادات كنانة .
مات رضى الله عنه في خلافة عثمان سنة أربع وعشرين هـ

في روع سراقه أنه لن يقدر على النبي ﷺ بأي حال من الأحوال ،
فعدل عن خطته ..

ولنترك هذا الفارس القرشي المطارد يحكي لنا قصته العجيبة ،
فقد روى عنه ابن إسحاق أن فرسه قد كبا به (قبل الكبوة العنيفة
الآخيرة) مرتين ولكنه واصل المطاردة ولم يتوقف عنها إلا بعد الكبوة
الثالثة العنيفة التي تدحرج لها من على ظهر فرسه .

قال سراقه (يصف تلك اللحظة الحاسمة) : فركبت في أثره
(أي النبي ﷺ) فلما بدا لي القوم ورأيتهم عشر بي فرسى ،
وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبعها دخان كالإعصار ،
قال فعرفت حيث رأيت ذلك أنه قد منع مني ، وأنه ظاهر (أي منتصر) ،
قال : فناديت القوم ، فقلت .. أنا سراقه بن جعشم ، أنظروني أكلمكم ،
فو الله لا أريبيكم ، ولا يأتاكم مني شيء تكرهونه ، قال .. فقال ..
رسول الله ﷺ لأبي بكر .. قل له .. وما يبتغي منا ؟ قال .. فقال
ذلك أبو بكر ، قال سراقه .. قلت تكتب لي كتاباً يكون آية بيني
وبينك قال .. أكتب له يا أبا بكر .

قال سراقه : فكتب لي كتاباً في عظم ، أو في رقعة ، أو في خزفة ،
ثم ألقاه إليّ ، فجعلته في كنانتي ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر
شيئاً مما كان .

كيف دخل الرسول المدينة

وهكذا اجتاز الرسول ﷺ وصاحبه منطقة الخطر نهائياً ، إذ لم
يتعرضا (بعد حادثة سراقه) لأيّة مراقبة أو مطاردة .

فبعد رحلة مضيئة محاطة بالأخطار استغرقت أكثر من أحد عشر يوماً ، تشرّفت يشرب بطلعته الشريفة وعم المسلمين في المدينة الفرح والسرور بقدوم الرسول ﷺ .

وكان أهل المدينة قد ترائى إليهم خبر هجرته مع صاحبه الصديق إلى يشرب ، قبل أن يصل إليها ، ولذلك كان المسلمون فيها و (خاصة الذين لم يسبق لهم رؤية طلعة الكريمة) يتلهفون شوقاً لرؤيته ﷺ . ولهذا فقد كانوا (منذ ترائى إليهم نبأ هجرته) يخرجون كل يوم بعد صلاة الصبح إلى ظاهر المدينة يتلمسون النبي ﷺ حتى تغلبهم الشمس فيعودوا إلى بيوتهم .

وبينما هم على هذه الحال من التلهف والشوق ، إذ صاح يهودى (وكان أول من رأى النبي وصاحبه قادمين) صاح منبها الأنصار إلى قدوم الرسول ﷺ - : يا بني قيلة (يعنى الأنصار) هذا صاحبكم قد جاء (١) .

اليوم التاريخي في المدينة

وهنا زحفت المدينة كلها لاستقبال رسول الإنسانية ومنقذ البشرية محمد بن عبد الله ﷺ ، فكان يوماً تاريخياً أغراً لم تشهد المدينة مثله في تاريخها .

وكانت قباء (وهى من ضواحي المدينة) أول منزل نزله رسول الله ﷺ وهى منازل بنى عمرو بن عوف من الأنصار ، وقد مكث النبي ﷺ بينهم أربعة أيام ، دخل بعدها إلى قلب المدينة المنورة .

أول مسجد في المدينة

وفى تلك الأيام القلائل التى أقامها النبي في قباء ، أسس ﷺ ،

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٤٩٢ ، وفيها جدكم بدل صاحبكم :

مسجد قباء المشهور ، وهو المسجد الذى أشار القرآن الكريم بأنه
أسس على التقوى .

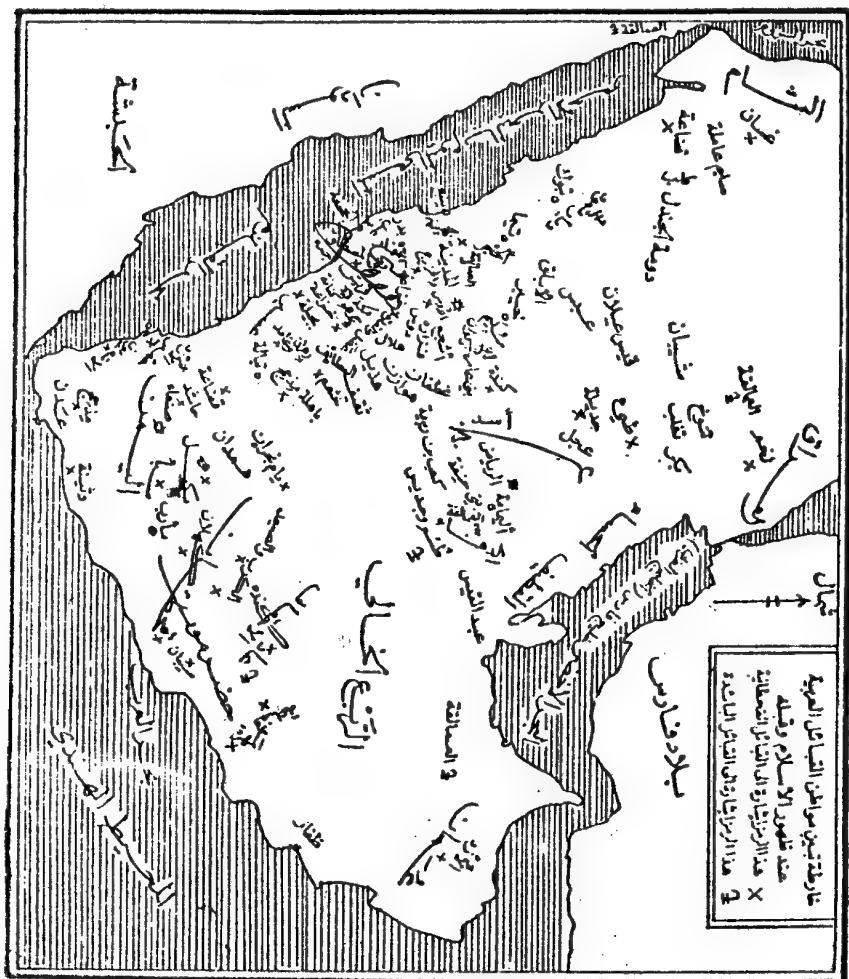
النبي في المدينة

وبعد تلك الأيام الأربع التى قضاها الرسول في قباء ، توجه ﷺ ،
إلى قلب مدينة يثرب ، التى أصبحت (بمجرد وصول الرسول إليها)
عاصمة الإسلام .

وأثناء سير النبي ﷺ نحو قلب العاصمة وقف زعماء القبائل
اليثربية وعرض كل واحد منهم على النبي ﷺ أن يقيم عنده في العدد
والعدة والمنعة ، فاعتذر للجميع وامتنى ناقته وألقى لها خطابها ،
فانطلقت في طرق يثرب والمسلمون من حولها في حفل حافل يدخلون لها
طريقها ، وسائر أهل يثرب من اليهود والمشركين ينظرون إلى هذه
الحياة الجديدة التى دبت إلى مدينتهم ، وإلى هذا القادم العظيم الذى
اجتمع عليه من الأوس والخزرج من كانوا من قبل أعداء متقاتلين ،
ولا يجول بخاطر أحدهم ، في هذه البرهة التى اعتدل فيها ميزان التاريخ
إلى وجهته الجديدة ، ما أعدّ القدر لمدينتهم من جلال وعظمة ، ببقيان
على الزمن ما بقى الزمن .

وجعلت الناقة تسير حتى كانت عند مربد لغلامين يتيمين من بني
النجار ، هنالك بركت ، ونزل الرسول ﷺ عنها ، وسأل : لمن المربد
فأجابه معاذ بن عفراء .. إنه لسهل وسهيل ابني عمرو ، وهما يتيمان
له ، وسيرضيهما ، ورجا محمداً ﷺ أن يتخذ مسجداً ، وقبل النبي
ﷺ وأمر أن يبنى في هذا المكان مسجده وأن تبنى داره ^(١)

(١) حياة محمد ص ٢١٨



الفصل الثالث

- اليوم التاريخي في حياة المدينة .
- النبي في المدينة .
- البدء في بناء المجتمع الجديد .
- الأنصار في الميزان العسكري .
- غير المسلمين في يثرب بعد الهجرة .
- متاعب العهد الجديد .

وهكذا نجحت الهجرة ، ووصل النبي ﷺ إلى معقل أنصاره (المدينة) التي سبقه إليها (بأمر منه) أكثر المهاجرين فصارت داراً آمنة للإسلام ، ومعسكراً قوياً للتوحيد تحسب له قريش (الخصم الألد للإسلام) ألف حساب ، وصارت (منه) تنام على خوف وتصبح على فزع .

المجتمع الجديد

وكانت أول مسألة اهتم لها النبي ﷺ بمجرد وصوله إلى يثرب ، هي التفكير في بناء المجتمع الجديد ليقوم كما أراد الله له أن يقوم . وكانت هناك مشاكل لا بد للنبي من التغلب عليها ليسهل عليه وضع الأسس القوية للمجتمع الجديد ، وأهم هذه المشكلات :

١- التنافر المستحكم والعداء المزمّن بين عشائر يثرب من الأوس

والخزرج والذي كانت تصاحبه (دائماً) تلك الحروب الأهلية الشهيرة المدمرة بين القبيلتين .

٢- مشكلة اللاجئين من المهاجرين المكيين الذين تركوا كل ما يملكون من مال وعقار في مكة وجاءوا إلى المدينة فراراً بدينهم . وهم فقراء لا يملكون من المال شيئاً ، وعددهم غير قليل .

٣- العناصر اليهودية الموجودة في المنطقة ، والتي كان لها وزنها السياسي والعسكري والاقتصادي في المجتمع اليثري ، والتي لا بد من تجنب شرها وكسب صداقتها لمواجهة ما يتوقعه المسلمون من عدوان عليهم يقوم به القرشيون .

بناء المسجد النبوي

وكان أول خطوات البناء للمجتمع الإسلامي الجديد هو إقامة المسجد النبوي لتظهر فيه شعائر الدين الجديد ، وليكون جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته ، ومنتدى تلتقى وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي نافرت وباعدت بينها النزعات الجاهلية التي كانت النظام الموجه لهذه القبائل .

ففى المكان الذى بركت فيه ناقة الرسول ﷺ فور قدومه من مكة أمر بإقامة هذا المسجد ، فسارع المسلمون إلى جمع المواد التي يتطلبها بناؤه ، فأخذوا في قطع جذوع النخل ، وشرعوا في صنع اللبن ، ثم شرعوا في بناء المسجد الذى كانت مساحته مائة ذراع في مثلها تقريباً . وقد ساهم النبي ﷺ في بناء المسجد بنفسه مع أصحابه ، فحمل التراب واللبن على كاهله الشريف مثلما حملوا .

وقد ضاعف من نشاط الصحابة في البناء أن رأوا محمداً النبي ، يرفض الامتياز عليهم ، فيحمل التراب والمواد الأخرى على ظهره مثلهم ، حتى أن أحدهم قال ينشط أخوانه :
لئن قعدنا والرسول ﷺ يعمل لذاك منا العمل المفضل
وقد تم بناء المسجد النبوي على غاية من البساطة ، إذ أقيمت
حيطانه من اللبن والطين ، أما سقفه فقد جعل من سعف النخل الذي
طالما تخللته مياه الأمطار إلى الداخل ، أما أرض المسجد فقد فرشت من
الرمال والحصباء ، وكانت الأعنودة التي يقوم عليها السقف من جذوع
النخيل .

أول خطبة للرسول بالمدينة

وبعد أن تم بناء هذا المسجد ذى البناء المتواضع والذي كان أول
معهد مثالي في الدنيا تربي فيه (كما قال الأستاذ الغزالي) ملائكة البشر
ومؤدّبوا الجبابرة وملوك الدار الآخرة ، ألقى فيه النبي ﷺ أول خطبة
على المسلمين قال فيها (كما رواه البيهقي عن عبد الرحمن بن عوف) :
« أما بعد أيها الناس فقدّموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ،
ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولن له ربه - ليس له ترجمان
ولا حاجب يحجبه دونه - : ألم يأتك رسولي فبلغك ؟ وآتيتك
ملاً وأفضلت عليك ؟ فما قدّمت لنفسك ؟ فينظر يميناً وشمالاً
فلا يرى شيئاً ، ثم ينظر قدّامه فلا يرى غير جهنم ، فمن استطاع
أن يقى نفسه من النار ولو بشق تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة
طيبة فإن بها تعجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة والسلام عليكم ،
وعلى رسول الله . »

مؤتمر المواجهة بين المسلمين

وبعد أن أقام النبي ﷺ للمسلمين (ببناء المسجد) مركز التجمع والتهديب والتعارف والتآلف والارتباط ، (عن طريق الصلوات) برب العالمين دونما وسيط أو شفيع ، شرع ﷺ بحكمته الفذة وسياسته الصائبة الحكيمة في محو مخلفات الجاهلية ومترسبات العصبية .

فقد كانت يثرب (كما قلنا) نهبا (طيلة مئات السنين) لحروب أهلية قبلية طاحنة أفنت زهرة شبابها ومزقت وحدتها شر ممزق ، مما أعطى اليهود الدخلاء الفرصة للتمركز في تلك البقعة الطيبة من الجزيرة العربية .

فكان العمل الحاسم الحكيم الذي اجث به النبي ﷺ جذور البغضاء الجاهلية القديمة والحزازات العنصرية المزمنة المستحكمة بين قبيلتي الأوس والخزرج ، هو أن آخى بين المسلمين جميعاً (المهاجرين والأنصار) في مؤتمر أقامه لهم في المدينة ، آخى فيه بينهم ، اثنين اثنين .

قال ابن إسحاق : وآخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل - تآخوا في الله أخوين أخوين ^(١) . فتآخوا جميعاً .

وقد كانت رابطة هذا التآخي أقوى وأكثر فعالية ، في إقامة الوحدة السياسية والنظامية والمصيرية بين عناصر المجتمع الجديد من رابطة التحالف التي عهدا العرب .

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٠٥ :

ولقد اغتبط الأنصار - وخاصة زعماءهم - بهذا التآخي الذي رأوا فيه أملهم المنشود يتحقق ، وهو السلام والأمن والاستقرار الذي حرمت منه يثرب مئات السنين ، نتيجة الحروب الأهلية المدمرة التي كانت تصطلي بنارها عشيرتا الأوس والخزرج اللتين هما قبيلة واحدة^(١) .

كما أن المهاجرين قد وجدوا (نتيجة هذا التآخي) في كنف إخوانهم الأنصار ، من العون والمساعدة ما خفف عليهم من وطأة الفقر الشديد الذي منوا به نتيجة هجرتهم من وطنهم الأصلي مكة ، وتركهم فيها كل أموالهم التي صادرها مشركو قريش .

يعرض عليه نصف ماله

فقد قابل الأنصار إخوانهم من المهاجرين بكل حفاوة وتكريم ، وبذلوا لهم (وخاصة بعد المؤاخاة) من العون والمساعدة ما بلغ بها البعض من الأنصار إلى أن عرضوا على إخوانهم من المهاجرين أن يقتسموا وإياهم كل ما يملكون مناصفة .

ولكن المهاجرين - أمام هذا الكرم العظيم الذي فاضت به تلك الأنفس الزكية الطيبة - لم يسعهم إلا أن يقدروا هذا البذل والكرم حق قدره ، فيقابلونه بكرم مثله ، حيث لم يستغلوا كرم إخوانهم الأنصار الفياض ولم ينالوا منه إلا بقدر ما يقيم أودهم ، ويعينهم على الوصول إلى العمل الشريف من تجارة أو زراعة أو ما شابه هذا من الأعمال الحرة التي يجنى منها النشاط الصبور ، الكسب الحلال .

(١) انظر ترجمة قبيلتي الأوس والخزرج في كتابنا (غزوة أحد) :

روى البخارى أن سعد بن الربيع ^(١) عرض على عبد الرحمن ابن عوف ^(٢) أن يأخذ نصف ماله (وكانا قد آخى بينهما الرسول ﷺ) فقد قال سعد لعبد الرحمن .. إني أكثر الأنصار مالاً ، فاقسم مالى نصفين . ولى امرأتان فانظر أعجبهما إليك ، فسمها لى أطلقها فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، قال عبد الرحمن .. بارك الله لك فى أهلك ومالك ، أين سوقكم ؟؟ فدلوه على سوق بنى قينقاع ، فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن ثم تابع الغدو .. ثم جاء يوماً ، وبه أثر صفرة ، فقال النبی مهيم (سؤال عن حاله) قال : تزوجت ، قال كم سقت إليها ؟ قال نواة من ذهب .

أهم دعائم المجتمع الجديد

وهكذا نجح الرسول ﷺ فى إقامة المجتمع الإسلامى الجديد على دعائم قوية راسخة ، أهمها الوحدة الصحيحة التى أقامها بين قبيلتى الأوس والخزرج ، والتى لم تشهد يثرب مثلها فى تاريخها .. وحدة استل بها النبي ﷺ من النفوس جميع ما خلفه ماضى الجاهلية من حزازات النعرة وسخائم العصبية .

وقد استفادت الدعوة الإسلامية من هذه الوحدة التى أقامها الرسول بين قبائل الأوس والخزرج استفادة كبرى ، وخاصة فى المجال العسكرى .

الأنصار فى الميزان الحربى

فقد كانت القبائل القحطانية من الأوس والخزرج تتمتع بطاقات

(١) انظر ترجمته فى كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) سنأق ترجمته فى هذا الكتاب .

حربية كبيرة ، لها وزنهما في الجزيرة العربية ، ولكن هذه الطاقات كانت تستنفد (قبل شروق أنوار الطلعة المحمدية على يثرب) في الحروب الأهلية الجاهلية التي كان اليهود في المدينة يستغلونها لتدعيم سيطرتهم (وخاصة الاقتصادية) في المنطقة فيكون طيبتها بأسيابهم الخاصة المعروفة عنهم .

ولكن الإسلام لما جاء ووحد هذه القبائل في ظل عقيدة واحدة ، استفاد من طاقات هذه القبائل الحربية ووجهها وجهة صالحة بناءة ، حيث كانت هذه القبائل (أيام الرسول) هي القوة الحربية الرئيسية الأولى التي اعتمد عليها الإسلام في نشر التوحيد وإحلال السلام والعدل والاستقرار في أرجاء الجزيرة العربية ، وخاصة في معاركه الحاسمة مع أعدائه الرئيسيين كفار قريش .

غير المسلمين في يثرب

وبعد أن وثق النبي ﷺ من رسوخ قواعد المجتمع الإسلامي الجديد بإقامة الوحدة العقائدية والسياسية والنظامية في المدينة بين المسلمين ، شرع في تنظيم علاقاته بغير المسلمين من اليهود المقيمين في المدينة .

لم يكن النبي ﷺ طالب ملك أو باحث عن جاه أو ساع وراء مال (وهي الأمور التي تدفع بطايلها في طريق التسايط والتعسف والعدوان) وإنما كان « ﷺ » نبياً مرسلأ همه توفير السعادة والخير للبشرية جمعاء .

ولذلك اتجه في محادثاته مع اليهود اتجاهاً كله سماحة وتسامحاً ،

فلم يشأ (وقد أصبح زعيم أقوى قوة حربية فى يثرب) أن يصادر حريتهم فى دينهم أو مالهم ، بل ترك لهم مطلق الحرية فى كل ذلك ، ولم يلجأ إلى إبعادهم عن المدينة لاختلافهم معه فى الدين ، بل قبل وجودهم كأمة من أهل الكتاب ، لهم دينهم وللمسلمين دينهم .

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك حيث عقد مع هؤلاء اليهود معاهدة تضمنت التعايش السلمى وحسن الجوار بين المسلمين واليهود ، بالإضافة إلى تضمنها الدفاع المشترك عن يثرب ، وقد ضمن النبى ﷺ فى هذه المعاهدة لليهود حرية الرأى وحرية العقيدة ، والتصرف المطلق فيما يملكون من أموال (١)

تكامل المجتمع الإسلامى

وأثناء قيام النبى ﷺ بهذه الإنجازات السياسية والاجتماعية ، كانت يثرب كلها تتفاعل بالإسلام فيدخل أهلها فى دين الله أفواجا طوعاً واختياراً .

فقد كانت تعاليم الرسول وتصرفاته الحكيمة ومعاملاته الشريفة لكل الناس تترك فى النفوس أعمق الأثر ، مما جعل سكان يثرب كلها (وفى ظرف أشهر قليلة) يعتنقون الإسلام ويدينون بالتوحيد . (عدا اليهود) .

وحق الكارهين للنبى ودعوته (من غير اليهود) اضطروا إلى إعلان إسلامهم ، مع انطوائهم على البغض والعداء لهذا الدين وحامل رسالته . وهؤلاء هم المنافقون من أهل المدينة الذين شرعوا بالإسلام ، ولكنهم

(١) انظر أهم بنود هذه المعاهدة فى كتابنا (غزوة أحد) الفصل الأول :

(لقلّتهم) لم يقدرُوا على الوقوف أمام تياره القوى الدفاق ، فاضطروا إلى الاندماج فى السواد الأعظم من المسلمين .

وهكذا ، بعد مضى ما يقرب من ستة أشهر على الهجرة النبوية أصبحت المدينة عاصمة حقيقية للإسلام ، فصارت الكلمة النافذة والسلطان الغالب فيها للمسلمين ، وهذا الذى كانت تخشى قريش أن يحدث فحاولت بكل قواها - منع الرسول من الهجرة إلى المدينة .

التشريعات للمجتمع

وبدأت تشريعات النظام الجديد تنزل من السماء ، فقد فرضت الزكاة (وهى أهم النظم الاجتماعية فى الإسلام) كما شرع (قبلها) الإذن بحمل السلاح ضد أعداء الإسلام ، وكان القتال قبل الهجرة غير مأذون به للمسلمين..

وكذلك شرع النداء للاجتماع للصلاة ، وهو الأذان ، كما نزل القرآن بتشريعات أخرى نظّم وهذب بها المجتمع الجديد ، ليس هذا محل شرحها .

متاعب العهد الجديد

لم يظهر اليهود للنبي ﷺ عند قدومه يشرب ، أية مقاومة أو خصومة ، بالرغم من تخوفهم من وصوله ، على نفوذهم الاقتصادى وسيطرتهم السياسية ونفوذهم الروحى .

كما أنه ﷺ سارع إلى تطمينهم على عقائدهم وأرواحهم وأموالهم ، فعقد معهم تلك المعاهدة التى كان القصد منها لإحلال السلام ،

بتوفير الأمن والطمأنينة لجميع سكان المنطقة ، على اختلاف شعوبهم
ومعتقداتهم وقد وقع اليهود هذه المعاهدة والتزموا بتنفيذ نصوصها كما
التزم المسلمون .

وقد كان بوسع اليهود أن يعيشوا سعداء في ظل العهد الإسلامي
الجديد ، آمنين على عقائدهم وأرواحهم وأموالهم . وكان هذا خيراً
لهم لو فعلوه .

ولكن طبيعة الدس والتآمر المتأصلة في نفوسهم ، والتي صارت
جزءاً من كياناتهم (طيأة عندهم) . لم تتركهم يفتنون ذلك ، بل دفعت
بهم إلى ما ألقوه من إثارة القلاقل وخلق المشاكل وبعث الفتن .

لقد تمسك المسلمون بنصوص المعاهدة المعقودة بينهم وبين اليهود ،
وكان حسن النية والرغبة الأكيدة في التعايش معهم بسلام ظاهرة
بجلاء في تصرفات المسلمين .

ولكن التحرش والشغب والإغاثات جاء من جانب اليهود أنفسهم ..
فقد هالهم وأقضى مضاجعهم أن رأوا سلطان الإسلام ينشر ظله على يشرب
في سرعة مذهلة لم يكونوا يتوقعونها .

وزادهم غمّاً وشحن نفوسهم بالحسد للرسول ﷺ أن تأكد
لديهم أن محمد بن عبد الله القرشي الوافد إلى بئر هو النبي الموعود
ذاته كما يجدون ذلك مكتوباً عندهم في كتبهم .. وبدلاً من أن يسارعوا
إلى الإيمان به ويغتنبوا بظهور رسالته ، فاضت نفوسهم بالحسد
وأترعت قلوبهم بالبغض له .

فهذان حيران من أحبارهم قد أثقل قلوبهما الهم وأمراض نفوسهما

الغيم نتيجة تأكدهما ، من نبوة محمد ﷺ وهما حيي بن أخطب
والد أم المؤمنين صفية رضي الله عنها ^(١) وأخوه ياسر .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو
ابن حزم قال .. حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت .. كنت
أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا

(١) هي أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب بن سعدة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب ،
من بني النضير ، وهم من سبط لاوي بن يعقوب ثم من ذرية هارون بن عمران أخى
موسى عليه السلام ، كانت تحت سلام بن مشكم ، (أحد زعماء اليهود) ثم تزوجها
كنانة بن أبي الحقيق ، أحد قادة اليهود في خيبر ، وقد قتل هذا في معركة خيبر ، فوعدت
زوجته صفية هذه سبية في يد أحد جنود الإسلام ، فاستعدها النبي صلى الله عليه وسلم
ثم أغتصها فتزوجها كما في صحيح البخاري ومسلم . وكان أحد جنود الإسلام قد سبي
صفية مع ابنة عم لها ، فعرسها على قتلى اليهود ، فلما رأتهم ابنة عم صفية صكت وجهها
وصاحت وحثت التراب على وجهها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي
عرسها على القتلى (أنزعت الرحمة من قلبك حين عرست بالمرأتين على قتلاهما ؟)
وذكر ابن حجر في الإصابة أن صفية رضي الله عنها رأت في المنام (قبل معركة خيبر)
أن القدر وقع في حجرها فذكرت ذلك لأمها فانطمت وجهها وقالت لتعدين عناقك
إلى أن تكوني عند ملك العرب (تعني النبي صلى الله عليه وسلم) كانت أم المؤمنين
صفية امرأة عاقلة ، حليلة ، فاضلة ، فقد ذكر ابن عبد البر أن جارية لها أتت أمير
المؤمنين عمر فقالت له : ... إن صفية تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث إليها
عمر . فسألها عن ذلك ، فقالت : أما السبت فإنني لم أحبه منذ أن أبدلني الله به الجمعة ،
أما اليهود فإن لي فيهم رحماً فأنا أصلها ، فلم ينكر عابها عمر صلتهما بالرحم في اليهود ،
ثم قالت بخارتها ما الذي حملك على هذا ؟ فقالت .. الشيطان ، قالت .. اذهبي
فأنت حرة : أخرج أصحاب الحديث لأم المؤمنين صفية عشرة أسنادات عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم : كانت صفية أيام فتنة الدار التي حاصر فيها المشاعبون
الخليفة عثمان في داره ، تنقل إليه الطعام والماء سرراً .. ومرة ذهبت لترد عن عثمان
(بصفتها أم المؤمنين) وكانت راكبة على بغلها ، فاقبضها الأشتر النخعي وهو من
كبار قادة المشاعبين على عثمان فاعترض أم المؤمنين صفية وضرب وجهه بالهبة بعنف ،
ولم يسمح لها ، فقالت : ردني لا تفضحني : توفيت صفية سنة خمسين هـ .

أخذاني دونه ، قالت .. فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ونزل قباء ، في بني عمرو بن عوف ، غدا عليه أبي حبي بن أخطب وعمي ياسر ابن أخطب مغلسين ، قالت .. فلم يرجعاً حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت .. فأتيا كالثين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى ، قالت فهششت إليهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلى واحد منهما ، مع ما بهما من الغم ، قالت .. وسمعت عمي ياسر يقول لأبي حبي ابن أخطب :

أهو هو ؟؟ (يعني النبي ﷺ) .

قال ... نعم والله .

قال ... أتعرفه وتثبته ؟؟ ..

قال ... نعم .

قال .. فما في نفسك منه ؟؟ .

قال ... عداوته والله ما بقيت .

وروى ابن إسحاق كذلك عن عبد الله بن سلام ^(١) (وكان يهودياً

ثم أسلم) قال : جئت رسول الله ﷺ فقلت له :

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث ، أبو يوسف ، من ذرية يوسف النبي صلى الله عليه وسلم حليف النواقل من الخزرج . الإسرائيلي ، ثم الأنصاري ، كان يهودياً من بني قينقاع كان عبد الله بن سلام من أجبار اليهود ، وذكر أصحاب السنن أن عبد الله ابن سلام قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كنت ممن انجفل (أى انزعج) فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه صلى الله عليه وسلم ليس بوجه كذاب ، شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بأنه عاشر عشرة في الجنة ، فقد روى البخاري عن زيد بن عمير قال حضرت الرفاة معاذ بن جبل ، فقبل له .. أوصنا فقال :. التمسوا العلم عند أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنه عاشر في الجنة :. اعتزل عبد الله بن سلام =

يارسول الله إن يهود قوم بهت .. وإني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك ، وتغيبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى يخبروك ، كيف أنا فيهم ، قبل أن يعلموا إسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني ، قال .. فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته ، ودخلوا عليه فكلموه وسأله ثم قال له .. أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟؟ قالوا .. سيدنا وابن سيدنا ، وحبرنا وعالمنا ، قال .. فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم :

يامعشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ، فإنني أشهد أنه رسول الله وأؤمن به وأصدق به وأعرفه ، فقالوا : كذبت ثم وقعوا بي ، قال .. فقلت لرسول الله ﷺ ألم أخبرك يارسول الله أنهم قوم بهت ، أهل غدر وكذب وفجور ؟؟ .

محاولة الدس والفرقة

ونتيجة لهذا العداء المستحكم والحسد القاتل المتغلغل في نفوس هؤلاء اليهود ، شرعوا في محاربة النبي ﷺ ودعوته بمختلف الوسائل . إلا أن محاربتهم (في بادئ الأمر) كانت مقتصرة على إقامة العراقيل في سبيل الدعوة الإسلامية بالإغنيات ومحاولة بث الفرقة بين

= الفتنة فلم يكن مع أحد الفريقين (لا في الجمل ولا في صفين) ، وقد نقل البغوي في المعجم بسند جيد أن عبد الله بن سلام نبى أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه عن خروجه إلى العراق ، وقال له الزم منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن تركته لا تراه أبداً ، فقال علي بن أبي طالب (في عبد الله بن سلام) أنه رجل صالح منا ، توفي عبد الله ابن سلام بالمدينة سنة ثلاث وأربعين هـ .

المسلمين لتفصيل وحديثهم . بإثارة النزعات الجاهلية التي قفص الإسلام عليها وأراح يشرب من شرها . وقد شكل اليهود (في حبرهم هذه) مع المنافقين جبهة واحدة للتشويش على المسلمين ومحاولة تشكيك البعض منهم بغية إعادتهم إلى الكفر .

مثال من دسائس اليهود والمنافقين

فمن ذلك أن شاس بن قيس وهو يهودى عظيم الكفر شديد الفسغن على المسلمين مر يوماً بنجر من أصحاب رسول الله من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه إخواناً متحابين فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام ، بعد الذى كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال :

قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم (إذا اجتمع ملؤها بها) من قرار ، وهنا (وعلى طريقة اليهود في الدس والكيد) طلب من أحد الشباب اليهود ، وكان جالساً مع أولئك النفر من المسلمين ، وقال له .. أعهد إلى هؤلاء فأجلس معهم . ثم أذكر لهم يوم (بُعث)^(١) وما كان قبله وأنشدكم بعض ما كانوا تناولوا فيه من الأشعار .

وكان يوم بعث يوماً تاريخياً في الحروب الأهلية الطاحنة التي كانت تدور (في الجاهلية) بين الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج .

ف فعل الشاب اليهودى ما أمره به زعيمه ، وقد كاد هؤلاء اليهود ينجحون في مهمتهم الخبيثة ، إذ ما كاد هذا الشاب يذكر يوم بعث ،

(١) يوم بعث يوم معركة طاحنة شهيرة دارت بين الأوس والخزرج في الجاهلية :

حتى أخذ رأس الفتنة يظهر بين الفريقين ، فقد تفاخر القوم وتنازعوا حتى توترت الحالة بينهم إلى درجة أن أحد زعماء الخزرج قال لأحد زعماء الأوس متحدياً .. إن شئتم رددناها جذعة (يعنى الاستعداد لإحياء الحرب الأهلية التى كانت بينهم) ، فغضب الفريقان ، وقالوا : قد فعلنا ، موعدكم الظاهرة (والظاهرة الحرة) ثم تنادوا ، السلاح السلاح ، وأخذوا فى التسابق للحرب إلى المكان المحدد ، وكادت تنشب الحرب الأهلية بينهم ، وهذا أعز أمنيات اليهود والمنافقين .

إلا أن الأمر بلغ النبي ﷺ قبل أن تنشب الحرب بينهم : فسارع بالخروج إليهم فيمن معه من المهاجرين . وعمل بسرعة على إخماد نيران هذه الفتنة التى هى من صنع دسائس اليهود .

فبمجرد وصول النبي ﷺ إلى مكان تجمعهم للحرب ، وقف فيهم خطيباً قائلاً :

« يا معشر المسلمين . الله الله . أبايعوا الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم » ؟؟ .

وهنا عاد إلى الفريقين (الأوس والخزرج) رشدهم وأدركوا أنها نزعة من الشيطان ودس وكيد من اليهود ، فاسترجعوا وبكوا ، ثم عانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، وعادوا راجعين إلى المدينة مع رسولهم المحبيب صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم إخواناً متحابين ، وبهذا حبطت مساعي اليهود الخبيثة ورد الله كيدهم في نحرهم ، بعد أن كادوا ينجحون فى تفتيت وحدة المسلمين الوليدة .

ولم ينقطع اليهود (يساندهم المنافقون) عن التشويش على الدعوة الإسلامية وخلق المتاعب لصاحبها ، فقد ظل كل فريق ، بل كل فرد منهم يعمل في هذا السبيل التخريبي .

فبينما ظل اليهود في التشويش على النبي ودعوته ينشرون ظلالاً من الشكوك حولها وحول حاملها بما يثيرونه من جدل عقيم ، وأسئلة متعنتة لا تمت إلى البحث العلمي بشئ ، كان المنافقون الذين يخالطون المسلمين (بحكم تظاهرهم بالإسلام) يثيرون المتاعب للعهد الجديد بإقامة العراقيين ونشر الأرجاف ، وتدبير المؤامرات ، للتفريق بين المسلمين .

وكر الدس والتآمر

حتى إن هؤلاء المنافقين بلغ بهم الحرص على الإطاحة بوحدة المسلمين إلى أن اتخذوا لهم وكرأ يجتمعون فيه لتدبير المؤامرات وتنسيق الدسائس للتفريق بين المسلمين .

ولكى يتمكنوا من فعل ذلك بحرية تامة بنوا لهم مسجداً يتظاهرون فيه بأداء الصلوات ، ولما كان لهم حكم المسلمين لاعتناقهم الإسلام ظاهراً ، لم يمنعهم أحد من إقامة هذا المسجد .

إلا أنه لم يمض وقت طويل على بناء هذا المسجد ، حتى تبلغ الرسول ﷺ أن هذا المسجد إنما بناه المنافقون ليتخذوا منه ستاراً لحبك الدسائس ورسم الخطط للإضرار بوحدة الأمة وسلامتها ، وبعد أن تأكد الرسول ﷺ من هذه الحقيقة أمر بهدم هذا المسجد ، الذي لم يكن في حقيقته إلا وكرأ للتآمر ضد الإسلام والمسلمين . وفي المنافقين الذين بنوا هذا المسجد ، أنزل الله تعالى قوله :

﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون ﴾ (١) .

﴿ لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ﴾ .

طرد المنافقين من المسجد النبوى

غير أن هدم النبي ﷺ لوكر تآمر المنافقين (مسجد الضرار) لم يحل بين هؤلاء المنافقين وبين مواصلة نشاطهم للتشويش على المسلمين والسخرية منهم وإيصال الضرر إلى دعوة الإسلام .

فقد ظلوا على تكتلهم وتحزبهم للعمل ضد العهد الجديد ، وحتى فى المسجد النبوى وقت اجتماعهم للصلاة مع المسلمين كانوا يتكتلون ويجلس بعضهم إلى بعض ، ويباشرون نشاطهم التخريبي ضد عقيدة الإسلام ، محاولين التفريق بين المسلمين . ولما تزايد شرهم ووصل نشاطهم المعادى للنبي ودعوته إلى المسجد النبوى فى أوقات العبادة ، أمر النبي ﷺ بطردهم من المسجد علناً تأديباً لهم وتجنباً لشر دسائسهم ، لأن المسجد كان مجمع الأمة كلها فى أوقات الصلاة ، وهذا مما ييسر لهؤلاء المنافقين بث سمومهم بين البسطاء .

قال ابن إسحاق : وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم ، فاجتمع يوماً فى المسجد منهم ناس ، فرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم

(١) التوبة ١٠٧ .

قد لصق بعضهم ببعض . فأمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً .

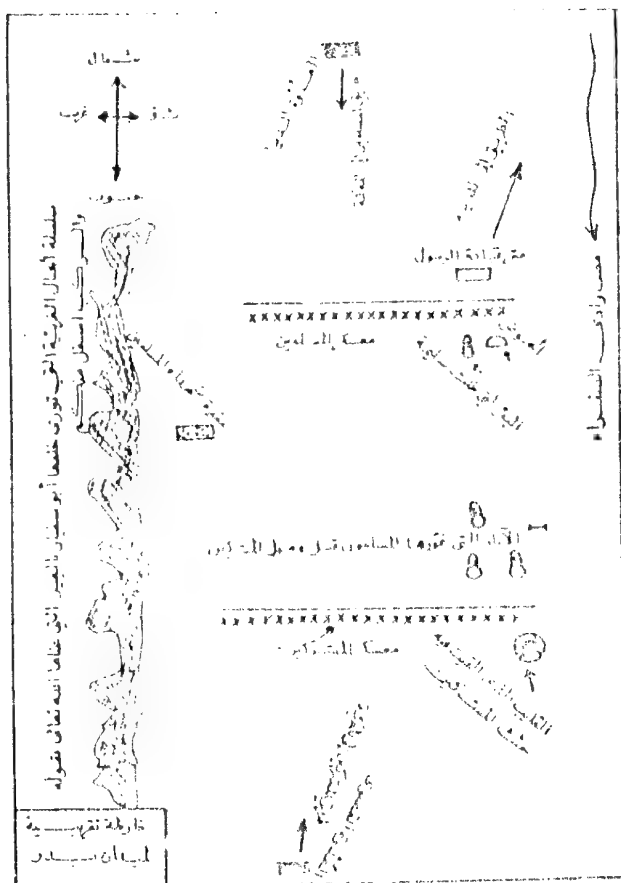
وهكذا صار اليهود والمنافقون يسببون المتاعب ويخلفون المشاكل للنبي ﷺ ويحاولون تهديم المجتمع الإسلامي الجديد وهو لم يزل وليداً .

ولكن الله (دائماً) يكتبهم ويجعل محاولاتهم كلها تنتهي بالفشل ، وبالرغم من أن مشاغبات اليهود والمنافقين قد جلبت متاعب للنبي ﷺ ، إلا أن أعمالهم الخبيثة قد كشفتهم للمسلمين وجعلتهم (منذ بداية عهدهم الجديد) يراقبونهم ولا يركنون إليهم في أى شأن من شؤونهم ، وخاصة الحربية والسياسية باعتبارهم طابوراً خامساً يعمل بين المسلمين ضدهم .

ولما كانت الظروف بالنسبة للعهد الإسلامي الجديد ، ظروفاً خطيرة . أحاطت فيها الأخطار بالمسلمين من كل جانب ، إذ هم في بداية عهد جديد ، لا يزال أكثر سكان الجزيرة العربية يقفون منه موقف العداء والخصومة ، لاسيما قريش ، التي تشعر عن تجربة (أكثر من غيرها) بخطورة الدين الجديد الذي لا يعنى انتصاره شيئاً أكثر مما يعنى نفس كيانه الوثني .

ولما كانت الظروف هكذا وعلى ذلك الجانب من الخطورة ، فإن النبي ﷺ لم يتخذ أى إجراء تأديبي ضد اليهود والمنافقين بالرغم من تأكده أنهم يمثلون داخل جسم المجتمع الجديد غدة مرض مستظلت تسبب الآلام لهذا الجسم إذا لم تستأصل منه ، فتركهم وشأنهم حتى جاء دور التصفية النهائية ، وخاصة بالنسبة لليهود الذين بلغ بهم الغدر إلى درجة إظهار

السلاح في وجه المسلمين ، ونقض المعاهدات والانضمام إلى أعداء المسلمين المحاربين في أحلك الظروف وأدق ساعات الحرج ، كما فعل بنو قريظة في غزوة الأحزاب ، حينما نقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين المحاصرين في المدينة ، فكان جزاء غدريهم في تلك الظروف الحرجة أن نفذ النبي ﷺ حكم الإعدام في جميع رجالهم وصادر أموالهم وسبي نساءهم وذرايرهم - كما سنفصل ذلك في غزوة الأحزاب إن شاء الله.



الفصل الرابع

- * نشاط المسلمين العسكري قبل معركة بدر .
- * نجاح النبي في انصالائه السياسية بقبائل المنطقة .
- * المعركة الفاصلة .
- * سبب المعركة .
- * خروج المسلمين لمصادرة غير قريش
- * نجاة العير ، وتحركات الجيش المكي نحو بدر .
- * النبي يستشير أصحابه في ملاقاته جيش مكة .
- * موافقة الصحابة على خوض المعركة .
- * التحام الفريقين في بدر .
- * هزيمة المشركين الساحقة .

لقد كانت الظروف التي هاجر فيها الرسول هي ظروفًا حربية أوجدها زعماء مكة أنفسهم ، عندما أهدروا دمه وخفروا ذمته . إنها الحرب (إذن) ولا شيء سواها .

فطبيعي (إذن) أن يعمل كل من الفريقين (مكة والمدينة) عسكرياً وسياسياً واقتصادياً ضد الآخر ، فاستعمال السلاح وإضعاف شوكة العدو بآية وسيلة من الوسائل ، هو من الأمور البديهية التي لا تقبل النقاش أو الجدل .

فلا يلام فريق أعانت عليه الحرب وصمم أعداؤه على الفتك به
أينما وجدوه ، لا يلام إذا مات ربض بهم الدوائر ورسم الخطط لخضد
شوكتهم ومنع أذاهم .

فمعركة بدر هذه التي خاضها المسلمون ضد المشركين إنما هي
معركة عادلة ، أملت على المسلمين طبيعة الظروف العسكرية القائمة
بينهم وبين أعدائهم .

النشاط العسكري قبل معركة بدر

كانت الفترة التي تلت هجرة الرسول حتى معركة بدر ، حوالى
تسعة عشر شهراً ، وفى أثناء هذه الفترة لم يحدث أى عراك دأى بين
مكة والمدينة ، اللهم إلا ما حدث فى السرية التي قادها عبد الله بن
جحش^(١) ، والتي تلتها معركة بدر مباشرة .

دوريات المسلمين قبل معركة بدر

أما بقية الحركات العسكرية فهي أشبه بدوريات استطلاعية
قام بها المسلمون للاستكشاف والتعرف على الطرق المحيطة بالمدينة
والمسالك المؤدية إلى مكة ، واختبار مدى قوة القبائل المحيطة بالمنطقة ،
ومحاولة كسب بعضها بالمخالفة أو المصادقة ، (على الأقل) كما كان
الهدف منها أيضاً إشعار المشركين واليهود بقوة المسلمين على صد أى
اعتداء يتعرضون له . ويمكن تلخيص هذه الدوريات ، أو السرايا التي
قام بها المسلمون قبل معركة بدر كما يلي :

(١) هو عبد الله بن جحش بن رباب الأسدي حليف بنى عبد شمس ، هاجر
المجرتين ، وكان أول أمير عقدت له راية الإسلام . قتل شهيداً يوم أحد ،

١- دورية قتال بقيادة حمزة بن عبد المطلب : قوامها ثلاثون راكباً من المهاجرين . التقت هذه الدورية بقافلة تجارية لقريش يحميها ثلاثمائة مقاتل من قريش بقيادة أبي جهل بن هشام ، وذلك في ساحل البحر ناحية العيص^(١) في شهر رمضان من السنة الأولى للهجرة ، ولم يحدث قتال بين الفريقين لتدخل مجدى بن عمرو الجهنى الذى قام بدور حمامة السلام فحجز بينهما .

٢- دورية قتال بقوة ستين راكباً قادها عبيد بن الحارث إلى وادى رابغ ، وذلك في شهر شوال من السنة الأولى للهجرة ، وكان هدف الدورية تهديد تجارة قريش ، وقد التقت هذه الدورية بأكثر من مائتى مقاتل من قريش بقيادة أبي سفيان ، إلا أنه لم يحدث أى قتال بين الفريقين .

وفي هذه الغزوة انضم رجлан من جيش مكة إلى دورية عبيد ابن الحارث ، والرجلان هما المقداد بن عمرو البهرانى وعتبة بن غزوان وقد كانا مسلمين خرجاً في جيش مكة .

٣- دورية استطلاعية قوامها ثمانية من المهاجرين بقيادة سعد ابن أبى وقاص ، وصلت إلى الخرار^(٢) لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام ، ولكن هذه الدورية لم تشبك في أى قتال مع العدو ، وكان ذلك في ذى القعدة من السنة الأولى للهجرة .

٤- غزوة ودان^(٣) ، وهى دورية قتال قوامها مائتا مقاتل ، قادها

(١) العيص - بالكسر - مكان بين ينبع والمروة ناحية البحر .

(٢) الخرار - بفتح أوله وتشديد ثانيه - مكان في الحجاز بالقرب من الجحفة :

(٣) ودان ، موضع بين مكة والمدينة ، بينه وبين رابغ مائلى المدينة تسعة وعشرون

ميلاً .

الرسول ﷺ بنفسه إلى منطقة ودان وذلك في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وعاد دون أن يلقي حرباً إلا أنه عقد معاهدة عدم اعتداء مع قبائل بني ضمرة بن بكر بن كنانة .

٥ - غزوة بواط ^(١) وهى دورية قتال قادها الرسول ﷺ بنفسه إلى منطقة بواط على الطريق المؤدى من الشام إلى مكة ، وذلك في ربيع الأول من السنة الثانية للهجرة ، وكان هدف هذه الدورية الإيقاع بقافلة لقريش ولكن القافلة نجت وعاد النبي دون أن يلقي حرباً ، وكان قوام هذه الدورية مائتا راكب .

٦ - غزوة العشيرة ^(٢) ، دورية قتال قوامها مائتا مقاتل ، قادها الرسول ﷺ بنفسه إلى موضع (العشيرة) بمنطقة ينبع ^(٣) لتهديد تجارة قريش ، وعاد الرسول دون أن يلقي حرباً ، لتصل قافلة قريش من المرور في تلك المنطقة ، إلا أن النبي عقد (أثناء هذه الغزوة) معاهدة عدم اعتداء مع بني مدلج ^(٤) وحلفائهم من بني ضمرة وذلك في جمادى الأولى من السنة الثانية للهجرة .

٧ - غزوة بدر الأولى : دورية قتال قوتها مائتا مقاتل ، قادها الرسول بنفسه وذلك في جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة ، طارد بها قوات خفيفة للمشركين أغارت على مراعى المدينة ونهبت بعض

(١) بواط - بالضم وآخره طاء مهملة - واد بأرض الحجاز ناحية رضوى .

(٢) العشيرة - بضم أوله وفتح ثانيه - موضع بين مكة والمدينة من ناحية ينبع .

(٣) ينبع - بالفتح ثم السكون - قرية على يمين رضوى بينها وبين رضوى ليلة

للقافلة .

(٤) مدلج - بضم أوله وسكون ثانيه وكسر ثالثه - بطن من كنانة من العدنانية .

المواشي ، وصل النبي في المطاردة إلى وادي (سفوان) قريباً من بدر ، ولكنه لم يدرك القوات المغيرة فعاد دون أن يلقي حرباً .

القتال في الشهر الحرام

وآخر عملية عسكرية قام بها المسلمون (قبل معركة بدر) هي الدورية الاستطلاعية التي قام بها ثمانية من المهاجرين بقيادة عبد الله ابن جحش ، وذلك في شهر رجب من السنة الثانية للهجرة .

فقد أرسل الرسول هذه الدورية لاستطلاع أخبار قريش وأمرها أن ترصد لذلك بين مكة والطائف ، ولم يأمر هذه الدورية بالقتال .

وفي مكان يقال له (نخلة)^(١) التقت هذه الدورية بقافلة لقريش تحمل بضائع إلى مكة ، فأوقعت هذه الدورية بها بعد أن قتلت أحد رجالها ، وهو عمرو بن الحضرمي ، وأسرت اثنين منهم ، وبعد الاستيلاء على هذه القافلة عادت الدورية بها إلى المدينة ، وكان ابن الحضرمي أول مشرك يقتله المسلمون ، كما أن القافلة التي استولى عليها عبد الله بن جحش هي أول مال لقريش يستولى عليه المسلمون .

موقف حرج

وعندما بلغ الرسول ﷺ خبر هذا الحادث غضب لحادث القتل والمصادرة الذي قامت به دورية ابن جحش وأبى أن يأخذ شيئاً من المال المصادر ، لأن القتل والمصادرة حدثا في شهر رجب وهو من الأشهر

(١) هي نخلة اليمانية ، وهو الوادي المسمى باسم اليمانية المعروف بين مكة والطائف .

الحرم التي يحرم القتال فيها . وقد استغلت قريش هذا الحادث فقامت بحملة تشجيع على المسلمين باعتبارهم منتهكين لحرمة الأشهر الحرم التي كان القتال فيها محرماً بإجماع قبائل العرب .، وقالوا لقد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال وأسروا فيه الرجال .

ولم يُنج رجال هذه النورية من ورطتهم إلا نزول الوحي من السماء بإباحة قتال المشركين في أى وقت كان ، فقد أقر القرآن القائد ابن جحش وأفراد دوريته على عملهم الحربى إياه ، حيث أنزل الله بهذه المناسبة :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ، وَصَدَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفَرُ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ، وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (١) .

بعد التطور التشريعى فى القتال

وبعد هذا التطور التشريعى الذى أحل قتال العدو فى أى زمان ، دخل الصراع المسلح بين الفريقين فى مراحل أشد حشماً ، واتسعت الهوة بين المعسكرين . وصمم المسلمون على أن لا يتركوا أية فرصة تنتج لهم للإيقاع بعدوهم إلا اغتصموها .

كما أدرك قادة مكة أن المسلمين مصممون على محاسبتهم عسكرياً على كل ما ارتكبهوه فى حقوقهم من سيئات .

(١) البقرة ٢١٦ .

تجارة مكة في خطر

ولقد كان أول خطر شعر به مشركو مكة هو أن تجارنهم الرئيسية مع الشام - والتي هي العمود الفقري لحياتهم - أصبحت مهددة تهديداً خطيراً . بعد أن تمركز النبي في مقاطعة يثرب^(١) التي تتحكم في طريق القوافل الرئيسية ، بين مكة والشام . وهذه هي إحدى النتائج التي كانت تخشاها مكة من إفلات محمد ﷺ من قبضتها .

(١) يثرب اسم للمنطقة التي فيها المدينة ، وقد سببت باسم أول من سكنها . وهو يثرب بن قانية من ولد سام بن نوح :

معركة بدر

لقد كانت معركة بدر - بالإضافة إلى كونها المعركة الفاصلة الأولى في تاريخ الإسلام - أول مراحل الكفاح الجدى الدامى الذى خاضه الإسلام ضد الشرك .

فهى أول معركة (على الإطلاق) يتقابل فيها الفريقان ويقذفون فى أتونها بكتائب لم يسبق لهم أن قذفوا بمثلها منذ ظهرت دعوة الإسلام ونشبت الخصومة بينه وبين الكفر .

أسباب المعركة

لقد تحقق خوف المشركين ووقعت مكة فيما كانت تخشى الوقوع فيه ، فقد ظلت المدينة على غاية من التيقظ والتربص تتربص كل حركة من حركات قريش التجارية بين مكة والشام للإيقاع بها .

وفى أوائل الخريف من السنة الثانية للهجرة تلقت المدينة من مخابراتها إشارة بأن أبا سفيان بن حرب قد خرج من مكة إلى الشام فى تجارة كبيرة .

فخف الرسول وخرج من المدينة فى مائتى مقاتل لاعتراضها وذلك فى غزوة العشيرة ، ولكن هذه القافلة تمكنت من الإفلات إلى الشام ، فظل المسلمون يتربصون عودتها .

وقد بعث النبي ﷺ دورية مكونة من طلحة بن عبيد الله (١) وسعيد بن زيد (٢) وأمرها بالاتجاه نحو الشمال لانتظار القافلة ، فوصلت هذه الدورية إلى الحوراء (٣) وهناك مكثت هذه الدورية حتى مر بها أبو سفيان عائداً من الشام بالقافلة البالغ عددها ألف بغير . وعند ذلك أسرع طلحة وسعيد وأخبرا رسول الله بذلك .

خروج النبي للاستيلاء على القافلة

إنها (إذن) فرصة ذهبية لمعسكر المدينة ، وخاصة من فيه من المهاجرين الذين صادر أهل مكة ثرواتهم عند هجرتهم واستولوا على ممتلكاتهم .

وإنها لضربة عسكرية وسياسية واقتصادية قاصمة ، تنزل بمعسكر الشرك في مكة ، لو أنها فقدت هذه الثروة الهائلة على أيدي المسلمين . فلتتحرك المدينة (إذن) للاستيلاء على هذه الثروة الضخمة التي تحملها غير المشركين ، وهل في ذلك من حرج ؟ .

أليست المدينة في حالة حرب مع مكة ؟ ، أليس الذين أعلنوا هذه الحرب - بغياً وعدواناً - هم أهل مكة وأصحاب هذه القافلة ؟ وأليس

(١) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي ، غني عن التعريف ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، شهد جميع المشاهد مع رسول الله وأصيب بأربعة وعشرين جرحاً في معركة أحد ، كان مع أغنياء الصحابة الأجواد ، قتل في الفتنة يوم الجمل في جانب عائشة ودفن بالبصرة .

(٢) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة ، كان من ذوى الرأي والبسالة ، شهد اليرموك وحصار دمشق ، وولاه أبو عبيدة إمارة هذه المدينة ، مات رضي الله عنه بالمدينة المنورة سنة إحدى وخمسين من الهجرة . (٣) الحوراء - بفتح أوله وسكون ثانيه - ماء لبني طي شمال غرب المدينة .

أصحاب هذه القافلة هم الذين صادروا أموال المهاجرين واستولوا على ممتلكاتهم في مكة بغياً وعدواناً لا لشيء إلا لأنهم آمنوا بالدين الجديد. وأليس من حق من أعلنت عليه الحرب وصودرت أمواله أن يقاتل من أعلنها ويستولى على كل ما اتصل إليه يده من ممتلكاته؟؟ .

بلى .. إن هذه هي قاعدة الحرب وقانونها في عرف جميع البشر^(١) فلا غرابة (إذن) في أن يعقد الرسول العزم على التصدي لقافلة قريش ويصمم على الاستيلاء عليها كجزء من مال العدو المحارب . إن كثيراً من المستشرقين وبعض فروخهم في الشرق الإسلامي ينظرون إلى معركة بدر ، وكأنها ضرب من قطع الطريق وأعمال السلب والنهب المجردة .

وهذه النظرة بالتأكيد ، ليس لها مصدر إلا الحقد الأسود الذي يعنى عن الحقائق ويتيح للهوى أن يتكلم ويصدر حكمه كما يشاء . وإلا فكيف يوصف باللصوصية وقطع الطريق من حمل السلاح في وجه من أعلن عليه الحرب وقرر الفتك به ، وصمم على القضاء عليه ومحوه من الوجود وصادر كل ما وصلت إليه يده من أمواله وممتلكاته .

منطق غريب ...

إنه منطق غريب معكوس ، لا يشبهه إلا منطق أسياذ هؤلاء الفروخ من المستعمرين الذين يصادرون حريات الشعوب ، ويهدرون كراماتهم ويستبيحون دماءهم ، ثم يسمونهم باللصوص المتوحشين .

قال جندي إنكليزي مرة لزميل له - يصف الأفريقيين المعتدي

(١) انظر القانون الدولي العام :

عليهم - إن هؤلاء الأفريقيين وحوش ، والله وحوش ، فقال له : وكيف ؟
قال : تصور أن أحدهم عضنى وأنا أقتله ... !

الحملة تتحرك

بعد أن سمع النبي بدخول قافلة العدو إلى التراب الحجازى تحرك
من المدينة بجيشه للاستيلاء عليها ..

ومن الواضح جداً .. أن استنفار عساكر الإسلام بالمدينة من أجل
الاستيلاء على هذه القافلة ، لم يكن تجنبداً إجبارياً (كما هى العادة
فى المعارك الكبرى التى يستعد الرسول لخوضها كمعركة أحد) بل كان
نداء الرسول للجيش هنا بمثابة ترغيب فقط .

فقد جاء فى نداءه قوله .. هذه عبر قريش فيها أموالهم فاخرجوا
إليها لعل الله ينفلكموها .

ولذلك تخلف كثير من الصحابة فى المدينة عن الاشتراك فى معركة
بدر التى لم يكن أحد من المسلمين يتوقع حدوثها عند خروجه من المدينة .

ولم ينكر الرسول على أحد من المتخلفين ، بل ولم يستحبه على
الخروج مع الحملة ، بل ترك الأمر للرغبة الخاصة ، والاختيار المحض .

ومن المؤكد أن الذين لم ينخرطوا فى سلك الجيش الذى خرج
للاقاء العير ، لو كانوا يعلمون أن الرسول سيصطدم بجيش مكة ذلك
الاصطدام العنيف فى بدر ، لما تخلف منهم قادر على حمل السلاح . ولكنهم
اعتقدوا (جازمين) أن الصدام لن يكون عنيفاً عند التصدى للقافلة ،
بل قد لا يكون هناك صدام إذ من المتوقع أن يفر حرس العير - وهم

لايزيدون عن أربعين راکباً - بمجرد رؤية محمد وجنوده الذين لايقولون
عن ثلاثمائة مقاتل .

لذلك تخلف من تخلف عن الحملة في المدينة ، وقد أفصح عن هذه
الحقيقة أسيد بن الحضير^(١) وهو سيد من سادات الأنصار - فقد
قال للرسول معتذراً - عندما لقيه مهنثاً بالنصر في الروحاء - والله يارسول
الله ما كان تخلفي عن بدر وأنا أظن أنك تلقى عدواً ، ولكن ظننت أنها
غير ، ولو ظننت أنه عدو ما تخلفت ، فقال له الرسول صدقت .
وكان خروج النبي بجيشه من المدينة يوم الأربعاء لثمان خلون
من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة .

أمير على المدينة

وقد استعمل على المدينة للصلاة بالناس ابن أم مكتوم^(٢) .
أما الإمارة على المدينة فقد أسندها لأبى لبابة^(٣) الذي أعاده
من الروحاء ، بعد أن أعفاه من الاشتراك في حملة بدر .

(١) هو أسيد (بالضم) بن الحضير بن سهاك بن عتيك الأنصارى الأشهل ، كان
من السابقين الأولين في الإسلام ، شهد بيعة العقبة ، وكان أحد النقباء فيها ، وكان سيداً
شريعاً مطاعاً بين الأنصار ، وقالت عائشة رضى الله عنها ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد
منهم يلحق في الفضل كلهم من بنى عبد الأشهل ، سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ،
وعباد بن بشر ، شهد أسيد أحداً ، وكان من الثابتين بعد الهزيمة وجرح في تلك المعركة
سبع جراحات مات رضى الله عنها سنة إحدى وعشرين من الهجرة .
(٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .
(٣) أبو لبابة ، اسمه رفاعة بن عبد المنذر الأوسى الأنصارى ، شهد بيعة العقبة

وكان أحد نقبائها الإثني عشر ، كان أحد الذين تخلوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك ، ثم تاب الله عليه مع من تاب ، شهد فتح مكة ، وكان معه لواء قومه
بنى عوف مات في خلافة علي ، وقيل عاش إلى ما بعد الخمسين من الهجرة :

توزيع القيادات

وعند خروج الجيش من المدينة دفع لواء القيادة العامة (التي يتولاها ﷺ بنفسه) إلى مصعب بن عمير القرشي ، وكان هذا اللواء أيضاً .

كما قسم ﷺ جيشه إلى كتيبتين ، وكان هذا التقسيم على أساس قبلى .

فقد كانت كتيبة المهاجرين - التي أعطى علمها لعلی بن أبی طالب ^(١) - منفصلة عن كتيبة الأنصار التي أعطى علمها لسعد بن معاذ ^(٢) بينما ظلت قيادة هاتين الكتيبتين العليا في يد الرسول ﷺ كقائد أعلى للجيش .

كما أعطى قيادة ميمنة الجيش للزبير بن العوام ، والميسرة للمقداد بن عمرو الكندي وهما الفارسان الوحيدان في جيش المدينة ، كما أعطى قيادة الساقة (المؤخرة) لقيس بن أبی صعصعة .

(١) هو علی بن أبی طالب ابن عم رسول الله ، غنى عن التعريف ، رابع الخلفاء الراشدين وزوج فاطمة البتول وأول الناس إسلاماً ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، فارس نبی عبد مناف وبطلها المغوار ، شهد المعارك كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة بعد أن ضربت الفتنة أطناها على الأمة الإسلامية ، فكان رضى الله عنه مثال العدل والعفة والتزاهة ، قتله اللعين ، عبد الرحمن بن الملجم غدراً ، ليلة السابع عشر من رمضان سنة أربعين من الهجرة .

(٢) هو سعد بن معاذ بن النعمان الأنصارى الأوسى ، كان سيد الأوس في الجاهلية والإسلام ، وهو الذى قال فيه النبى لما مات « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ، جرح يوم الخندق ومات من جرحه ذاك بعد شهر وذلك سنة خمس من الهجرة .

مبلغ قوة جيش المدينة

وكان جيش المدينة يتألف من ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً .
منهم ، مائتان وواحد وثلاثون من الأنصار .. ومائة وسبعون من
الخزرج ، وواحد وستون من الأوس .
أما المهاجرون فقد كانوا ستة وثمانون رجلاً^(١) .
ومن الجدير بالذكر أنه لم يكن بين هؤلاء المهاجرين من القرشيين
سوى واحد وأربعين رجلاً .

من بنى هاشم ثلاثة ، ومن بنى المطلب أربعة ، ومن بنى عبد شمس
واحد ، ومن بنى عبد العزى واحد ، ومن بنى عبد الدار اثنان ، ومن
بنى زهرة ثلاثة . ومن بنى تميم واحد ، ومن بنى مخزوم ثلاثة ، ومن
بنى عدى أربعة ، ومن بنى جمح خمسة ، ومن بنى سهم واحد ، ومن
بنى عامر خمسة ومن بنى الحارث ستة .

أما الباقيون ، وهم خمسة وأربعون فقد كانوا من الموالى والحلفاء .
فالموالى كانوا اثنا عشر ، منهم أربعة من العرب . وثمانية من العجم .
أما الحلفاء من العرب (غير القرشيين) فقد كانوا ثلاثة وثلاثون .
أما سلاح الثقليات في هذه الحملة فقد كان سبعين بغيراً وفرنسين
فقط ، أحدهما مع المقداد بن الأسود والثاني مع الزبير بن العوام .

(١) وقد ذكر المؤرخون أن ثمانية من هؤلاء ... ثلاثة من المهاجرين وهم : عثمان
ابن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن زيد ، وخمسة من الأنصار ، قد غابوا عن
المعركة في مهام تتعلق بالإسلام فأعلن الرسول أن لهم أجر من شهدا وضرب لهم بسهم
كمن شهدا ، ولهذا اعتبروا في عداد البلريين وإن لم يشهدوا بذراً .

لا فرق بين قائد وجندى

وكان أفراد الجيش مع قوادهم يعتقبون السبعين بعيراً في حملتهم هذه ، فقد خصص جمل لكل جماعة يركبونه بالتناوب حتى بدر .

وكان الرسول ﷺ ومرثد بن أبي مرثد^(١) وعلى بن أبي طالب يعتقبون بعيراً ، فطلب ابن أبي طالب وابن أبي مرثد من زميلهما النبي ﷺ أن يتنازلا عن حصتهما في ركوب البعير له ، وقالوا له ، نحن نمشي عنك ، فقال ﷺ « ما أنتما بأقوى منى ولا أنا بأغنى الأجر عنكما ، وأبى إلا أن يكون حصته في ركوب البعير كواحد منهما .

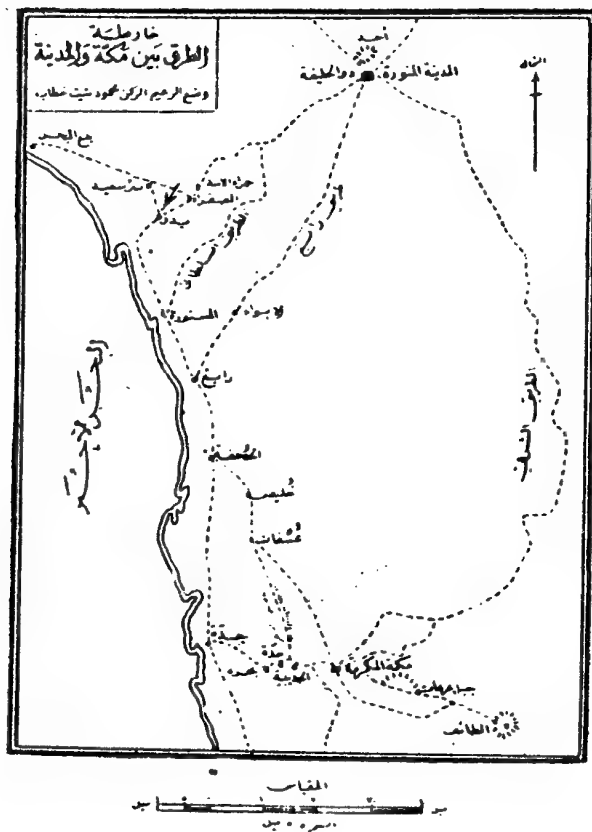
الاستخبارات النبوية

أمر الرسول ﷺ بقطع الأجراس من أعناق الإبل^(٢) ويظهر أن ذلك من أجل إخفاء حركات الجيش ، لأن الأجراس تحدث أصواتاً عالية عند سير الجمال ، وهذا مما قد يسهل على العدو معرفة مكان الجيش ، ولهذا (والله أعلم) أمر الرسول بقطعها من أعناق الإبل .

وكما هي العادة في الظروف الحربية التي تتطلب الحيلة والحذر ، بث الرسول عيونه - وهم المعبّر عنهم في العصر الحديث بالاستخبارات أو سلاح الاستكشاف ، انتشر رجال سلاح الاستكشاف أمام الجيش هنا وهناك ، بغية التعرف على أخبار قافلة العدو ، وكان أحد هؤلاء

(١) هو مرثد بن أبي مرثد الغنوى ، من قبيلة قيس بن غيلان المضربية ، قتل شهيداً في غزوة ذات الربيع سنة ثلاث من الهجرة :

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦١ •



بسبس بن عمرو الجهني^(١) وعدى بن أبي الزغباء^(٢) اللذين كانا أول من بعثهم النبي في اتجاه بدر يتجسسان الأخبار عن أبي سفيان .

الطريق إلى بدر

وقد سلك الرسول في طريقه من المدينة إلى بدر ، على نقب المدينة^(٣) ، ثم العقيق^(٤) ثم ذى الحليفة^(٥) ثم أولات الجيش^(٦) ثم تربان^(٧) ثم ملل^(٨) ثم غميس الحمام^(٩) ثم صخيرات الينامة^(١٠) ثم السبالة^(١١) ثم فجج الروحاء ، ثم شنوكة^(١٢) .

وعند مغادرته بشر الروحاء ترك طريق مكة بيسار ثم انحرف ذات اليمين على النازية يريد بدرأ ، حتى إذا سلك وادياً يقال له وحقان - بين النازية ومضيق الصفراء - انصب منه ، ثم ترك وادى الصفراء بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفران^(١٣) ، وعند خروجه من هذا الوادى بلغه خبر خروج جيش مكة وزحفه في اتجاه بدر . وبعد

(١) هو بسبس بن عمرو الغطفاني الجهني .

(٢) هو عدى بن أبي الزغباء الغطفاني الجهني ، توفي في خلافة عمر .

(٣) خرق في الجبل بالقرب من المدينة .

(٤) العقيق - بفتح أوله وكسر ثانيه - واد يمر بضواحي المدينة .

(٥) ذى الحليفة - بضم الحاء وفتح اللام - مكان بينه وبين المدينة ستة أميال .

(٦) أولات الجيش ، واد بين ذى الحليفة وتربان .

(٧) تربان - بالضم - واد بين ذات الجيش وملل .

(٨) ملل - بفتح الميم واللام - موضع بينه وبين المدينة ليلتان للقافلة .

(٩) غميس الحمام - بفتح أوله وكسر ثانيه - واد بعد ملل .

(١٠) السبالة ، موضع بين ملل والروحاء .

(١١) الروحاء - بفتح الراء - موضع على أربعين ميلاً من المدينة .

(١٢) شنوكة - بفتح أوله وضم ثانيه - جبل بعد الروحاء قريب من بدر .

(١٣) ذفران - بالفتح ، ثم فاء بالكسر ، وراء مهملة - واد قرب وادى الصفراء .

خروجه من وأدى ذفران سلك على ثنابا ، يقال لها ، الأصافر ، ثم أنسط
منها إلى بلد - قرب بدر - يقال له .. الدبة ، وترك الحنان^(١) بيمين ،
ثم نزل قريباً من بدر .

استجد أبو سفيان بمكة

أما أبو سفيان - وهو المسئول الأول عن غير قريش - فقد كان على
غاية من الحيطة والحذر حيث كان يعلم جيداً أن طريق مكة محفوظ
بالأخطار .

لذلك لم تكد قدماء تطاء التراب الحجازي في الشمال حتى انتشرت
استخباراته أمامه تترصد الأخبار لمعرفة ما إذا كانت هناك تحركات
عسكرية من قبل محمد ﷺ للإيقاع بالقافلة .

ولم يطل التجسس بأبي سفيان ، فقد نقلت إليه استخباراته أن محمداً
ﷺ قد استنفر أصحابه للقافلة وأنهم قد غادورا المدينة للإيقاع بها .
وهنا أسقط في يد أبي سفيان ، وتمثل أمامه الخطر كبيراً مريعاً ،
لذا قرر في الحال إبلاغ قادة قريش في مكة حقيقة الخطر المحدق
بغيرهم ، طالباً منهم الإسراع لإنقاذها . وحمايتها من الوقوع في قبضة
محمد ﷺ .

النذير في مكة

وما هي إلا مدة قصيرة حتى ظهر رسول أبي سفيان (ضمضم
ابن عمرو الغفاري) في أعلى الأبطح بمكة واقفاً على بغيره ، قد حول
رحله وشق رداءه صارخاً بأعلى صوته - يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة :

(١) الحنان - كتيب عظيم كاجبل يقع على العدو الدنيا القريبة من بدر :

أموالكم مع أبي سفيان ، قد عرض لها محمد وأصحابه ، لا أرى أن
تدركوها ، الفوث الفوث .

وقد انزعجت مكة لهذا النبأ الخطير انزعاجاً كبيراً ، قررت على
أثره في الحال تجهيز جيش قوى لإنقاذ العير ، وبأسرع ما يمكن .
وقد اشترك في تجهيز هذا الجيش بالرجال والمال جميع قبائل
قريش ، كما ضم جميع زعماء قريش وقادتها ، ما عدا أبي لُبب الذي
تأخر لمرض ألمّ به ، وبعث عنه بديلاً ، وصفوان بن أمية لأن أباه
وأخاه من انخرط في سلك هذا الجيش .

مشكلة قبائل بني بكر من كنانة (١)

وبعد تجهيز الجيش تذكر زعماء مكة ما بينهم وبين بني بكر من
كنانة ، من الحرب ، وخافوا أن تضربهم هذه القبائل من الخلف ،
فيكونوا بين نارين ، فكاد ذلك أن يثنّيهم عن الزحف لإنقاذ العير
غير أن إبليس تبدى لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم ، وكان
من أشرف كنانة ، وقال لهم أنا جار لكم من أن تأنّيككم كنانة من خلفكم
بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً ، قال ابن كثير في تاريخه ^(٢) (قلت)
وهذا معنى قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء
الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، إذ زين لهم ،

(١) هم بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة ، يتصل نسبهم بقريش في كنانة بن خزيمة
كانت منازلهم تنتشر بين مكة والمدينة ، وكانت الحرب بينهم وبين قريش قائمة عندما
تجهز جيش مكة للخروج لإنقاذ العير ، وكان سبب هذه الحرب أن رجلاً من بني عامر
ابن أؤى من قريش قتل رجلاً من بكر هؤلاء :

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٩ :

الشيطان أعماهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وأنى جار لكم ، فلما تراءت الفشتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ^(١) .

جيش مكة يتحرك

تحركت مكة (بعد أن ضمنت موقف بني بكر) ثم نفرت بصناديدها وانطلقت سوادها يغلى كالبركان .

فقد فصل منها جيش ضخيم بلغ تعدادة حوالى ألف وثلاثمائة مقاتل.. تحرك هذا الجيش بسرعة فائقة نحو الشمال فى اتجاه بدر ، فامتطى الصعب والذلول ، بغية إنقاذ العير قبل وقوعها فى قبضة جيش المدينة. وقد سلكوا فى طريقهم إلى بدر وادى عسفان ^(٢) ثم قديد ^(٣) ثم الجحفة ^(٤) ثم الأبواء ^(٥) ثم إلى بدر ، وقد كان معهم سنون فرساً وسنائة درع ، وجمال كثيرة لم يعرف عددها بالضبط .

الممولون لجيش مكة

وكان المظعمون لجيش مكة والقائمون بتحويله تسعة من زعمائها وهم :

(١) الأنفال ، ٤٧ - ٤٨ .

(٢) عسفان - بضم العين وسكون السين - يقع فى طريق التوافل بين مكة ورايغ :

(٣) قديد - بضم القاف وفتح الدال - مكان بين عسفان ورايغ يقع بالتقرب من

تول - بضم التاء وفتح الواو - .

(٤) الجحفة بالضم ثم السكون - قرية على وادى رايغ بينها وبين البحر ستة أميال ، وبينها وبين مكة بطريق التوافل حوالى ١٢٢ ميلا .

(٥) الأبواء - بالفتح ثم السكون - قرية على بعد ثلاثة وعشرون ميلا من الجحفة بمائل المدينة .

- أبو جهل بن هشام ، نحر لهم عشراً من الإبل حين خروجهم من مكة .

- أمية بن خلف ، نحر لهم تسعاً بعسفان .

- سهيل بن عمرو^(١) ، نحر لهم عشراً بقديد .

- شيبة بن ربيعة ، نحر لهم تسعاً على مياه البحر بالقرب من قديد .

- عتبة بن ربيعة نحر لهم عشراً في الجحفة .

- نبيه ومنبه أبناء الحجاج نحر لهم عشراً بالأبواء .

- العباس بن عبد المطلب ، نحر لهم عشراً بين الأبواء وبدر .

- أبو البحرى بن هشام ، نحر لهم عشراً في بدر .

وبينما كان جيش مكة يتحرك بسرعة نحو بدر كان أبو سفيان يواصل سيره نحو مكة ، وبالرغم من تأكده من إسراع مكة بنجده فإنه ظل حذراً متيقظاً ، يرسم الخطط لكل الاحتمالات التي قد يتعرض لها قبل اتصاله بجيش مكة ، فهو لذلك لم يستم في انتظار نجدة قريب .
فقد ضاعف حركاته الاستكشافية ، وبذل كل ما في وسعه لتتبع أخبار جيش المدينة ليتجنب الاصطدام به .، ويفلت من قبضته .
وبالرغم من حذر أبي سفيان وتيقظه ، فإنه لم يغير اتجاهه الطبيعي العادي في سيره نحو مكة ، فقد كان يسير بالاقافلة من الشمال نحو الجنوب في اتجاه بدر ، تاركاً المدينة عن يساره .

ساعة حرجة

وقد كانت ساعة حرجة بالنسبة لأبي سفيان عندما كاد يقع مع

(١) ستأتي ترجمته فيما يلي ،

القافلة في قبضة المسلمين ، عند اقترابه من بدر لولا أن أسعفه الحظ عندما لقي مجدى بن عمرو وسأله عن جيش محمد ، فقال ما رأيت أحداً أنكره إلا أننى رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شن لما ثم انطلقا .

وهنا أسرع أبو سفيان إلى مناخ راحتي الرجلين وتناول بعرات من فضلاتهما ، وعند فحصها وجد فيها النوى (بذر التمر) فقال هذه والله علائف يثرب ، وتأكد لديه أن الرجلين من أصحاب محمد ، وأن جيشه لا شك قريب من العير التي قد تقع بين لحظة وأخرى في قبضته . وهنا رجع إلى العير مسرعاً وضرب وجهها محولاً اتجاهها نحو الساحل غرباً ، وبهذا نجا بالقافلة من الوقوع في قبضة جيش المدينة .

جيش مكة ونجاة العير

وبعد أن تأكد أبو سفيان من نجاة العير أبلغ قريباً ذلك وطلب منهم - ناصحاً - أن يعودوا بالجيش إلى مكة ، قائلاً (في رسالة بعث بها إليهم ، وصلتهم وهم في الجحفة) إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ، وقد نجاها الله ، فارجعوا .

ولكن أبا جهل (وهو من أكبر الحاقدين على النبي محمد ﷺ) رفض نصيحة أبي سفيان وأصر على أن يستمر الجيش في زحفه حتى بدر قائلاً في كبرياء وغطرسة :

والله لا نرجع حتى نرد بدرأ فنقيم بها ثلاثاً فننحر الجزور وننطم

الطعام ونسقى الخمر وتعزف لنا القيان^(١) وتسمع بنا العرب وبمسيرنا
وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبداً . فامضوا^(٢)

أول انشقاق في جيش مكة

وقد كان قصد أبي جهل من استمرار جيش مكة في زحفه حتى بدر
(بالرغم من نجاة العير) أن يكون هذا الزحف بمثابة مناورة عسكرية
كبرى تبرز فيها قوة مكة وتتجسد فيها هيبتها أمام قبائل العرب -
وخاصة الضاربة بين مكة والمدينة - والتي سيمر بأراضيها هذا الجيش
الضخم الذي لم تشهد بلاد العرب مثل ضخامته منذ ظهور الإسلام .

اجعلوا جنبها بي

ولكن الأحنس بن شريق الثقفي^(٣) - حليف بني زهرة وقائد
قبيلاتها في هذا النفير - عارض أبا جهل في رأيه ووقف في الجيش
خطيباً موجهها كلامه إلى بني زهرة قائلاً :

يا بني زهرة قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلص صاحبكم مخزومة
ابن نوفل^(٤) ، وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جنبها وارجعوا

(١) القيان جمع قينة بفتح القاف وسكون الياء ، الأمة المغنية ، والمماشطة .

(٢) البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ .

(٣) هو الأحنس بن شريق بن وهب الثقفي حليف بني زهرة ، كان سيداً عاقلاً
ومطاعاً في قومه ، سمي الأحنس ، لأنه انحنس ، أي انفصل ببني زهرة من جيش مكة
بعد نجاة العير . أسلم عام الفتح . وشهد حنيناً مع الرسول صلى الله عليه وسلم :

(٤) هو مخزومة بن نوفل بن عبد مناف الزهري ، كان أحد رجال العير التي نجا بها
أبو سفيان . أسلم عام الفتح ومات سنة خمس وخمسين من الهجرة وعمره ١١٥ سنة .

فإنه لا حاجة لكم بأن تخرجوا في غير تصيعة ، لا ما يقول هذا ، يعنى
أبا جهل .

وكان الأخنس الثقي هذا سيداً مطاعاً في بني زهرة ، لذا أطاعوه
ورجعوا جميعهم من الجحفة ولم يشهد بدرأ زهرى واحد . وكانوا
حوالى ثلاثمائة رجل .

حرج موقف المسلمين

استمر جيش مكة في زحفه نحو الشمال ، فى خيلاء متزايد وكبرياء
متناه ، متبعاً رأى أبى جهل الذى قاده فى النهاية إلى هزيمة منكرة . لم
تشهد قريش مثلها فى تاريخها الطويل .

أما المسلمون فقد بلغهم خبر نجاة أبى سفيان بالقافلة ، ولكن الخبر
الذى هو أهم من خبر إفلات القافلة هو خبر تحركات جيش مكة
الضخم واستمراره فى الزحف نحو بدر بالرغم من نجاة العير التى لم
يخرج إلا لحمايتها .

فما لاشك فيه ، أن ترك جيش الشرك يجوس خلال الديار فى تلك
المنطقة الحساسة ، ويستعرض عضلاته بين القبائل الضاربة بين مكة
والمدينة ، فيه تحد سافر لمعسكر المدينة المسلم ، وتدعيم لمكانة قريش
العسكرية وامتداد لسلطانها السياسى ، وإضعاف لنفوذ الإسلام الذى
أخذ ينتشر فى تلك البقاع التى كانت (منذ الهجرة) مجالا لسرايا
عسكرية يقوم بها جيش النبی لإعلاء كلمة الله وتوهمين كلمة الكفر .
فسير جيش مكة فى استعراضاته الاستفزازية من مكة حتى بدر ،

دون أن يشتبك مع جيش المدينة الذي كان هو الآخر متجهًا بزحفه نحو بدر ، معناه النكول عن القتال ، وهذا لو حدث من جانب جيش محمد ﷺ ، سيكون له أسوأ الأثر على هيبة المسلمين وسمعتهم العسكرية في تلك المنطقة ، وقد يشجع هذا النكول أبا جهل على نقل المعركة إلى أسوار المدينة وغزو النبي في عقر داره بهذا الجيش نفسه .

المجلس العسكري الأعلى

لهذا اهتم الرسول ﷺ بهذه التطورات الخطيرة المفاجئة ، غاية الاهتمام ، وكانت رغبة الرسول أكيدة وقوية في الاشتباك مع جيش مكة في بدر ، مهما كان الثمن .

ولكنه بالرغم من هذا : وبالرغم من أنه النبي المرسل من عند الله ، وبالرغم من أنه القائد الأعلى للجيش : فقد قرر أن لا يتفرد بالقول الفصل وأن لا يتفرد برأيه حيال هذه التطورات العسكرية المباشرة . وذلك عملاً بمبدأ الشورى الذي جاء به الإسلام ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ . لذلك سارع الرسول ﷺ إلى عقد ما يسمى بلغة عصرنا (مجلساً عسكرياً) أعلى تبادل فيه الرأي مع قادة جيشه ليعرف وجهات نظرهم حيال هذا الموقف الخطير .

خطورة الموقف

إن تطور الموقف إلى هذه الدرجة من الخطورة كان امتحاناً مباغثاً لجيش المدينة الصغير الذي لم يكن مستعداً لخوض مثل هذه المعركة . فخروجه في البداية إنما كان من أجل الاستيلاء على قافلة لا يزيد

عدد حراسها على أربعين مقاتلاً وهو أمر لا يحتاج إلى أكثر مما قام به هذا الجيش من استعدادات .

ولكن هذا الأمر اليسير (وبطريقة مباغطة) تحول إلى أمر خطير جعل المسلمين في مأزق حرج ، فقد أفلت الأربعون راكباً ونجوا بقافلتهم ووجد هذا الجيش الصغير (جيش المدينة) نفسه - بدلاً من حرس العير الأربعين - أمام جيش لجب تقوده الخيلاء وتدفعه الكبرياء والتحدى ، قد جمع بين صناديد مكة وفرسانها .

والاصطدام مع هذا الجيش القوى الكبير يحتاج من المسلمين (قبل الإقدام عليه) إلى بحث المقدمات والتفكير في النتائج . ولهذا عقد الرسول ﷺ مجلسه العسكري الاستشاري ^(١) الأعلى الذى أحب أن يطلع فيه على حقيقة آراء قادة جيشه في ذلك الظرف الدقيق .

إجماع القادة على ملاقاته جيش مكة

ولكن هذا المجلس لم يكد ينعقد ، حتى وقف قادة المهاجرين يعلنون تصميمهم على الاشتباك مع جيش الشرك مهما كان الثمن . وقد جاء إعلانهم هذا صريحاً في قول أحد قادتهم ، وهو المقداد ابن عمرو ^(٢) الذى وقف خطيباً في المجلس قائلاً :

(١) تم عقد هذا المجلس بعد خروج جيش المدينة من وادى الذفران مباشرة وذلك بالقرب من بدر .

(٢) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة العامري ، ويقال له المقداد بن الأسود الكندي الحضري ، لأن أبيه أصاب دماً في قومه فلحق بحضرموت وحالف كندة وتزوج منهم امرأة فولدت له المقداد ، ولما كبر المقداد ، حدث شجار بينه وبين أبي شمر بن حجر =

« يارسول الله امض لما أراك فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾ ولكن « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فو الذى بعثك بالحق لو سرت إلى برك الغماد^(١) لجالدنا معك من دونه ، حتى تبلغه » فقال له الرسول خيراً .

الكلمة الأخيرة للأنصار

ولكن الرسول إذا كان قد عرف رأى المهاجرين فى هذا المجلس (وهم أقلية فى الجيش) فإنه لم يعرف بعد حقيقة موقف الأنصار الذين سيدور ثقل المعركة القادمة على كواهلهم ، لأنهم يمثلون أغلبية الجيش ، ولأن نصوص معاهدة العقبة لا تلزمهم صراحة بالقتال خارج ديارهم . حيث جاء فى أحد بنودها :

« إنهم (أى الأنصار) برآء من ذمامه حتى يصل إلى ديارهم ، فإذا وصل إليهم فإنه فى ذمتهم يمنعونه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم » . فكان لذلك ، يخشى ألا تكون الأنصار ترى نصره إلا ضد من يهاجمه بالمدينة .

ولهذا أحب أن يرى (بصفة خاصة) حقيقة موقف الأنصار من

= الكندى فضرب رجله بالسيف ، وهرب إلى مكة وحالف الأسود بن عبد يغوث فتنبه الأسود ولذلك قيل له المقداد بن الأسود وغلب عليه ذلك ولما نزلت (ادعوهم لآبائهم) قيل له المقداد بن عمرو ، هاجر المقداد المجرنين وكان شجاعاً ، مات رضى الله عنه سنة ثلاث وثلاثين هجرية .

(١) برك الغماد :: يقال إنه أقصى معمر فى الأرض .

خوض المعركة المقبلة ، فقال (بعد سماع موافقة المهاجرين) « أشيروا على أيها الناس » - يقصد الأنصار - .
وهنا نهض سعد بن معاذ^(١) ، سيد الأنصار ، وصاحب لواء كتيبتهم وقال :-

لَكَأَنْتَ تَرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟؟

فقال ﷺ : أجل .

فأعلن القائد الأنصارى موافقة الأنصار المطلقة وتصميمهم الصادق على ملاقاته جيش العدو قائلاً مخاطباً النبي عليه الصلاة والسلام
قد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهداً وموثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد . وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . إنا لنصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله .

إلى المعركة

وهنا سر الرسول ﷺ بعد أن عرف رغبة الفريقين الصادقة في الاشتباك مع جيش الشرك ، ونشطه ذلك ..

وفوراً أمر الجيش بمواصلة التحرك نحو بدر وقال :

« سيروا ، وأبشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم » . فتحرك الجيش نحو مياه بدر .

(١) ستأتي ترجمته .

النبي في سلاح الاستكشاف

ومن أروع الأمثلة التي ضربها النبي ﷺ للقائد البقظ المتواضع أنه عندما نزل بأصحابه بالقرب من بدر - حيث يربض جيش مكة المضخم قام بنفسه - مع بعض أصحابه - بعملية الاستكشاف لمعرفة أخبار جيش العدو ، محاولاً بنفسه التعرف على حقيقة قوة هذا الجيش وأين هو .

وبينما كان الرسول يتجول حول معسكر مكة ، مع أحد أصحابه مخاطراً بنفسه ، إذا به يقف على شيخ من العرب ، فأحب أن يسأله عن قريش ، ولكنه خاف أن يشبه الشيخ فيه ويظنه من جيش المسلمين فسأله عن جيش قريش وجيش المسلمين معاً ، زيادة في التكم والاحتياط . ولكن الشيخ (بدافع الفضول) قال للنبي ﷺ لا أخبركما حتى تخبراني من أنتم ؟؟ .

فقال له الرسول إذا أخبرتنا أخبرناك ...

قال الشيخ أو ذاك ؟ .

قال النبي ، نعم .

قال الشيخ ، فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه ، خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن صدق الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به جيش الرسول ﷺ ، وأنه بلغني أن قريشا خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به جيش مكة .. ولما فرغ الشيخ من خبره قال .. من أنتم ؟ فقال الرسول ﷺ نحن من ماؤثم انصرف ، بعد أن عرف (بالتحديد)

مكان جيش العدو دون أن يعرف الشيخ من هو . وهذا تشريع حربى شرعه الرسول ، يجوز أو يجب بموجبه الحصول على أخبار العدو بأية وسيلة ، حتى ولو أدى إلى التعميه مادام فى ذلك مصلحة جيش المسلمين وسلامته .

وبعد أن رجع النبى ﷺ إلى مقر قيادته فى الجيش ، بعث فى مساء ذلك اليوم استخباراته من جديد لترصد له أخبار جيش العدو ..
فقد انتدب ثلاثة من قادة المهاجرين (على بن أبى طالب والزبير ابن العوام ^(١) وسعد بن أبى وقاص ^(٢) مع نفر من أصحابه إلى ماء بدر نفسها للحصول على مزيد من أخبار العدو ..

الحصول على أهم المعلومات عن جيش مكة

وعند الماء فى بدر ، وجدوا غلامين تابعين لجيش المشركين يستقيان فالتادوهما إلى المعسكر النبوى ، حيث استجوبهما الرسول ، وعرف منهما عن جيش العدو ما يجب أن يعرفه قائد عن جيش عدوه ..

(١) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، غنى عن التعريف ، أحد العشرة المبشرين بالجنة ، أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، هاجر المهاجرين ، وقتل فى فتنة الجمل بعد أن خرج تاركاً القتال ومقتنعاً بأنه غير مصيب فى موقفه من على ، قتله عمرو بن جرموز غدرأ فى وادى السباع ، وكان قتله سنة ست وثلاثين وله من العمر ست أو سبع وستون سنة .

(٢) هو سعد بن مالك بن أهيب الزهرى ، غنى عن التعريف كان سابع سبعة فى إسلامه ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وكان على غاية من الورع ومراقبة الله ، اعتزل الفتنة ولم يقاتل مع أى مع الأطراف المتنازعة بعد مقتل عثمان ، مات سنة ثمان وخمسين هجرية على خلاف فى ذلك .

فقد سأل الرسول الغلامين عن مكان جيش مكة فقالا ... هم وراء هذا الكتيب الذى ترى بالعدوة القصوى .

فقال لهما : كم القوم ، قالوا كثير ، فقال ما عدتهم ؟ قالوا : لاندري . قال : كم ينحرون كل يوم (أى من الإبل) ؟ قالوا : يوماً تسعاً ، ويوماً عشرة .

فقال الرسول لأصحابه : القوم فيما بين التسعمائة والألف .

ثم سأل الغلامين عن من فى الجيش من أشرف مكة وقادتها . فأخبراه أن منهم القادة - عتبة بن ربيعة وشيبة أخاه وأباً جهل ابن هشام ، وأباً البحرى بن هشام وأمّية بن خلف والعباس بن عبد المطلب ^(١) ، وسهيل بن عمرو ، ونبيه ومنبه أبناء الحجاج وغيرهم من أشرف مكة .

وهنا تأكد الرسول من قوة جيش العدو ، وضخامته ، والتفت نحو قادة جيشه قائلاً :

« هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها » - (يعنى من بجيش مكة من قادتها وأشرفها) .

نموذج من الشورى الصحيحة

وفى اليوم السادس عشر من شهر رمضان المبارك للسنة الثانية من

(١) هو العباس بن عبد المطلب ، عم النبي صلى الله عليه وسلم غنى عن التعريف . - شهد بدرًا مع المشركين مكرها ، فأسر ، وفيه قال النبي « من أذى العباس فقد أذى » أسلم وهاجر قبل الفتح بقليل ، وشهد فتح مكة وثبت يوم حنين مع النبي عند انهزام المسلمين عند الصدمة الأولى ، مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين .

الهجرة ، تحرك الرسول ﷺ بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه .

وفي أثناء هذا التحرك ، حدثت حادثة ، تجلت فيها ديمقراطية الرسول (إن صح هذا التعبير) ، فقد نزل الرسول ﷺ بالجيش بماء من مياه بدر ، رأى أحد القادة أنه ليس من المصلحة الحربية النزول فيه ، وهذا القائد ، هو الحباب بن المنذر الأنصاري^(١) ، الذي قال (ناصحاً كخبير عسكري) يا رسول الله :

أرأيت هذا المنزل ، أمتزلاً أنزلك الله ، ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر ؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟؟ .

فقال الرسول ﷺ : بل هو الرأي والحرب والمكيدة .

فقال الخبير العسكري (الحباب) :

يا رسول الله ، فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نغور (أي نحرب) ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماءً ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون .

فقال الرسول ﷺ « لقد أشرت بالرأي » ، وانهض بالجيش فسار حتى إذا أتى أقرب ماء من العدو ، نزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت (حسب رأي الحباب بن المنذر) ثم بنى حوضاً على انقلاب الذي نزل عليه فملئ ماءً .

(١) هو الحباب بن المنذر بن الجهم الخزرجي الأنصاري ، وهو الذي قال يوم السقيفة بعد موت النبي (أنا جديلهما المحكك وعذيبها المرجب) ، مات في خلافة عمر ، وقد زاد على الحسين .

الكشافة في جيش العدو

أما قريش فبعد أن اطمأنت في معسكرها بالعنوة القصوى من الوادى بثت سلاح استكشافها حول جيش المدينة : للتعرف على حقيقته ومدى قوته ، فدار عمير بن وهب^(١) أحد رجال استخبارات جيش مكة ، حول جيش المدينة : ثم عاد إلى قريش ليخبرهم أن جيش محمد هو ثلاثمائة مقاتل يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، ثم ضرب بفرسه راكضاً خلف جيش المسلمين ، للاستكشاف فيما إذا كان هناك كمين يحمى ظهور المسلمين أو يمددهم عند اللزوم ، ولكنه عاد وطمأن قريش بأن لا وجود لأى كمين للمسلمين .

البلايا تحمل المنايا

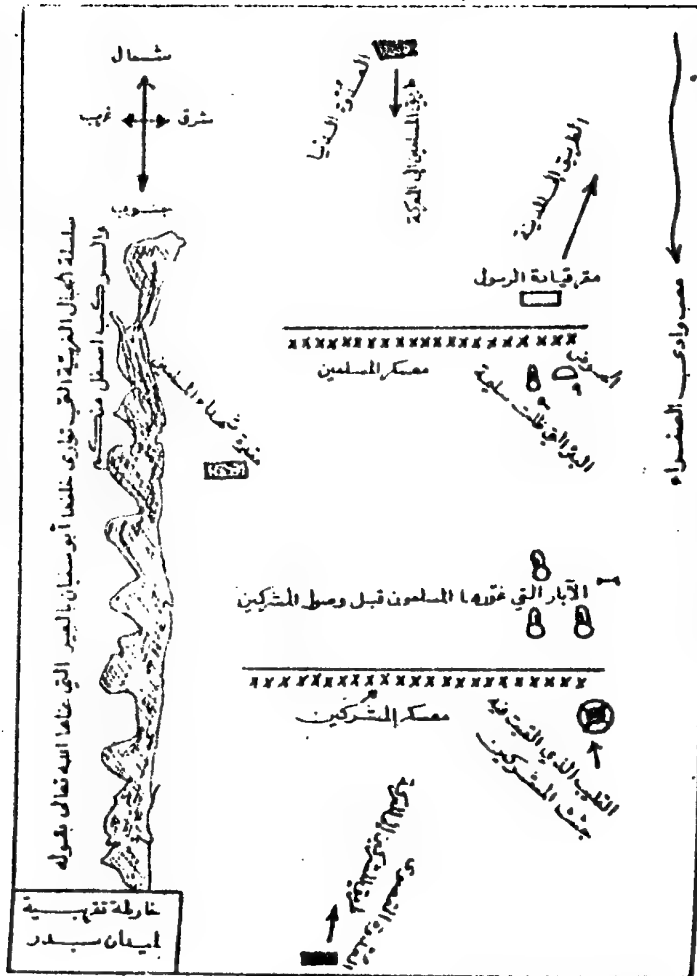
غير أنه (كخبير عسكرى) نصح قادة مكة وحذرهم قائلاً يصف رجال جيش محمد ﷺ :

لقد رأيت البلايا تحمل المنايا .. نواضح^(٢) يشرب تحمل الموت النافع^(٣) ، قوم ليس معهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فإذا أصابوا منكم أعداءهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟؟ فروا ، رأيكم .

(١) هو عمير بن وهب بن خلف الجمحي القرشي ، كان من شياطين قريش ، ذهب إلى المدينة بعد وقعة بدر لاغتيال النبي صلى الله عليه وسلم فهداه الله للإسلام ، فصار من أكبر دعائه وأنصاره .

(٢) النواضح : الإبل التى يستقى عليها .

(٣) موت نافع ، دائم .



الانشقاق الثاني في جيش مكة

وعند سماع كلام قائد سلاح الاستكشاف (عمير بن وهب) قامت معارضة أخرى ضد أبي جهل تدعو إلى العودة بالجيش إلى مكة دونما قتال .

وكانت هذه المعارضة ، أكبر من المعارضة التي قادها الأخنس ابن شريق ضد أبي جهل في منطقة رابغ ورجع على أثرها إلى مكة بقبيلة بني زهرة قبل الوصول إلى بدر .

قاد هذه المعارضة الأخيرة عتبة بن ربيعة سيد بني عبد شمس يسانده حكيم بن حزام ، فقد كان رأى هذه المعارضة التي ظهرت (قبل نشوب المعركة) بيوم أو بعض يوم ، تحاشى الاصطدام مع جيش المدينة ، وموادمته والرجوع إلى مكة دونما قتال .

فقد مشى حكيم بن حزام^(١) بين قادة جيش مكة يدعو لتأييد هذه المعارضة .

أنت كبير قريش وسيدها

فقد أتى حكيمُ عتبةَ بن ربيعة الأموي (أول قتيل يوم بدر بين الصفيين) وقال .. يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع ، فهل لك إلى خير تذكر به إلى آخر الدهر ؟ قال وما ذاك ؟ قال ترجع بالناس وتحمل أمر حليفك عمرو بن الحضرمي^(٢)

(١) هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى :: ابن أخي خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها ، كان من سادات قريش ، وكان صديقاً للنبي قبل البعثة ، أسلم عام الفتح ، مات سنة ستين هجرية في خلافة معاوية :

(٢) عمرو هذا هو الذي قتله المسلمون في سرية عبد الله بن جحش في آخر يوم من رجب سنة اثنين هجرية ، وكان حليف بني عبد شمس بن عبد مناف :

فقال عتبة : قد فعلت أنت علي - أي ضامن علي - بذلك ، إنما هو حليفي فعلى عَقْلُهُ (أي دينه) وما أُصيب من ماله ، وطلب عتبة من حكيم أن يمتنع أبا جهل الذي فرض نفسه على الجيش قائداً ، لأنه يخشى عناده ومكابرتة قائلاً : فأت ابن الحنظلية - يعني أبا جهل - فإني لا أخشى أن يشجر أمر الناس غيره .

عتبة يخطب في جيش مكة

ثم وقف عتبة بن ربيعة خطيباً في الجيش قائلاً : وداعياً إلى الانسحاب دونما قتال :

يا معشر قريش .. إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً . والله لئن أصبتموه ، لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، لأنه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا واخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه ، فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم سائتموه .

راكب الجمل الأحمر

وقد جاءت محاولة عتبة السلمية هذه مصداقاً لقول النبي ﷺ الذي قال عندما رأى جيش مكة .. إن يكن في أحد من القوم خير فني راكب الجمل الأحمر . إن يطيعوه يرشدوا ، وكان راكب الجمل الأحمر هذا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صاحب هذه المحاولة السلمية .

ثورة أبي جهل

ولكن أبا جهل لم يكذب يعلم بدعوة عتبة بن ربيعة السلمية حتى
استشاط غضباً ، ثم اتهم عتبة بالجبن ، والخوف على ابنه من القتل .
فقال لحكيم بن حزام الذي كان رسول عتبة إليه .. قد انتفخ
والله سحره ^(١) حين رأى محمداً وأصحابه .. كلا والله لا نرجع حتى يحكم
الله بيننا وبين محمد ، وما بعثنا ما قال ولكنه رأى أن محمداً وأصحابه
أكلة جزور ، وفيهم ابنه فتخوفكم عليه (وكان أبو حذيفة بن عتبة
موجوداً في جيش المسلمين : لأنه من السابقين الأولين في الإسلام) ،
ثم تزايد غضب أبي جهل وجرّد سيفه في عصبية زائدة ثم ضرب به متن
فرسه ، فقال له أيماء ^(٢) بن رخصة الغفاري وقد رأى الشر في وجهه :
بشس الفضال هذا .

ولما بلغ عتبة قول أبي جهل انتفخ والله سحره - وهي كلمة يقولها
العرب لمن غلبه الخوف واستبد به الفرع - سيعلم من انتفخ سحره ،
أنا أم هو .

وهكذا ولأمر يريده الله : تغلب الطيشر على الحكمة والرؤية ،
فهزمت معارضة صاحب الجمل الأحمر ، وتغلب رأى أبي جهل ، فحمل
جيش مكة على الاصطدام بجيش المدينة .

(١) السحر - بفتح السين وسكون الحاء - الرثة وما حولها وانتفاخها كناية عن شدة
الخوف وتمكن الفرع .

(٢) أيماء الغفاري هذا كان قد أهدى لجيش مكة عشرة جزائر فنحروها ، ثم
أرسل ابنه ليلفهم أن غفار مستعدة لدهم بالمتطوعين والسلاح قائلا (إن أحببت أن نمدكم
بسلاح ورجال فعلنا ، فشكروا ، وقالوا له : إن كنا إنما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم ،
وإن كنا إنما نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة) :

لقد كان أبو جهل من أشد الناس حقداً على المسلمين وبغضاً
لنبيهم ، وكان يتميز غيظاً لتمكن النبي من الإفلات من قبضة المشركين
في مكة ، وكان هو صاحب الاقتراح الذي وافق عليه المؤتمرون بدار
النلوة ، والذي يقضى بقتل النبي قبل خروجه من مكة .

لهذا اعتبر تقابل الجيشين - مع التفاوت في العدد والعدة - فرصة
ذهبية ، لعله ينال فيها ما يشفى غليله ، بالفتك بالمسلمين في المعركة
التي قضى على كل محاولة قامت للحيلولة بين قريش وبين خوضها .

أبو جهل والأخنس بن شريق

ومع أن أبا جهل يعلم أن محمداً ﷺ لا يكذب فقد أبى عليه
حقده الأسود إلا مقاتلته ، فقادته رعونته إلى مصرعه .

فقد روى المؤرخون أن الأخنس بن شريق - الذي رجع ببني زهرة
إلى مكة من منطقة رابغ - خلا ببني جهل هناك ، وقال له :

يا أبا الحكم أترى محمداً (ﷺ) يكذب ؟؟

فقال أبو جهل : كيف يكذب على الله ، وقد كنا نسميه الأمين ،
لأنه ما كذب قط . ولكن إذا اجتمعت في بني عبد مناف السقاية
والرفادة والحجابه والمشورة . ثم تكون فيهم النبوة ، فأى شيء بقي لنا ؟؟

لا في العير ولا في الثفير

وهنا يقال إن الأخنس بن شريق الثقي ، انخنس - أى انفصل -

بنى زهرة عن جيش مكة وعاد بهم دون أن يشهد أحد منهم بدرأ ،
وكانوا ثلاثمائة رجل .

وبنو زهرة هؤلاء ، هم الذين قال فيهم أبو سفيان تلك الكلمة التي
ذهبت مثلاً - يا بني زهرة لا في العير ولا في النفير - لأنهم لم يحضر
أحد منهم معركة بدر لم يكن أحد منهم في العير التي كانت سبب
المعركة ^(١) ، وكان أبو سفيان قد لحق بقريش وشهد معركة بدر بعد
أن أوصل العير إلى مكة ، وقد كان أحد الذين جرحوا يوم بدر .

أبو جهل يعجل بالمعركة

على أن أبا جهل لم يكتف بما قاله من تقريع وتوبيخ لقطبي المعارضة
(عتبة وحكيم) ولم يكتف بإعلان معارضته ، لدعوتها السلمية ، بل
لخوفه من قيام معارضة أخرى في الجيش ، دفع به شيطانه إلى التعجيل
بالمعركة ، ليجعل الناس أمام الأمر الواقع ، بحيث يصعب عليهم
التراجع عن خوضها . فعقب سماعه بدعوة المعارضة إلى مواعدة جيش
المدينة والانسحاب إلى مكة دون قتال ، استدعى عامر بن الحضرمي ^(٢)
الذي قتل المسلمون أخاه في سرية عبد الله بن جحش ، وطلب منه أن
يقف في الجيش ليستنهض همهم لحول العار عن حليفهم . بالأخذ
بشار أخيه من قاتليه المسلمين .

(١) وفي هذا القول نظر ، لأن مخزومة بن نوفل الزهري كان أحد الذين سافروا
مع العير إلى الشام وعادوا معها .

(٢) وقد قتل ابن الحضرمي هذا في هذه المعركة .

ابن الحضرمي يشعل الفتيل

فقد قال أبو جهل : يا ابن الحضرمي ، هذا حليفك - يعني عتبة ابن ربيعة - يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت شارك بعينك ، فقم فانشد خنرتك^(١) ومقتل أخيك .

ولم يخب ظن طاغية قريش ، فقد نفخ الشيطان في مناخر ابن الحضرمي ، فوقف (متكشفاً) يصرخ بأعلى صوته في جيش مكة واعمراه وهذه الكلمة وحدها - في قانون الجاهلية - كافية لإشعال نار الحرب ، لا سيما في مثل ذلك الجو المتوتر .

الأمر الواقع

وهنا غلى الدم الجاهلي في عروق الشرك واشتط الكفر بالعواطف العمياء ، فجمحت جموحاً استقر بأصحابها في المعركة الدامية . وتم لأبي جهل ما أراد حيث أفسد على عقلاء قومه خططهم السلمية ، وظهرت نذر الشر ، تنذر بقرب المعركة ولم يسع الناس - حتى رجال المعارضة - إلا أن يحملوا سلاحهم لخوض المعركة ، لأن أبا جهل ، بتصرفاته الرعناء جعلهم أمام الأمر الواقع . وليس زعيم المعارضة - عتبة بن ربيعة - كامل سلاحه وهو يقول - مخاطباً أبا جهل - سيعلم من انتفخ سحره ، أنا أم هو ؟؟ .

حرس قيادة الرسول

أما من ناحية المسلمين ، فبعد أن تمركزوا في المكان الذي اختاره

(١) خنرتك ، بضم الخاء وسكون الفاء ، عهدك :

الحباب بن المنذر ، اقترح حامل لواء الأنصار - سعد بن معاذ - على النبي ﷺ أن يبني المسلمون مقراً لقيادته . واقترح القائد الأنصارى - استعداد للطوارئ وتقديراً للهزيمة قبل النصر - أن يكون مقر هذه القيادة بمثابة خط رجعة يستطيع الرسول الانسحاب منه واللاحق بالمدينة بسلام ، إذا ما قدر لجيش الإسلام أن ينهزم .

مقر قيادة الرسول

فقد قال سعد بن معاذ ، يا رسول الله . ألا نبني لك عريشاً تكون فيه ، ونعد عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؟ فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا ، كان ذلك ما أحبنا ، وإن كانت الأخرى جلست إلى ركائبك فلحقت بمن ورائنا من قومنا ، فقد تخلف عنك قوم ، يا نبي الله ، مانحن بأشد لك حباً منهم ، ولو ظننوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك^(١) فوافق الرسول ﷺ على هذا الاقتراح ودعا للقائد الأنصارى بخير ، وتم بناء مقر القيادة ، عريشاً بناه جنود الإسلام في مكان مناسب ، وهو مرتفع يقع في الشمال الشرقي لميدان القتال ويشرف على ساحة المعركة .

وتم إنشاء حرس لقيادة الرسول ، فرقة تم انتخابها من فتيان الأنصار ، وقفوا بقيادة سعد بن معاذ نفسه يحرسون الرسول ﷺ حول مقر قيادته .

(١) أيام العرب في الإسلام ص ١٢ :

دعاء أبى جهل قبيل المعركة

تهيأت قريش للمعركة ، وخرج أبو جهل يحث الناس على القتال وقد روى ابن إسحاق أن أبا جهل ، قبيل نشوب المعركة دعا الله قائلاً : اللهم اقطعنا للرجم وآتينا بما لا نعرف ، فاحنه الغداة ^(١) ، وقد كان المشركون عند خروجهم من مكة إلى بدر . أخذوا بأستار الكعبة ودعوا بهذا الدعاء :

اللهم انصر أهلى الفتيين وأعلى الجندين وأكرم الحزبين . وأفضل الدينين . ولا شك أن الله قد أجاب دعاءهم . فهزم المشركين ونصر رسوله . وفى دعاء المشركين هذا نزل قول الله تعالى ﴿ إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ﴾ ^(٢) .

الرسول يخطب فى جيشه قبل المعركة

وقد خرج النبي ﷺ إلى أصحابه للقتال ، وألقى عليهم كلمة قبيل المعركة قال فيها : « والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل صابراً محتسباً ، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة » ^(٣) .

وهنا ظهر نموذج من الإيمان الصادق الذى لا يقف فى طريقه شئ . فقد كان عمير بن الحمام ^(٤) أخو بنى سلمة واقفاً فى الصف ، وفى يده

(١) أى اجعل حينه غداً :

(٢) الأنفال آية ١٩ :

(٣) أيام العرب فى الإسلام ص ١٦

(٤) عمير بن الحمام - بضم المهملة وتخفيف الميم - ابن الجموح الأنصارى السلمى ، كان أول قتيل قتل فى سبيل الله ويقال إن أول قتيل قتل فى المعركة ، مهجع مولى عمر ابن الخطاب :

تمرات يريد أكلهن . ولكنه بعد أن سمع كلمة الرسول ﷺ قذف
بهذه التمرات قائلاً :

« بخ بخ ، فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء » ثم أخذ
سيفه وغاص في المشركين يقاتل حتى قتل .

تقديم الرسول نفسه للقصاص

وبينما كان الرسول ﷺ يعدل صفوف جيوشه ، مر بسواد بن غزية
وهو خارج عن الصف فطعن في بطنه بعود كان في يده قائلاً - استو
يا سواد - . وهنا تظاهر سواد بالاحتجاج على الرسول ﷺ قائلاً :
أوجعتني يا رسول الله . وقد بعثك الله بالحق والعدل ، ثم طلب من
الرسول أن يعطى القصاص من نفسه ، قائلاً : أقتني ، فلم يتردد ﷺ ،
في أن يعطى القصاص من نفسه . فقد كشف عن بطنه ﷺ ليقتص
منه سواد قائلاً له ، استقد - أي اضربني كما ضربتك .

ولكن سواد بدلاً من أن يطعن في بطن الرسول قصاصاً ، أخذ
يقبلها ، فقال له الرسول ﷺ : ما حملك على هذا يا سواد ؟ .
قال .. يا رسول الله ، حضرماترى - يعنى القتال - فأردت أن يكون
آخر العهد بك أن يمس جلدى جللك ، فدعا له الرسول بخير .

ساعة الصفرة

وبعد أن عدل الرسول ﷺ الصفوف وهبها للقتال أصدر
أوامره إلى جيشه بأن لا يبدأوا القتال حتى يتلقوا منه الأوامر الأخيرة ،
فقال لهم :

« إن اكتنفكم العدو (أى أحاط بكم) فانضحوهم بالنبل » .
وبعد ذلك رجع إلى مقر قيادته وفي معيته مستشاره الأمين الصديق
الأكبر^(١) ، ووقفت على مقر قيادته كتيبة الحراسة من فتيان الأنصار
بقيادة سعد بن معاذ .

ثم توترت الحالة وارتد جو المعركة بدخان الموت ، وأخذت
الصفوف تقترب من بعضها ، وكان الرسول ﷺ وجلا على مصير
المسلمين ، لأنه - أكثر من غيره - يقدر نتائج مثل هذه المعركة ،
ويعرف أن هزيمة المسلمين معناها هزيمة الإسلام إلى الأبد
لهذا لجأ ﷺ إلى ربه وأبلغ في الدعاء قائلا : اللهم إنك إن تهلك
هذه العصابة - يعنى المسلمين - لاتعبد بعدها فى الأرض^(٢) .

أول وقود المعركة

وبعد أن تواجه الفريقان وحضر الخصمان بين يدى الرحمن ضج
الصحابة بصنوف الدعاء ، إلى رب الأرض والسماء سامع الدعاء وكاشف
البلاء^(٣) .

وكان أول وقود المعركة : هو أحد فدائيي المشركين .. الأسود بن

(١) أبو بكر الصديق واسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو التيمي القرشى ،
أشهر من أن يعرف ، خليفة رسول الله ، ولد بعد النبيل بستين ، كان أول من أسلم من
الرجال ، وفيه قال الرسول ، من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فليتنظر إلى أبي بكر ،
تولى الخلافة بعد رسول الله ، مات يوم الإثنين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة
من الهجرة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

(٢) البداية والنهاية ٣ ص ج ٢٧٢ .

(٣) فقه السيرة :

عبد الأسد المخزومي ، كان رجلاً شرساً سىء الخلق ، فقد عاهد الله ،
ليشربن من حوض المسلمين أو ليهدمنه أو ليموتن دونه .

لذلك انقض من صفوف المشركين ، متحدياً المسلمين ، زاحفاً نحو
الحوض ليبر بقسمه ، ولكن حمزة بن عبد المطلب ، أسرع من صفوف
المسلمين فاعترضه ، وعاجله - قبل أن يصل إلى الحوض - بضربة من
سيفه ، بترت قدمه مع نصف ساقه ، فجثا في إصرار وعناد ، وزحف
نحو الحوض حبواً ليبر بقسمه ، ولكن حمزة رضى الله عنه ^(١) ثنى عليه
بضربة أخرى أتت عليه وهو داخل الحوض .

فإن هذا المخزومي أول قتيل في المعركة ، وكان قتله بمثابة التفتيل
الذي أشعل نار المعركة .

فقد خرج بعد ذلك من صفوف المشركين ثلاثة من فرسان قريش
وخيرة محاربيهم ، ومن عائلية واحدة ، وهم :

شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد ، وكلهم من أبناء
عبد مناف جد النبي ﷺ .

وبعد أن تمركز هؤلاء الأمويون الثلاثة بين الصنفين دعوا المسلمين
إلى المبارزة ، فسارع بالخروج إليهم ثلاثة من فتيان الأنصار ، وهم
عوف ومعوذ أبناء عفراء ^(٢) ، وعبد الله بن رواحة ^(٣) وكما هي عادة

(١) هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم النبي صلى الله عليه وسلم
وأخوه من الرضاعة ، أرضعتها ثوية مولاة أبي لُب ، كان شجاعاً مهيباً ، وكان
من السابقين الأولين في الإسلام ، نصر رسول الله في كل موطن حتى استشهد في معركة
أحد ، قتلته عبد حبشي واسمه وحشي ، قذفه بحربة على بعد منه ، فأصابته وخرجت
من بين رجله رضى الله عنه .

(٢) معوذ وعوف أبناء عفراء الخزرجيين استشهدا يوم بدر واشترك معوذ في قتل
أبي جهل .

(٣) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري أحد السابقين إلى الإسلام .

المبارزة.. سأل القرشيون هؤلاء الثلاثة من أية قبيلة هم ؟؟ ..
فانتسبوا لهم ، وعندما علموا أنهم من الانتصار ، أثنوا عليهم وقالوا
أكفء كرام ، ولكنهم رفضوا مبارزتهم ، وطلبوا منهم العودة إلى صفوفهم
قائلين .. إنما نريد أكفءنا من قومننا ، فرجع الانتصار الثلاثة إلى صفوفهم
دونما قتال .

تصارع الأسرة بين الصفيين

ولما علم الرسول برغبة فرسان المشركين الثلاثة أصدر أمره إلى ثلاثة
من أسرته وهم ، حمزة بن عبد المطلب . وعبيدة بن الحارث ^(١) ، وعلى
ابن أبي طالب وكلهم من بنى عبد مناف ، أمرهم بالخروج إلى أقربائهم
لمبارزتهم حسب رغبتهم . فخرجوا إليهم في الحال ، وبعد أن انتسبوا
لهم وتأكدوا من أنهم من أسرته ، قالوا .. أكفء كرام ..

ثم أنشبوا الصراع بينهم ، فانفرد كل واحد منهم بصاحبه الذي
اختاره ورضيه ، فبارز الوليد علياً وكان أصغر المتبارزين ، وبارز عبيدة
شيبه . أما حمزة فقد بارز عتبة .

أما على فلم يمهل صاحبه أن قتله ، وكذلك حمزة فقد قضى على خصمه
عتبة في الحال . أما عبيدة - وكان أسن القوم - وشيبه فقد ضرب كل

= وكان أحد النقباء الذين تولوا إبرام معاهدة العقبة في منى مع الرسول صلى الله عليه وسلم ،
تولى قيادة الجيش في معركة مؤتة في الأردن واستشهد في تلك المعركة التي أدارها
هذه القوات الرومانية .

(١) هو عبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف ، كان من السابقين في الإسلام ،
وكان رأس بني عبد مناف ، كان ثاني مسلم حمل راية في الإسلام ، جرح في هذه المبارزة
ومات متأثراً بجراحه في وادي الصفراء ، أثناء عودة الجيش إلى المدينة .

منهما صاحبه ضربة مميتة لم يقو على التحرك بعدها من مكانه ، فمات شيبة مكانه ، واحتمل على وحمزة عبيدة إلى معسكر المسلمين ، ومخ فخذ المبتور يسيل ، وما لبث طويلاً أن لفظ أنفاسه الكريمة بين يدي رسول الله ﷺ^(١) . وبينما كان يجود بنفسه - ورأسه على قدمي رسول الله ﷺ قال يا رسول الله ، لو رأي أبي طالب ، لعلم أني أحق بقوله : ونسلمه حتى نصرع دونه ونذهل عن أبنائنا والحلائل

البداية السيئة

كانت نهاية هذا المبارزة بداية سيئة للمشركين ، حيث فقلوا في المرحلة الأولى من المعركة ثلاثة من قادتهم وخيرة فرسانهم ، فقد كان مصرع هؤلاء الفرسان الثلاثة بمثابة ضربة موجعة مثيرة .

الهجوم العام

لذلك استشاط المشركون غضباً ، وشدوا على المسلمين شدة رجل واحد - بعد أن مهلوا لهجومهم بسيل منهزم من سهامهم ، صبوه على صفوف المسلمين ، ثم اندفعوا نحوهم وبهذا اندلعت نيران المعركة ، ولعلت السيوف في النقع وكأنها الكواكب تهوى في الظلام .

المسلمون في موقف الدفاع

وتلقى المسلمون هجوم المشركين وهم مرابطون في مواقعهم ، كما

(١) مات عبيدة رضى الله عنه (والمسلمون عائدون إلى المدينة بوادي الصفراء)

أمرهم الرسول الذي قال لهم (قبيل نشوب المعركة) : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل ، ولا تحملوا حتى تؤذنوا .

ولقد كان لهذه الخطة الحربية الحكيمة التي وضعها الرسول ﷺ ، أكبر الأثر في تعزيز موقف المسلمين وإضعاف عدوهم .

وذلك أن المسلمين - بوقوفهم موقف الدفاع - عندما بلغ الهجوم القرشي ذروته ، قد ألحقوا بالمشركين خسائر فادحة ، أثناء هجماتهم المتتالية التي شنوها في حلق على صفوف المسلمين التي ظلت ثابتة تصارع مكانها ، حتى استنفدت ما عند العدو من حماس وعزيمة .

الهجوم المضاد

وبعد أن ذهبت حدة هجمات العدو وفتّر حماس جنده ، صدرت الأوامر إلى كتائب الإسلام أن يهجموا على العدو .

فقاموا بهجوم مضاد كاسح فاتسع نطاق المعركة ، بعد أن مالت صفوف المسلمين المنظمة على جموع المشركين ، التي بعثها تكرار الهجمات الفاشلة التي لم يفلح بها المشركون في إزاحة طوابير المسلمين عن مراكزها .

وبينما كانت المعركة مخدمة والفوارس وسط أتونها بين كر وفر ، كان الرسول ﷺ في مقر قيادته يرقب بسالة جنوده وجلد قواده في إشفاق ورجاء .

روى البخاري أن النبي ﷺ كان وقت اشتداد المعركة يقول (وهو في مقر قيادته ، متوجها إلى ربه) اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن

شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً ، فأخذ أبو بكر بيده - وكان معه في المقر - وقال : حسبك يا رسول الله ألححت على ربك .

قال ابن إسحاق : ونفق النبي ﷺ خفقة في العریش (أى أدركه النعاس) ثم انشبه فقال .. أبشر يا أبا بكر أذاك نصر الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع .

وقد اشتركت الملائكة في المعركة لتقوية الروح المعنوية في نفوس المسلمين ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا بقوله :

﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ (١) .

ويظهر أن الملائكة لم يشركوا في القتال وإنما جاءوا لتقوية قلوب المسلمين ورفع روحهم المعنوية ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى ﴿ وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم ﴾ (٢) .

النبي في المعركة

وعندما استعر لبيب المعركة اقتحمها النبي ﷺ بنفسه وراع المشركين أن رأوا النبي القائد يخوض غمار المعركة بنفسه ، ومعه حرس قيادته وعامة أصحابه يندفعون نحو عدوهم كالسيل ، يدمرون كل قوة تقف في طريقهم ، والنبي في مقدمتهم ، يشب في درعه وهو

(١) الأنفال آية ٩، ١٠ :

(٢) قال الشوكاني في تفسيره عند تفسير هذه الآية - وفي هذا إشعار بأن الملائكة لم يقاتلوا ، بل أمد الله المسلمين بهم للبشرى لهم وتطمين قلوبهم وتثبيتها .

يقول ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ، بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ﴾ .

الهزيمة الساحقة

وبعد قتال مرير ضار ظهرت علامات الاضطراب في صفوف المشركين غير المنظمة ، وأخذت هذه الصفوف - أمام حملات المسلمين العنيفة - تتهدم كجدران الطين العتيقة التي تخلل الماء أصولها .

وهكذا اقتربت المعركة من نهايتها ، فدب الطلع في نفوس قريش ، ثم أخذت جموعها في الفرار فعمت الهزيمة وركب المسلمون ظهور المشركين يأسرون ويقتلون ، وصاح النبي - وهو يرى صرح الطفيان يتحطم ، وكبرياء الجاهلية يتمرغ في وحل الهزيمة - « شامت الوجوه » .

صمود أبي جهل وعناده

ولقد حاول أبو جهل - عندما بدأ التصدع في صفوف جيشه - حاول أن يصمد في وجه سيل الهزيمة النازل بجيش مكة ويوقفه ، فأخذ يصرخ (في عناد وشراسة ومكابرة) خذوهم أخذاً ، واللات والعزى لا نرجع حتى نفرق محمداً وأصحابه في الجبال .

ولكن أنى لصيحات الطيش والغرور هذه أن تفيد ، وقد عمت الهزيمة وحال وقعها الزلزل بين صوت أبي جهل العنيد المكابر ، وبين الوصول إلى سمع أى فرد من أفراد جنوده الذين بعثتهم الهزيمة المدمرة هنا وهناك

ومن الناحية العسكرية فإنه لا يسمع المنتصف إلا أن يعترف لهذا الطاغية بالشجاعة الفذة ، وأنه على مستوى أولئك القادة الشجعان الذين لا يهابون الموت عندما تلمع بروقه وتهدر رعوده ، فقد أثبت أبو جهل (يوم بدر) أنه مثال ناطق للعناد والمكابرة ، فقد ظل - بالرغم من نزول الهزيمة الساحقة بجيشه - يقاتل في شراسة وعناد وهو يقول :

ما تنقم الحرب الشَّموس مني بازل عامين حديث سنّي
لمثل هذا ولدتنى أمي

وثبت معه جماعة من هيئة أركان حربه - فيهم ابنه عكرمة (٢) وأخذوا يذبون عنه وضربوا حوله سياجاً من سيوفهم وأقاموا حواليه غابات من رماحهم يصلون بها كل من حاول الوصول إليه .
ولكن العاصفة كانت أقوى .

(١) واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشي كان رأس الكفر وحامل لواء العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد فرض نفسه قائداً عاماً لجيش الشرك يوم بدر فأخزاه الله .

(٢) كان عكرمة كأبيه من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبرز الساعين لمعركة أحد والمحرضين عليها ضد المسلمين ، وقد أهدر النبي دمه بعد فتح مكة ، فلاحق باليمن ، ولكنه عاد إلى مكة فعفا عنه الرسول ، ثم أسلم وصار من أبطال الإسلام وأشد المحاربين في جانبه ، قاد عدة حملات ضد المرتدين في جنوب الجزيرة ، وقد أخضع المرتدين في حضرموت ، شهد معركة اليرموك ، وكان قائد كتيبة الفدائيين التي ألفها أثناء المعركة عندما اشتد ضغط الهجوم الروماني على صفوف المسلمين وكاد يحطمها ، فقد نادى عكرمة آن ذاك ، لقد قاتلت رسول الله في كل موطن وأفر اليوم لا والله ، ثم نادى من يبايعني على الموت ، فانضوى تحت لوائه أربعمائة ، منهم سليمان بن خالد بن الوليد ، فقذف بهذه الكتيبة الانتحارية حيث قوة الهجوم الروماني فأوقفه فأباد الرومان هذه الكتيبة ، بما فيها عكرمة نفسه ولكن هذه الإبادة كانت ثمناً لنصر حاسم ساهمت هذه الكتيبة في تحقيقه للمسلمين وكان ذلك سنة خمس عشرة في خلافة عمر :

فقد مزقت رياح النصر العاتية ، سياج السيوف ، واقتلعت غابات
الرماح المزروعة حول أبي جهل حيث طارت هذه الرماح أمام حماس
المسلمين وقوة بأسهم ، وتخلى حرس الشرك عن قائده ، أمام ضغط
المسلمين المتزايد ، الذين ساد هتافهم أرجاء المعركة وهم يرددون :
أحد أحد .

وأهوت سيوف الإسلام إلى دعامة الشرك الكبرى ، فخر أبو جهل
صريعاً يتخبط في دمه ، بعد أن قاتل قتالا ضارياً .

قاتل أبي جهل

وكان الذى صرع أبا جهل هو معاذ بن عمرو^(١) بن الجموح
الأنصارى ، فقد عرفه وهو وسط غابة من الرماح التى أقامها أركان
حربه حوله ، فظل يترقبه ، حتى سنحت له الفرصة ، عندما بانئت
له فرجة فى نطاق الرماح المضروبة حوله ، فانقض نحوه كالصقر ثم
ضربه ضربة بترت قدمه مع نصف ساقه ، فخر صريعاً يتخبط فى دمه^(٢)

(١) هو معاذ بن عمرو بن الجموح بن زيد الخزرجى الأنصارى ، أحد الأنصار
الذين شهدوا بيعة العقبة .

(٢) قال ابن إسحاق : وكان أول من لقي أبا جهل - كما حدثني ثور بن يزيد عن
عكرمة عن ابن عباس وعبد الله بن أبي بكر أيضاً قد حدثني ذلك ، قال .. قال معاذ
ابن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة .. سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة وهم
يقولون .. أبو الحكم لا يخلص إليه ، قال .. فلما سمعتهم جعلته من شأني فصمدت نحوه ،
فلما أمكنتني حمات عليه فضربت ضربة أطنت قدمه (أى أطارتها) بنصف ساقه ، فو الله
ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة (أى بذرة التمر) تطيح من تحت مرضخة النوى حين
يضرب بها ، قال .. وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ، فطرح يدي فتعلقت بجلدة من
جنبي ، وأجهدني القتال عنه ، فلقد قاتلت عامة يومى وإنى لأسحبها خلفي ، فلما آذنتني
وضعت عليها قدمي ، ثم تحطيت بها عليها حتى طرحتها ، ثم مر بأبي جهل (وهو عقيز)
معوذ بن عفراء فضربه حتى أثبتته فتركه وبه رمق .

غير أن ابنه عكرمة الذي كان بجانبه كر على ابن الجموح فضربه
بسيفه ضربة فصلت يده من العاتق ، وبالرغم من ذلك ظل البطل يقاتل
بيد واحدة وعاش حتى أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه .
أما أبو جهل فقد شغل عنه قومه الفرار بأنفسهم ، فتركوه صريعاً
بالعراء ومر به معوذ بن عفراء فأوجعه طعناً وتركه يوجد بنفسه ،
وتفرق المشركون من صناديد مكة وفرسانها منهزمين بعده بدءاً ،
فاستقبلتهم فجاج الصحراء ، وكأنهم غزلان أهاجها الصياد .

حماقة أبي جهل

وهكذا جنت قريش ثمار حماقة أبي جهل ورعونته ، حيث هزمت
هزيمة لم تعرف مثلها في تاريخها الطويل .
لقد فر المشركون بعد أن مزقتهم سيوف الإسلام ، فتاهوا في الوديان
والوهاد فراراً بأرواحهم ، بعد أن تركوا سبعين قتيلًا في ساحة المعركة ،
وسبعين أسيراً تحت رحمة المسلمين .

الأسرى من بني هاشم

وقد وقع في أسر المسلمين عدة من رجالات بني هاشم اشتركوا في
المعركة ضد المسلمين بعد أن خرجوا من مكة مكرهين ، وكان على رأس
هؤلاء الأسرى العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ . وكان النبي قد
أصدر أمره - قبل نشوب المعركة - بأن لا يقتل جنده أحداً من بني
هاشم ، ممن خرجوا مع قريش .
وقد جاء في أمره هذا قوله ..

إني عرفت رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي أحد منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله . ومن لقي أبا البحتري بن هشام فلا يقتله .

الابن يقاتل أباه

وكان أبو حذيفة ^(١) بن عتبة بن ربيعة رضى الله عنه موجوداً في جيش المسلمين ، فقال عند سماع الأمر النبوي أنقتل آباءنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ؟؟ والله إن لقيته لألحمته بالسيف ^(٢) ، وكان عتبة بن ربيعة ، والد أبي حذيفة المذكور ، وعمه شيبة وابن عمه الوليد أول من قتل من المشركين مبارزة .

وعندما بلغت رسول الله ﷺ مقالة أبي حذيفة قال - وعنده عمر بن الخطاب ^(٣) حاضراً - يا أبا حفص ، أياضرب وجه عم رسول الله؟ فقال عمر ، يا رسول الله دعني أضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق ، ولكن الرسول لم يسمح بأن يمس أبو حذيفة بأى أذى .

(١) أبو حذيفة ، اسمه هشيم وقيل هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، كان من السابقين إلى الإسلام ، هاجر المجرتين ، وكان طوالا حسن الوجه ، دعا أباه عتبة إلى البراز يوم بدر فامتنع ، قتل شهيداً في محاربة المرتدين في اليمامة : (٢) ألحمته عرض فلان ، أمكنتك منه ، وألحمته سيفي مكنته منه .

(٣) هو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي ، ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ، غنى عن التعريف ، ثاني الخلفاء الراشدين أشهر من أن نعرف التأمل به ، تولى الخلافة بعد أبي بكر وبويع له بهاسنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فسار أحسن سيرة ، وكان مثلاً أعلى في العدل والزراعة والورع ، قتل في ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، طعنه الشقي أبو لؤلؤة ، فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة بعد أن كبر يصلى بالناس ، وقتل أبو لؤلؤة بعد أن طعن ثلاثة عشر رجلاً في المسجد مات منهم ستة رضى الله عنهم :

وقد ندم أبو حذيفة رضى الله عنه على ما بدر منه ، وكان يقول دائماً - ما آمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عني الشهادة ، فقتل شهيداً يوم اليمامة رضى الله عنه .

الاعتراف بالجميل لغير المسلم

وقد نفذت تعليمات الرسول ﷺ فلم يقتل أحد من بنى هاشم في جيش المشركين ، ولكن الرسول إذا كان قد أمر بعدم قتلهم ، فإنه لم يمنع المسلمين من أسرهم ووضعهم في القيود ، فقد أسروا جميعهم وسبقوا في القيود مع الأسرى إلى المدينة .

أما أبو البحتري بن هشام - وهو غير هاشمي - فقد نهى الرسول عن قتله ، اعترافاً بفضله وتقديراً لمواقفه المشرفة التي وقفها أيام محنة الإسلام في مكة ، قبل الهجرة ، حيث لم يصدر منه أى إيذاء للرسول ﷺ بل كان على رأس النفر من عقلاء المشركين الذين عملوا على تحطيم الحصار الاقتصادي الذي ضربته قريش على بنى هاشم وبنى المطلب في الشعب ، فقد كان أبو البحتري هذا في مقدمة الرجال الذين استنكروا هذا الحصار ، وعملوا على تمزيق الصحيفة التي علّقها أعداء محمد ﷺ في جوف الكعبة ، بعد أن وقّعت عليها جميع قبائل قريش بمقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب اقتصادياً واجتماعياً ، لوقوفهم (قبلياً) بجانب النبي ، كما هو مفصل في أول هذا الكتاب .

مقتل أبي البحتري

ولكن أبا البحتري النبيل هذا قد قتل في المعركة بالرغم من الأوامر

النبوية الصادرة بعدم قتله ، وذلك أن المجذر^(١) بن زياد البلوى قد لقيه في المعركة ، وقال له يا أبا البحتري إن رسول الله قد نهانا عن قتلك ، وكان مع أبي البحتري زميل له يقاتلان سوياً - فقال وزميلي؟. فأبلغه المجذر أن الأمر صادر بشأنه فقط ، أما زميله فلا يمكن تركه بتناً .

فرفض أبو البحتري الحياة ، وقال ، إذن ، لأموتن أنا وهو جميعاً ثم اندفع يقاتل وهو يقول :

لن يسلم ابن حرة زميله حتى يموت أو يرى سبيله
فاضطر المجذر إلى مقاتلته ، فما زال يجاوله حتى قتله .

انتهاء المعركة ورأس أبي جهل

وبعد ان انتهت المعركة أمر الرسول بجمع الغنائم والأسلحة التي غنمها المسلمون ، فأخذ الجند في جمعها .

كما أمر النبي ﷺ بالتحقق من مصير الطاغية أبي جهل ، وأخبر من لم يعرفه ، بأن به علامة فارقة - أثر جرح في ركبته أصابه على أثر عراك حدث بينه وبين النبي وهما غلامان صغيران في مكة - فانتشر الجند في أرجاء المعركة يبحثون عن أبي جهل ..

(١) هو المجذر بن زياد بن عمرو بن أخزم البلوى ، وبلى - بفتح الباء وكسر اللام - قبيلة عظيمة من قضاة من القحطانية ، مساكنها تقع بين المدينة ووادي القرى .. شهد المجذر أحداً وقتل فيها شهيداً ، كان المجذر في الجاهلية قتل سويد بن الصامت ، فلما كان يوم أحد قتل الحرث بن سويد المجذر غدرأ وكان في جيش المسلمين ثم هرب إلى مكة مرقداً ثم أسلم بعد الفتح فقتله الرسول صلى الله عليه وسلم بالمجذر .

لقد ارتقيت مرتقاً صعباً

وبينما عبد الله بن مسعود^(١) يَبْحَثُ مع الباحثين ، إذا به يجد دعامة
الشرك مجندلاً وبه آخر رمق ، فاقترب منه ، وبعد أن وضع رجله على
عنقه ليحتز رأسه قال له :

هل أخزأك الله ، يا عدو الله ؟؟

فقال أبو جهل ، وبما أخزأني ، أأعمد من رجل قتلتموه ؟؟^(٢) .

أخبرني لمن الدائرة اليوم ؟؟ !

فقال ابن مسعود ، لله ولرسوله وللمؤمنين .

فقال أبو جهل لابن مسعود - وكان باركاً على صدره ليحتز رأسه -
لقد ارتقيت مرتقاً صعباً يارويعي الغنم - وكان ابن مسعود من رعاة
الغنم في مكة .

فرعون هذه الأمة

وبعد أن وضع ابن مسعود رأس أبي جهل بين يدي الرسول ، قال
له ، هذا رأس عدو الله أبي جهل بن هشام فقال النبي - آله الذي لا إله

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن ، صحابي
شهير ، كان من أكابر الصحابة علماً وعقلاً وورعاً ، ومن السابقين الأولين في الإسلام ،
وهو من أهل مكة ، كان أول من جهر في مكة بقراءة القرآن ، كان خادماً مخلصاً
لرسول صلى الله عليه وسلم ، وصاحب سره (سكرتيره بلغة هذا العصر) ورفيقه في حله
وترحاله ، وغزواته ، وكان يدخل عليه في كل وقت ، وكان قصيراً جداً ، بحيث يكاد
الجلوس يوارونه ، تولى وظيفة بيت المال في الكوفة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان نحو ستين عاماً .

(٢) أأعمد من رجل قتلتموه يعني بها : وهل أعظم من رجل قتله قومه ؟

إلا هو ؟؟ فأكد له ابن مسعود ذلك ، ثم قال رسول الله وقد وقف على رأس الطاغية ، الحمد لله الذى أخزأك الله يا عدو الله ، هذا فرعون هذه الأمة .

القتل في القليب والأسرى في القيود

وبعد أن جمع المسلمون الأسلاب والغنائم ووضعوا الأسرى في القيود أمر الرسول ﷺ بنقل جثث قتلى البغى والعدوان وطرحها في قليب مهجور بالقرب من ساحة المعركة .

وقد كان جمهور جند الإسلام حاضراً يشهد سحب جثث المشركين وإلقاءها في القليب .

وقد تجلت في معركة بدر مناظر رائعة ، برزت فيها قوة العقيدة وثبات المبدأ ، فقد قاتل الابن أباه والأخ أخاه ، وكان أحد هؤلاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واقفاً مع رسول الله ﷺ يشهد إلقاء الجثث في القليب .

نموذج رائع للشباب المؤمن

وبينا هو كذلك واقفاً مستبشراً ، إذا بوجهه يتغير وتعلوه سحابة من الكآبة والحزن ، فقد رأى جثة أبيه عتبة بن ربيعة تسحب بين الجثث لإلقائها في القليب .

وقد لاحظ الرسول ﷺ ذلك في وجه الشاب المؤمن ، فخاطبه

قائلاً :

« يا أبا حذيفة ، لعلك قد دخلك من شأن أبيك شيء » أو كما قال ؟؟

فقال الشاب المؤمن - وقد اجتاح الأسى كل جوانب قلبه - لا والله يا رسول الله ، ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكنني أعرف من أبي رأياً وحلماً وفضلاً ، وكنت أرجو أن يهديه الله للإسلام ، فلما رأيت ما أصابه وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجوه أحزنني ذلك ، فدعا له الرسول ﷺ بخير وقال له خيراً .

ولقد كان أبو حذيفة صادقاً ، فقد كان أبو عتبة ، هو الذي قال فيه الرسول - كما تقدم - وقد رآه قبل المعركة راكباً جملة الأحمر .. إن يكن في أحد من القوم خير ، ففي راكب جملة الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا ، كما أن عتبة هذا هو الذي حمل لواء المعارضة في جيش مكة في بدر ودعا إلى مواعدة النبي والعودة إلى مكة بالجيش دونما قتال ، ولكن أبا جهل جعله - كما تقدم - أمام الأمر الواقع .

ابن الخطاب يقتل خاله

وقد كان من روائع الثبات على العقيدة التي تجلت في معركة بدر أن قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة ، كما طلب أبو بكر الصديق مبارزة ابنه عبد الرحمن الذي كان في جيش المشركين.

أين دعاة العنصرية ؟ .

فأين دعاة القومية العنصرية الذين يزعمون (زوراً وكذباً) أن رابطة الدم واللغة أقوى من رابطة العقيدة والدين ؟ .

أليس أول وقود اشتعلت به معركة بدر الفاصلة ، هو دم الأقربين
الذى أسأله سيوف الأسرة الواحدة ؟ .

فهل أسال حمزة وعبيدة وعلى أبناء هاشم بن عبد مناف ، دماء
إخوانهم شيبه وعتبة والوليد أبناء عبد شمس بن عبد مناف .. هل
أسألوا تلك الدماء القريبة إليهم والغالية عليهم ، على مذبح القومية
والعنصرية ؟؟ أم أسألوها في سبيل العقيدة والدين ؟؟

إنه صراع المبادئ والعقائد ، لا صراع القوميات والنعرات ، ذلك
الذى خاضته جيوش الإسلام في ضراوة وتصميم حتى بنت للعرب قبل
غيرهم (وعلى قمة الزمان) أعظم مجد شهدته الدنيا من لدن آدم حتى
يومنا هذا .

لقد رسم يوم بدر أروع نموذج حي للثبات الصادق على العقيدة ،
لقد آخى الإسلام في هذا المعركة بين الأبعدين وباعد الكفر بين
الأشقاء والأقربين .

شد يدك به

بعد انتهاء معركة بدر ، مر الصحابي الشهير مصعب بن عمير^(١)
بأخيه أبي عزيز بن عمير^(٢) الذى خاض المعركة ضد المسلمين ، مر به

(١) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي أحد السابقين
إلى الإسلام ، كان قد أسلم قديماً والنبي في دار الأرقم وكان شاباً يكتم إسلامه خوفاً من
أمه وقومه ، ولما علم أهله بإسلامه أوثقوه ولم يزل محبوساً إلى أن هرب إلى الحبيشة مع
من هاجر ، هاجر المجرئين ، شهد بدر آثم شهد أحداً وكان صاحب لواء المسلمين .
استشهد يوم أحد (رضي الله عنه) .

(٢) اسمه زرارة ، واختلف في إسلامه ، قال أبو عمر بن عبد البر له صحبة وسامع
من النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال الدارقطني إنه قتل كافراً يوم أحد والله أعلم .

وأحد الأنصار يضع القيود في يده ، فقال مصعب للأنصارى شد يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب :

أهذه وصاتك بى ؟؟ فقال مصعب إنه (أى الأنصارى) أخى دونك.

ما قاله الرسول لأهل القلب

وذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ - بعد أن تم اللقاء جثث قتلى المشركين يوم بدر في القلب - وقف عليهم وقال :

يا أهل القلب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً ، وفي رواية أخرى أنه قال :

يا أهل القلب ، بشئ عشيرة النبي أنتم ، كذبتُمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتُمونى ونصرنى الناس .

فقال له أصحابه أنكلم قوماً قد ماتوا؟؟ فقال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقاً ، قالت عائشة رضى الله عنها والناس يقولون إنه قال لقد سمعوا ما قلت لهم .

الفصل الخامس

- مخلفات المعركة .
- عدد قتلى الفريقين وأسماؤهم .
- عدد أسرى المشركين وأسماؤهم .
- عدد البدرين من الصحابة وأسماؤهم .
- القرآن يتحدث عن المعركة .

وهكذا انتهت معركة بدر التي خاضها المسلمون ، وهم على غير استعداد لها .. انتهت بنصر عظيم للمسلمين ، وهزيمة ساحقة لأعدائهم الذين خسروا في هذه المعركة سبعين قتيلًا بينهم أكثر من عشرين من قادتهم وزعمائهم ، كما وقع في أسر المسلمين أيضاً سبعون محارباً بينهم كثير من الزعماء والقادة .

قتلى الفريقين في المعركة

لقد خسر المسلمون في معركة بدر أربعة عشر رجلاً .. ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، أما شهداء المهاجرين فهم :
أ- من بنى المطلب بن عبد مناف ، رجل واحد ، وهو :

١- عبدة بن الحارث بن المطلب ^(١) .. قطع رجله عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بن عبد مناف (أثناء المبارزة) ، فحمله الجيش جريحاً حتى مات بوادي الصفراء ، والجيش في طريقه إلى المدينة .

ب- من بنى زهرة بن كلاب ، رجلاً ، وهما :

١- عمير بن أبي وقاص ^(٢) ، أخو سعد بن أبي وقاص .

٢- ذو الشمالين ^(٣) ابن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي (حليف لهم) .

ج- من بنى عدى بن كعب بن لؤى ، رجلاً :

١- عاقل بن البكير ^(٤) . حليف لهم . وهو من بنى سعد بن ليث

ابن عبد مناة بن كنانة .

(١) هو عبدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أبو الحارث ، كان من فرسان قريش وأبطالها في الجاهلية والإسلام ، ولد بمكة ، وكان إسلامه سابقاً على دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الأرقم ، وكان ثاني قائد عقد له النبي صلى الله عليه وسلم لواء في الإسلام ، وذلك حينما بعثه للقيام بدورية استطلاع في السنة الأولى من الهجرة قوامها ستون ركباً ، وهي الدورية التي التقت بأبي سفيان في موضع يقال له (ثنية المرة) وكان أبو سفيان في أكثر من مائتي ركب .

(٢) هو عمير بن أبي وقاص بن أبي أهيب الزهيري ، قتله عمرو بن عبد ود العامري الذي قتله يوم الخندق على بن أبي طالب ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد رد عميراً ولم يسمح له بالقتال عندما استعرض جيشه لصغر سنه ، فبكى عمير تألماً لمنعه من الاشتراك في المعركة وعند ذلك سمح له الرسول صلى الله عليه وسلم بالقتال فاستشهد رضي الله عنه .

(٣) ذو الشمالين هذا من قبيلة خزاعة ، ثم من هذيل ، من العدنانيين الذين تقع منازلهم الآن في وادي فاطمة ، والحبييت بالقرب من القنفذة ، والرواك الواقعة إلى الشرق الجنوبي من بحر والصيم - بكسر الصاد - وعبد عمرو هذا هو ، ذو اليمين الذي نبه الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سلم من ركعتين في صلاة رباعية وقال له ... أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟

(٤) عاقل هذا ، كان أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم بمكة أيام المحنة ، فكان من السابقين الأولين في الإسلام وكان اسمه غافلاً ، فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عاقلاً ، يرجع نسب عاقل بن البكير إلى عبد مناة بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة .

٢- مهجع^(١) مولى عمر بن الخطاب .

د- من بنى الحارث بن فهر ، رجل واحد . وهو :

١- صفوان بن بيضاء^(٢) .

عدد شهداء الأنصار وأسمائهم :

أما شهداء الأنصار فهم :

أ- من بنى عمرو بن عوف (بطن من الخزرج) رجلان ، وهما :

١- سعد بن خيثمة^(٣) .

٢- مبشر بن عبد المنذر بن زئير^(٤) .

(١) قال ابن حجر في الإصابة : مهجع العكي مولى عمر بن الخطاب ، قال ابن هشام : أصله من عك فأصابه سبأ ، فمن عليه عمر بن الخطاب فأعتقه ، فكان من السابقين في الإسلام ، وهو أول شهيد قتل يوم بدر ، وقد روى عن ابن عباس أن مهجع هو الذى أنزل الله تعالى فيه قوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية .

(٢) هو صفوان بن وهب بن ربيعة بن هلال الفهري قتل يوم بدر طعيمة بن عدى النوفلى .

(٣) هو سعد بن خيثمة بن الحارث بن مالك الخزرجي ، كان من السابقين في الإسلام وأحد النقباء الإثنا عشر الذين كفلوا قومهم في بيعة العقبة ، استهم سعد وأبوه خيثمة يوم بدر ، فخرج سهم سعد (وكان شاباً) فقال له أبوه آثر في اليوم ، (أى اسمح لى بأن أخرج إلى بدر بدلاً منك) فقال له سعد : يا أبت لو كان غير الجنة لفعلت ، فخرج سعد رضى الله عنه فقتل شهيداً في بدر ، وهنا يجب أن يقف الشباب المسلم (عند هذا الخبر) وقفة اعتبار وتدبر ، ليرى أى شباب كان الإسلام يعتمد عليه ، ومن يتمعن في تاريخ هذا الشباب المسلم من أمثال سعد بن خيثمة ، سيدرك سر ذلك الإعصار الذى أطاح بإمبراطوريتين عظيمتين في أقل من عشرين سنة على أيدي أولئك البدو الذين انطلقوا من الكهوف وأغوار الوديان حفاة شبه عراة :

(٤) هو مبشر بن المنذر بن زئير الخزرجي الأنصارى أخو أبى لبابة الصمخاني المشهور الذى رده النبي صلى الله عليه وسلم من الروحاء وهم في طريقهم إلى بدر ، وجعله أميراً على المدينة مدة غيابه .

ب - ومن بنى الحارث بن الخزرج (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

١ - يزيد بن الحارث ، وهو الذى يقال له (ابن فسح)^(١) .

ج - ومن بنى سلمة (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

١ - عمير بن الحمام^(٢) .

د - ومن بنى حبيب (بطن من الخزرج) رجل واحد ، وهو :

١ - رافع بن المولى^(٣) .

هـ - ومن بنى النجار (بطن من الأوس) رجل واحد ، وهو :

١ - حارثة بن سراقة بن الحارث^(٤) .

و - ومن بنى غنم (بطن من الأوس) رجلان ، وهما :

١ - عوف بن الحارث بن رفاعة بن سواد .

٢ - أخوه ، معوذ بن الحارث .. وهذان الأخوان هما أبناء عفراء^(٥)

(١) هو يزيد بن الحارث (أو الحزث) بن قيس بن مالك الأنصارى الخزرجى وهو المشهور (بابن فسح) أخى النبى صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد عمرو المعروف بلدى الشمالين :

(٢) هو عمير بن الحمام (بضم الحاء وتخفيف الميم) بن الجموح بن زيد بن حرام الخزرجى الأنصارى ، وهو الذى قذف بثمرات كان يأكلهن وهو فى الصف ، وغاص فى المشركين فقاتلهم حتى قتل بعد أن قال بخ بخ أفما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء (كما ذكرنا ذلك فى صلب الكتاب) :

(٣) هو رافع بن المولى بن لوزان بن حارثة الخزرجى الأنصارى ، قتله عكرمة ابن أبى جهل

(٤) هو حارثة بن سراقة بن الحارث الأنصارى الأوسى النجارى ، لم أطلع له على ترجمة أكثر من هذا فى الإصابة :

(٥) عوف ومعوذ هذان اشتركا فى قتل أبى جهل بعد أن جرحه أحد الأنصار كما تقدم .

عدد قتلى المشركين وأسماؤهم

أما خسائر المشركين من القتلى في معركة بدر فقد بلغت سبعين رجلاً وهم كما يلي :

أ- من بنى عبد شمس بن عبد مناف اثنا عشر رجلاً ، وهم :

- ١- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .. جرحه عبيدة بن عبد المطلب .
- ٢- شيبة بن ربيعة بن عبد شمس .. جرحه عبيدة بن الحارث ، ودفع عليه علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب .
- ٣- الوليد بن عتبة .. قتله علي بن أبي طالب .

٤- حنظلة بن أبي سفيان بن حرب .. قتله زيد بن حارثة ، مولى رسول الله ﷺ .

٥- الحارث بن الحضرمي . (حليف لبني عبد شمس) .. قتله النعمان بن عسر .

٦- عامر بن الحضرمي (حليف لهم أيضاً) .. قتله عمار بن ياسر ^(١)

(١) هو عمار بن ياسر بن مالك بن كنانة بن قيس العنسي البعاني ، أبو القظان ، (حليف بني مخزوم) وأمه سمية كانت مولاة لهم . كان عمار من السابقين في الإسلام ، هو وأبوه ، وكانوا ممن يعذب في الله في مكة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهم فيقول : « صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة » هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم شهد البعامة في جيش خالد بن الوليد فقطعت أذنه بها ، ثم استعمله عمر على الكوفة ، وكان أول من أظهر إسلامهم بمكة سبعة ، منهم عمار بن ياسر ، كما ذكره ابن ماجه ، وفيه تواترت الأحاديث أنه قتله الفتنه الباغية ، وقد قتل في صفين وهو في جيش الإمام علي رضي الله عنه وكان عمار (يغفر الله له) من الذين شغبوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه واشترك في محاصرته مع (مالك الأشتر النخعي) يوم الدار حتى قتله المجرمون تلك القتلة التي نتجت عنها تلك الفتنه العمياء التي لا يزال المسلمون يخشون في ظلامها حتى اليوم ويعانون الفرقه من جرائها حتى هذه اللحظة .

- ٧- عمير بن أبي عمير ..
- ٨- وابن لعمير هذا .. والاثنان موليان لبني عبد شمس.
- ٩- عبيدة بن سعيد بن العاص .. قتله الزبير بن العوام .
- ١٠- العاص بن سعيد بن العاص .. قتله علي بن أبي طالب .
- ١١- عقبة بن أبي معيط .. قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، قتله صبراً في مكان يقال له عرق الظبية وذلك أثناء عودة الجيش الإسلامي إلى المدينة .
- ١٢- عامر بن عبد الله النمرى (حليف لهم) .. قتله علي بن أبي طالب ب- ومن بني نوفل بن عبد مناف رجلان ، وهما :
- ١- الحارث بن عامر بن نوفل .. قتله خبيب بن أساف .
- ٢- طعيمة بن عدى بن نوفل .. قتله علي بن أبي طالب .
- ج- ومن بني أسد بن عبد العزى سبعة نفر :
- ١- زمعة بن الأسود بن المطلب ، قتله ثابت بن الجذع ويقال اشترك في قتله علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب .
- ٢- أبو البحتري بن هشام (واسمه العاص بن هشام بن الحارث) قتله المجذر بن زياد البلوى .
- ٣- الحارث بن زمعة .. قتله عمار بن ياسر .
- ٤- نوفل بن خويلد بن أسد ، وهو أخو أم المؤمنين خديجة (وكان من شياطين قريش) قتله علي بن أبي طالب .
- ٥- عقيل بن الأسود بن المطلب .. قتله حمزة وعلي .
- ٦- عقبة بن زيد (رجل من اليمن حليف لبني أسد)
- ٧- ومولى لهم اسمه (عمير)

د- ومن بنى عبد الدار بن قصي أربعة نفر :

١- النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة .. أسر النضر في المعركة (وكان حامل لواء المشركين) ، وقد أمر النبي ﷺ بقتله صبراً ، فنقذ فيه حكم الإعدام على بن أبي طالب في موضع يقال له (الأثيل) بوادى الصفراء . وكان النضر هذا من شياطين قريش ، ومن أكبر مجرمي الحرب ، ومن أشد الناس إيذاءً للمسلمين .

٢- زيد بن مليص ، مولى عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .. قتله بلال بن رباح ^(١) (ومولى أبي بكر الصديق يومئذ) .

٣- نبيه بن زيد بن مليص (حليف لهم) من بنى مازن ثم من بنى تميم .

٤- عبيد بن سليط (حليف لهم) من قيس .

هـ- ومن بنى تميم بن مرة ، أربعة نفر :

(١) هو بلال بن رباح الحبشي ، المؤذن المشهور وهو بلال بن حمامة وهي أمه ، اشتراه أبو بكر الصديق من المشركين في مكة ، إنقاذاً له من التعذيب الشديد ، ثم اعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم ، وأذن له ، شهد بلال كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح القائد الشهير ، كان يواصل الجهاد مع جيوش الإسلام خارج جزيرة العرب ، فشهد فتوحات الشام مجاهداً حتى مات بها ، ومناقب بلال كثيرة ، وكان من أكثر المؤمنين الأولين تحملاً لتعذيب المشركين ، كان أمية بن خلف (رأس الكفر) يخرج به إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة (في شدة القيظ) ثم يأمر بالصخرة العظيمة على صدره ، ثم يقول : لا يزال على ذلك حتى يموت أو يكفر بمحمد ، فيكون جواب بلال (إزاء ذلك التعذيب الرهيب) : أحد أحد .. فمر به أبو بكر الصديق فاشتراه منه بعبد له أسود جلد ، روى له أصحاب الحديث في كتبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أربعة وأربعين حديثاً ، توفي بالطاعون في عمواس زمن ابن الخطاب عام عشرين هـ .

- ١ - مالك بن عبيد الله بن عثمان (وهو أخو طلحة بن عبيد الله)
أسر فمات في الأسر . فعمد في القتل .
 - ٢ - عمرو بن عبد الله بن جدعان .
 - ٣ - غدير بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم . قتله على
ابن أبي طالب .
 - ٤ - عثمان بن مالك بن عبيد الله . قتله صهيب بن سنان ^(١) .
- و - ومن بني مخزوم (قبيلة خالد بن الوليد) أربعة وعشرون رجلاً وهم :
- ١ - القائد العام لجيش مكة (أبو جهل بن هشام) واسمه عمرو
ابن هشام بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم . أقعده بضربة بالسيف ،
معاذ بن عمرو بن الجموح فقتل رجله . ثم ضربه معوذ بن عفراء
حتى أثبتته . ثم ذفف عليه عبد الله بن مسعود . حين احتز رأسه .
 - ٢ - العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم .
قتله عمر بن الخطاب (وهو خاله) .
 - ٣ - يزيد بن عبد الله (حليف لهم) وكان من بني تميم . قتله عمار
ابن ياسر .

(١) هو صهيب بن سنان بن مالك الصحابي الجليل المشهور . وهو الذي يقال له
صهيب الرومي . اختلف النسابون في نسبه . فقبل إنه نمرى من بني قاسط . وأن الروم
سيوه وهو صغيراً لأن أهله كانوا يقيمون بالعراق من جهة الفرس على مياه دجلة ،
فتناً صهيب بأرض الروم فصار ألكن . ثم اشتراه رجل من قبيلة (كلب) فباعه بمكة ،
فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه . ويقال إنه رومي الأصل . هرب من أرض
الروم فقدم مكة فحالف ابن جدعان . والذي يجعلنا نميل إلى أنه رومي الأصل ، أنه كان
أحمر شديد العهوبة . وهذه غالباً صفة الروم . كان رضى الله عنه من السابقين في
الإسلام . ومن المستضعفين ممن يعذب في الله ، هاجر إلى المدينة مع أمير المؤمنين على ،
شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من أعلام الصحابة ، لما مات
عمر أوصى أن يعلى عليه صهيب . مات صهيب سنة ثمان وثلاثين هـ وهو ابن سبعين :

- أبو مسافع الأشعري (حليف لهم) قتله أبو دجانة ^(١) .
- ٥- حرملة بن عمرو (حليف لهم) وهو من الأسد ، قتله خارجة ابن زيد ^(٢) .
- ٦- مسعود بن أبي أمية بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب .
- ٧- أبو قيس بن الوليد بن المغيرة (أخو خالد بن الوليد) قتله حمزة بن عبد المطلب .
- ٨- أبو قيس بن الفاكهة بن المغيرة ، قتله علي بن أبي طالب .
- ٩- رفاعه بن عابد بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، قتله سعد بن الربيع .
- ١٠- المنذر بن أبي رفاعه بن عابد . قتله معن بن عدى بن الجد ابن العجلان .
- ١١- السائب بن أبي السائب بن عابد ، قتله الزبير بن العوام ، وفي رواية ابن هشام أن السائب هذا ، أسلم وحسن إسلامه (انظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٧١١) .
- ١٢- الأسود بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قتله حمزة بن عبد المطلب .
- ١٣- حاجب بن السائب بن عويمر بن عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم ، قتله علي بن أبي طالب .
- ١٤- عويمر بن السائب بن عويمر ، قتله النعمان بن مالك القوقلي مبارزة .
- ١٥- عمرو بن سفيان (حليف لهم) من طي ، قتله يزيد بن رقيش .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

(٢) استشهد خارجة في معركة أحد :: وانظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

١٦- جابر بن سفيان (حليف لهم أيضاً) وهو من طى ، قتله جابر أبو بردة بن نيار .

١٧- عبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه ، قتله على بن أبي طالب .

١٨- حذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله سعد بن أبي وقاص .

١٩- هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة ، قتله صهيب بن سنان .

٢٠- زهير بن أبي رفاعه ، قتله أبو أسيد ، مالك بن ربيعة .

٢١- السائب بن أبي رفاعه ، قتله عبد الرحمن بن عوف .

٢٢- عائذ بن السائب بن عويمر ، جرحه في المعركة حمزة بن عبد المطلب ، ثم أسر فاقتدى ثم مات متأثراً بجراحه .

٢٣- رجل من طى اسمه عمير (حليف لهم من طى) .

٢٤- رجل آخر أيضاً اسمه خيار ، (حليف لهم من القارة) .

ز- ومن بنى سهم بن عمرو (قبيلة عمرو بن العاص) سبعة نفر ، وهم :

١- منبه بن الحجاج بن حذيفة بن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر أخو بني سلمة .

٢- ابنه ، العاص بن منبه بن الحجاج ، قتله على بن أبي طالب .

٣- أخوه ، نبيه بن الحجاج ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، وسعد ابن أبي وقاص ، اشتركا في قتله .

٤- أبو العاص بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، قتله على

ابن أبي طالب . ويقال النعمان بن مالك القوقلى ، ويقال .. أبو دجاجة .

٥- عاصم بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، قتله أبو اليسر ،

أخو بني سلمة .

٦- الحارث بن منبه بن الحجاج ، قتله صهيب بن سنان .

٧- عامر بن عوف بن ضبيرة ، أخو عاصم بن ضبيرة ، قتله
عبد الله بن سلمة العجلاني . ويقال أبو دجانة .

ح- ومن بنى عامر بن لؤى رجلاً ، وهما :

١- معاوية بن عامر (حليف لهم من بنى عبد القيس) ، قتله
عكاشة بن محصن^(١) على ما قاله ابن هشام .

٢- معبد بن وهب (حليف لهم من بنى كلب بن عوف) قتله
خالد وإياس ابنا البكير .

ط- ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص ، أربعة نفر ، وهم :

١- أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رجل من
الأنصار من بنى مازن .

٢- ابنه علي بن أمية بن خلف ، قتله عمار بن ياسر .

٣- أوس بن معير بن لؤذان بن سعد بن جمح ، قتله علي بن
أبي طالب ، ويقال قتله الحصين بن الحارث وعثمان بن مظعون .

٤- سبرة بن مالك (حليف لهم) لا يعرف قاتله .

(١) هو عكاشة (بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها) بن محصن بن حرنان
ابن قيس ، من بنى أسد بن خزيمه ، حليف بنى عبد شمس من السابقين الأولين ، وهو
الذى يضرب به المثل دائماً بالقول (سبقك بها عكاشة) وهذه الكلمة قالها النبي صلى الله
عليه وسلم ، عندما قال : إن سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ، فقال عكاشة :
ادع الله أن يجعلني منهم ، قال ... أنت منهم ، فقام آخر ، فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم : سبقك بها عكاشة فصار يضرب بها المثل للسبق في الأمر ، استشهد عكاشة في
حرب الردة ، قتله طليحة ابن خويلد الأسدي .

أسرى المشركين وأسماؤهم

- أما أسرى المشركين الذين وقعوا في أيدي جيش المدينة يوم بدر .
فهم أيضاً سبعون رجلاً ، وهم كما يلي :
أ - من بني هاشم أربعة نفر ، وهم :
١ - العباس بن عبد المطلب ^(١) .
٢ - عقيل بن أبي طالب ^(٢) أخو علي بن أبي طالب .
٣ - نوفل بن الحارث بن المطلب ^(٣) .

(١) هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بستين ، افتدى نفسه وابن أخيه عقيل بن أبي طالب . ورجع إلى مكة . ويقال إنه أسلم فكيّم إسلامه ، فكان عينا على المشركين ، يبعث بأخبارهم من مكة للنبي صلى الله عليه وسلم ، هاجر قبل الفتح بقليل . وشهد فتح مكة مع المسلمين . وشهد معركة حنين ، وكان ممن ثبت ساعة انهزام المسلمين أول المعركة ، فكان لصوته الجمهوري فضل كبير عندما حض المنهزمين على الثبات كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول من آذى العباس فقد آذاني ، فلما عم الرجل صنو أبيه ، كان العباس طويلا جميلا ، توفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين هـ .

(٢) هو عقيل بن أبي طالب ، أخو أمير المؤمنين (علي) تأخر إسلامه إلى عام الفتح ، شهد حنيناً وكان ممن ثبت فيها ، كما شهد معركة مؤتة (في الأردن) ، كان من أعلم الناس بأنساب قريش ومآثرها ومثالبها ، وكان شديد الذكاء مشهوراً بالجواب المسكت ، فارق أخاه علياً ولحق بمعاوية أيام الخلاف بينهما ، وشهد صفين مع معاوية ، ويقول بعض المؤرخين إن معاوية قال لعقيل في يوم من أيام صفين ، أنت اليوم معنا فأجابه (علي طريفته في سرعة الجواب) : وقد كنت معكم يوم بدر . لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى حديث واحد أخرجه له النسائي وابن ماجه ، مات رضي الله عنه في أول خلافة يزيد :

(٣) هو نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دفع عنه الفدية عمه العباس ، فأطلق سراحه من الأسر ، كان يتاجر في الرماح ، أسلم نوفل وكان أسن من أسلم من بني هاشم ، مات نوفل لستين من خلافة ابن الخطاب ، ومشي عمر في جنازته :

- ٤- رجل اسمه (عتبة) حليف لهم .
- ب- ومن بنى المطلب بن عبد مناف خمسة نفر ، وهم :
- ١- السائب بن عبيد بن عبد يزيد ^(١) .
- ٢- نعمان بن عمرو بن علقمة بن المطلب .
- ٣- عقيل بن عمرو (حليف لهم) .
- ٤- أخوه تميم (حليف لهم أيضاً) .
- ٥- ابن لتميم ، لا يعرف اسمه (حليف لهم أيضاً) .
- ج- ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف تسعة نفر ، وهم :
- ١- عمرو بن أبي سفيان بن حرب .
- ٢- الحارث بن أبي وجرة .
- ٣- أبو العاص بن الربيع ^(٢) .

(١) هو السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف ، جد الإمام الشافعي . كان السائب حامل راية بني هاشم مع المشركين يوم بدر ، فدى نفسه من الأسر ، ثم أسلم وحسن إسلامه .

(٢) هو أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف ، واسمه لقيط ، وقيل يامر ، تزوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما مشركان ، وكان رجلاً نبيلاً مشهوراً بالأمانة حتى إنه كان يلقب بالأمين ، وكان القرشيون لذلك يأتمنون على أموالهم ، فكان لذلك يتاجر (مضارباً) في أموال كثير من القرشيين الموسرين واتفق أن عاد مرة من الشام في تجارة كثيرة لأهل مكة ، فأراد بعض الصحابة التعرض له والاستيلاء على ما معه من أموال باعتبارها أموال العدو ، فأعلنت زوجته أنها قد أجارته فأمن بذلك ، ثم خرج إليه بعض الصحابة من غير سلاح ، وقالوا له : هل لك أن تسلم فتغتم ما معك من أموال لمشركي مكة ، فقال بشما أمرتوني به ، أن أنسخ ديني بفجرة ، ثم مضى بتجارة أهل مكة حتى وصل إليها وأعطى كل ذي حق حقه ، ثم نادى في أهل مكة قائلاً : يا أهل مكة هل أوفيت ذمتي ، قالوا .. اللهم نعم ، فأعلن إسلامه آن ذاك وهاجر إلى المدينة ، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجته زينب بعقد جديد ، وقد توفي أبو العاص سنة اثنتي عشرة من الهجرة .

- ٥- أبو ريشة بن عمرو (حليف لهم) .
- ٦- عمرو بن الأزرق (حليف لهم) .
- ٧- عقبة بن عبد الحارث بن الحضرمي (حليف لهم) .
- ٨- خالد بن أسيد بن أبي العيص ^(١) .
- ٩- أبو العريض ، يسار (مولى العاص بن أمية) .
- د- ومن بني نوفل بن عبد مناف أربعة نفر ، وهم :
 - ١- عدى بن الخيار بن عدى بن نوفل .
 - ٢- عثمان بن عبد شمس ابن أخي غزوان بن جابر . (حليف لهم من بني مازن بن منصور) .
 - ٣- أبو ثور (حليف لهم) .
 - ٤- نبهان (مولى لهم) .
- هـ- ومن بني عبد الدار بن قصي ، ثلاثة نفر ، وهم :
 - ١- أبو عزيز بن عمير بن هاشم (أخو مصعب بن عمير) .
 - ٢- الأسود بن عامر (حليف لهم) .
 - ٣- عقيل (زجل من اليمن) حليف لهم .
- و- ومن بني أسد بن عبد العزى أربعة نفر ، وهم :
 - ١- السائب بن أبي جيش بن المطلب بن أسد .
 - ٢- الحويرث بن عباد بن عثمان بن أسد .
 - ٣- سالم بن شماخ (حليف لهم) .
 - ٤- عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث .

(١) هو خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، وهو أخو عتاب ابن أسيد الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم أميراً على مكة بعد الفتح ، أسلم يوم الفتح ، وكان أخوه عتاب قد أرسله أميراً على حملة التأديب التي أرسلها لمقاتلة المرتدين .

ز- ومن بنى مخزوم بن يقظة عشرة نفر ، وهم :

- ١- خالد بن هشام بن المغيرة .
- ٢- أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة .
- ٣- عثمان بن عبد الله بن المغيرة .
- ٤- أبو المنذر بن أبي رفاعة .
- ٥- أبو عطاء عبد الله بن أبي السائب .
- ٦- المطلب بن حنطب بن الحارث .
- ٧- خالد بن الأعلم (حليف لهم) وهو الذى كان أول من فر منهزماً من المعركة ، مع أنه صاحب البيت المشهور الذى يضرب به المثل للثبات .
ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا يتقطر الدم .
- ٨- الوليد بن الوليد بن المغيرة (أخو خالد بن الوليد) ..
- ٩- صيفى بن أبي رفاعة بن عابد .
- ١٠- قيس بن السائب .

ح- ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص خمسة نفر ، وهم :

- ١- أبو رداة بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم .
- ٢- وفرة بن قيس بن عدى بن حذافة بن سعد بن سهم .
- ٣- حنظلة بن قبيصة بن حذافة بن سعد بن سهم .
- ٤- الحجاج بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم .
- ٥- رجل ، اسمه (أسلم) مولى نبيه الحجاج .

ط- ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص أحد عشر رجلاً وهم :

- ١- عبد الله بن أبي بن خلف بن وهب .
- ٢- أبو عزة (عمرو بن عبد بن عثمان بن وهيب) .

- ٣- الفاكهة (مولى أمية بن خلف) .
- ٤- وهب بن عمير .
- ٥- ربيعة بن دراج بن العنيس بن أهبان بن وهب .
- ٦- عمرو بن أبي بن خلف .
- ٧- أبو رهم بن عبد الله (حليف لهم) .
- ٨- ورجل (حليف لهم) ذهب عن ابن إسحاق اسمه فلم يذكره .
- ٩- نسطاس (مولى لأمية بن خلف) .
- ١٠- مولى آخر (لأمية بن خلف) لا يعرف اسمه .
- ١١- أبو رافع (غلام أمية بن خلف) .
- ي- ومن بنى عامر بن لؤى خمسة نفر ، وهم :
 - ١- سهيل بن عمرو^(١) . أسره مالك بن الدخشم .
 - ٢- عبد بن زمعة بن قيس .
 - ٣- عبد الرحمن بن منشؤ بن وقدان .
 - ٤- حبيب بن جابر .
 - ٥- السائب بن مالك .
- ك- ومن بنى الحارث بن فهر أربعة نفر ، وهم :

(١) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود العامري القرشي ، صحابي جليل خطيب قريش الأول . أسلم بعد الفتح ، وكان من زعماء قريش البارزين في الجاهلية والإسلام ، قول (بالنيابة عن قريش) إبراهيم صاحب الحاديبة مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي قال لرسول الله لما أمسك عضادة باب الكعبة يوم الفتح ، وخاطب قريشاً قائلاً .. ماذا تقولون ؟ قال سهيل : نقول خيراً ونظن خيراً . أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ، فقال صلى الله عليه وسلم : أقول كما قال أخي يوسف : لا تريب عليكم اليوم ، كان سهيل في جيوش الشام يناهد ، ولم يزل كذلك حتى مات في طاعون عمواس غازياً .

- ١ - العاضل بن أبي قتيح .
- ٢ - عتبة بن عمرو بن جحلم .
- ٣ - شامع (رجل من اليمن) حليف لهم .
- ٤ - شنيع (رجل أيضاً من اليمن) حليف لهم .

أسماء من شهد بدرأ من المسلمين

لقد شهد معركة بدر من المسلمين ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً .
منهم ستة وثمانون رجلاً من المهاجرين ، ومائتان وواحد وثلاثون من
الأنصار . منهم مائة وسبعون من الخزرج وواحد وستون من الأوس .
وهذه أسماء جميع البدريين منسوبون إلى قبائلهم :

البدريون من المهاجرين

- أ - من بنى هاشم بن عبد مناف ثمانية نفر :
 - ١ - سيد المرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف ﷺ .
 - ٢ - حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .
 - ٣ - علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف .
 - ٤ - زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي (مولى رسول الله ﷺ) .
 - ٥ - أنسة الحبشي (مولى رسول الله ﷺ) .
 - ٦ - أبو كيثة الفارسي (مولى رسول الله ﷺ) .
 - ٧ - كنان بن حصين بن يربوع (حليف لهم) وهو من قيس عيلان .
وهو المكنى بأبي مرثد .

٨- ابنه مرثد بن أبي مرثد (حليف لهم أيضاً) .

ج- ومن بنى المطلب بن عبد مناف أربعة نفر :

١- عبيدة بن الحارث بن المطلب . (قتل يوم بدر) .

٢- الطفيل بن الحارث بن المطلب .

٣- الحصين بن الحارث بن المطلب .

٤- مسطح واسمه عوف بن أثانة بن عباد بن المطلب .

د- ومن بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ستة عشر رجلاً .

١- عثمان بن عفان ، تخلف على امرأته رقية بنت رسول الله ﷺ ،

لتعريضها في المدينة فضرب له رسول الله ﷺ بسهم وعدة من البدرين في الأجر .

٢- أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف .

٣- سالم مولى أبي حذيفة ^(١) بن عتبة بن ربيعة .

(١) هو سالم بن معقل ، مولى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، كان من أجلاء الصحابة وأعلامهم ، ومن السابقين الأولين ، وقد كان لامرأة من الأنصار واسمها (فاطمة بنت يعار) اعتقته سائبة ، فوالى الصحابي الشهير أبي حذيفة ، وكان أبو حذيفة قد تبناه ، كما تبني رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، فكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ، فأنكحه ابنة أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة ، فلما نزلت آية (ادعهم لأبائهم) رد كل أحد تبني ابناً إلى أبيه ، ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه ، كان سالم هذا عظيم المنزلة بين الصحابة ، فكان يؤم المهاجرين في الصلاة في مسجد قباء وفيهم أبو بكر وعمر ، وكان من المهاجرين ، هاجر مع عمر بن الخطاب ، وكان ابن الخطاب معجباً به ، كثير الثناء عليه ، حتى إن عمر لما طعن وفكر في أمر الخلافة ، تذكر سالمًا وكان قد مات ثم قال عمر لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى (أى لأوصى له بالخلافة) وهذا يدل على علو منزلة سالم رضى الله عنه ، وكان من حفاظ القرآن المشهورين في عصر النبي ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول . خذوا القرآن من أربعة ، من ابن أم عبد ، ومن أبي بن كعب ومن سالم مولى حذيفة ، ومن معاذ بن جبل ، شهد سالم بدرًا وقتل في معركة اليمامة شهيداً هو ومولاه أبو حذيفة ، وقد وجد رأس أحدهما عند رجل الآخر وذلك سنة اثنتي عشرة من الهجرة .

- ٤ - عبد الله بن جحش (حليف لهم) .
- ٥ - عكاشة بن محصن . (حليف لهم) .
- ٦ - شجاع بن وهيب بن ربيعة (حليف لهم) .
- ٧ - غيبة بن وهب بن ربيعة (حليف لهم) .
- ٨ - يزيد بن رقيش (حليف لهم) .
- ٩ - أبو سنان محصن بن حرثان بن قيس (حليف لهم) .
- ١٠ - سنان بن أبي سنان (حليف لهم) .
- ١١ - محرز بن فضلة بن عبد الله (حليف لهم) .
- ١٢ - ربيعة بن أكم بن سخيرة (حليف لهم) .
- ١٣ - ثقيف بن عمرو (حليف لهم) .
- ١٤ - مالك بن عمرو (حليف لهم) .
- ١٥ - مدليج بن عمرو (حليف لهم) .
- ١٦ - أبو مخشي (حليف لهم) .
- هـ - ومن بني نوفل بن عبد مناف ، رجлан ، وهما :
- ١ - عتبة بن غزوان (حليف لهم) .
- ٢ - خباب مولى عتبة بن غزوان (حليف لهم) .
- و - ومن بني أسد بن عبد العزى ثلاثة نفر ، وهم :
- ١ - الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .
- ٢ - حاطب بن أبي بلتعة اليماني ^(١) (حليف لهم) .

(١) هو زيد بن الخطاب بن نفيل أخو عمر بن الخطاب ، كان أسن من أخيه عمر ، وقد أسلم قبله ، شهد بدرأ والمشاهد كلها ، وقتل شهيداً في حرب اليمامة ، وكانت راية المسلمين معه ، وحزن عليه أخوه عمر حزناً شديداً ، ولما قتل رضى الله عنه قال عمر سبقني إلى الحسينين :: أسلم قبلي واستشهد قبلي ، له في الصحيح حديث واحد .

- ٣- سعد الكلابي (مولى حاطب بن أبي بلاتعة) حليف لهم .
- ز- ومن بني عبد الدار بن قصي . رجلان . وهذا :
- ١- مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .
- ٢- سويد بن سعد بن حرثمة .
- ح- ومن بني زهرة بن كلاب ثمانية نفر . وهم :
- ١- عبد الرحمن بن عوف .
- ٢- سعد بن أبي وقاص .
- ٣- عمير بن أبي وقاص .
- ٤- المقداد بن عمرو بن ثعلبة (حليف لهم) .
- ٥- عبد الله بن مسعود بن الحارث الهذلي (حليف لهم) .
- ٦- مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد (حليف لهم) .
- ٧- ذو الشمالين بن عمرو بن نضلة الخزاعي (حليف لهم) .
- ٨- خباب بن الأرت التيمي (حليف لهم) .
- ط- ومن بني تيم بن مرة خمسة نفر :
- ١- أبو بكر الصديق . واسمه (عتيق بن عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم) .
- ٢- بلال بن رباح (مولى لأبي بكر الصديق) .
- ٣- عامر بن فهيرة (مولى أبي بكر الصديق) .
- ٤- صهيب بن سنان (مولى عبد الله بن جدعان التيمي) .
- ٥- طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم .
- كان غائباً بالشام وقت المعركة فضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وعده كالبدرين في الأجر .
- ي- ومن بني مخزوم خمسة نفر . وهم :

- ١- أبو سلمة بن عبد الأسد واسمه عبد الله بن عبد الأسد .
- ٢- شماس بن عثمان بن الشريد .
- ٣- الأرقم بن أبي الأرقم ، واسمه (عبد مناف بن أسد) .
- ٤- عمار بن ياسر .
- ٥- معتب بن عوف بن عامر الخزاعي (حليف لهم) .
- ك- ومن بني عدى بن كعب (قبيلة عمر بن الخطاب) أربعة عشر رجلاً وهم :

- ١ - عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى .
- ٢ - مهجع العكي (مولى عمر بن الخطاب) .
- ٣ - عمرو بن سراقه بن المعتمر .
- ٤ - عبد الله بن سراقه .
- ٥ - واقد بن عبد الله بن مناف البربوعي (حليف لهم) .
- ٦ - خولى بن أبي خولى حليف لهم .
- ٧ - مالك بن أبي خولى حليف لهم .
- ٨ - عامر بن البكير بن عبد ياليل (حليف لهم) .
- ٩ - عاتل بن البكير .
- ١٠ - خالد بن البكير .
- ١١ - إياس بن البكير .
- ١٢ - زيد بن الخطاب (أخو عمر بن الخطاب) .
- ١٣ - سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل . كان غائباً في الشام فلما قدم ضرب له رسول الله ﷺ بسهم ، وعده مثل البدرين في الأجر ، فصار بدرياً .

ل- ومن بنى جمح بن عمرو بن مصيص بن كعب خمسة رجال :

١ - عثمان بن مظعون .

٢ - السائب بن عثمان بن مظعون .

٣ - قدامة بن مظعون .

٤ - عبد الله بن مظعون .

٥ - معمر بن الحارث بن معمر .

م- ومن بنى سهم بن عمرو بن مصيص ، رجل واحد :

١ - لم يذكر ابن إسحاق اسمه .

ن- ومن بنى عامر بن لؤي سبعة رجال ، وهم :

١ - أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى .

٢ - عبد الله بن مخزومة بن عبد العزى .

٣ - عبد الله بن سهيل بن عمرو .

٤ - عمير بن عوف (مولى سهيل بن عمرو) .

٥ - سعد بن خولة (حليف لهم) .

٦ - وهب بن سعد بن أبي سرح .

٧ - حاطب بن عمرو .

س- ومن بنى الحارث بن فهر ستة رجال ، وهم :

١ - عامر بن عبد الله بن الجراح المشهور (بأبي عبيدة بن الجراح)

٢ - عمرو بن الحارث بن زهير .

٣ - سهيل بن وهب بن ربيعة .

٤ - صفوان بن وهب بن ربيعة .

٥ - عمرو بن أبي سرح بن ربيعة .

٦ - عياض بن زهير .

فهؤلاء هم البديريون من المهاجرين رضى الله عنهم وأرضاهم ، منهم ثلاثة لم يباشروا القتال فصاروا في عداد البديريين لهم أجرهم عند الله مثلهم وأخذوا حصتهم في الغنائم ، وهم (عثمان بن عفان) و (طلحة بن عبيد الله) و (سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) .

أسماء البديريين من الأنصار .

أ- من بنى عبد الأشهل (بطن من الأوس) خمسة عشر رجلا ، وهم :

- ١- سعد بن معاذ .
- ٢- الحارث بن أوس بن معاذ .
- ٣- الحارث بن أنس بن رافع .
- ٤- سعد بن زيد بن مالك .
- ٥- سلمة بن سلامة بن وقش .
- ٦- عباد بن بشر بن وقش .
- ٧- سلمة بن ثابت بن وقش .
- ٨- رافع بن يزيد بن كرز .
- ٩- الحارث بن خزنة بن عدى .
- ١٠- محمد بن مسلمة ^(١) .
- ١١- سلمة بن أسلم بن حريش (حليف لهم من بنى الحارث) .
- ١٢- أبو الهيثم بن التيهان .
- ١٣- عبيد بن التيهان .
- ١٤- عمرو بن معاذ بن النعمان .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

١٥ - عبد الله بن سهل .

ب - ومن بنى ظفر (بطن من الأوس) رجلاً ، وهما :

١ - قتادة بن النعمان بن زيد^(١) .

٢ - عبيد بن أوس بن مالك .

ج - ومن بنى عبد بن رزاح (بطن من الأوس) ثلاثة رجال وهم :

١ - نصر بن الحارث بن عبد .

٢ - معتب بن عبد .

٣ - عبد الله بن طارق البلوى (حليف لهم) .

د - ومن بنى حارثة بن الحارث (بطن من الأوس) ثلاثة نفر ، وهم :

١ - مسعود بن سعد بن عامر .

٢ - أبو عنبس بن جبر .

٣ - هاني بن نيار البلوى (حليف لهم) .

هـ - ومن بنى عمرو بن عوف (بطن من الأوس) ستة نفر ، وهم :

١ - عاصم بن ثابت بن قيس .

٢ - قيس أبو الأفلح بن عصمة .

٣ - معتب بن قشير .

٤ - أبو مليل بن الأزعر .

٥ - عمرو بن معبد الأزعر .

٦ - سهل بن حنيف^(٢) .

و - ومن بنى أمية بن زيد (بطن من الأوس) تسعة نفر ، وهم :

١ - مبشر بن عبد المنذر بن زنبير .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

(٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) .

- ٢- رفاعه بن عبد المنذر بن زئير .
- ٣- سعد بن عبيد بن النعمان .
- ٤- عويم بن ساعدة .
- ٥- رافع بن عنجدة .
- ٦- عبيد بن أبي عبيد .
- ٧- ثعلبة بن حاطب .
- ٨- الحارث بن حاطب ، رجع من الطريق بأمر رسول الله ﷺ ،
فضرب له بسهم وعده من البدريين في الأجر .
- ٩- أبو لبابة .

ز- ومن بني عبيد بن زيد (بطن من الأوس) سبعة نفر ، وهم .

- ١- أنيس بن قتادة بن ربيعة .
 - ٢- ثعن بن عدى بن الجد البلوى (حليف لهم) .
 - ٣- عبد الله بن سلمة العجلاني (حليف لهم) .
 - ٤- زيد بن أسلم بن ثعلبة العجلاني (حليف لهم) .
 - ٥- ربعمي بن رافع بن زيد العجلاني (حليف لهم) .
 - ٦- عاصم بن عدى بن الجد العجلاني (حليف لهم) خرج مع
المسلمين إلى بدر فردده رسول الله ﷺ وضرب له بسهم مع أصحاب
بدر ، فعد في البدريين .
 - ٧- ثابت بن أقوم بن ثعلبة العجلاني (حليف لهم) .
- ح- ومن بني ثعلبة بن عمر بن عوف (بطن من الأوس) ، سبعة نفر ، وهم
- ١- عبد الله بن جبير بن النعمان .
 - ٢- عاصم بن قيس بن ثابت .

- ٣- أبو ضباح بن ثابت بن النعمان .
 - ٤- أبو حنة (ويقال) أبو حبة بن ثابت بن النعمان .
 - ٥- سالم بن عمير بن ثابت .
 - ٦- الحارث بن النعمان بن أمية .
 - ٧- خوات بن جبير بن النعمان .
 - ط- ومن بنى جحجى بن كلفة بن عوف (بطن من الأوس) رجلان .
- وهما :

- ١- منذر بن محمد بن عقبة .
 - ٢- أبو عقيل بن عبد الله بن ثعلبة ، من بنى أنيف (حليف لهم) .
 - ى- ومن بنى غم بن السلم (بطن من الأوس) خمسة نفر ، وهم :
 - ١- سعد بن خيثمة .
 - ٢- منذر بن قدامة بن عرفة .
 - ٣- مالك بن قدامة بن عرفة .
 - ٤- الحارث بن عرفة .
 - ٥- تميم (مولى لهم) .
 - ك- ومن بنى معاوية بن مالك بن عوف (بطن من الأوس) ثلاثة نفر .
- وهم :

- ١- جبر بن عتيك بن الحارث .
 - ٢- مالك بن نميلة (حليف لهم من مزينة) .
 - ٣- النعمان بن عصر (حليف لهم) من قبيلة بلى (بفتح أوله وكسر ثانيه) .
- فهؤلاء هم البديرون من الأنصار من قبيلة الأوس خاصة ، رضى الله عنهم وأرضاهم ، ومعهم واحد وستون محارباً .

أسماء البدريين من الخزرج :

أ- من بنى امرئ القيس بن مالك ، أربعة نفر ، وهم :

١- خارجة بن زيد .

٢- سعد بن الربيع .

٣- عبد الله بن رواحة .

٤- خلاد بن سويد بن ثعلبة .

ب- ومن بنى زيد بن مالك وجلان ، وهما :

١- بشير بن سعد بن ثعلبة .

٢- سمالك بن سعد بن ثعلبة .

ج- ومن بنى على بن كعب بن الخزرج ثلاثة نفر ، وهم :

١- سبيع بن قيس بن عيشة .

٢- عباد بن قيس بن عيشة .

٣- عبد الله بن عباس .

د- ومن بنى أحمر بن حارثة بن ثعلبة رجل واحد ، وهو :

١- يزيد بن الحارث بن قيس .

هـ- ومن بنى جشم بن الحارث بن الخزرج أربعة نفر ، وهم :

١- خبيب بن أساف بن عتبة .

٢- عبد الله بن زيد بن ثعلبة .

٣- حريث بن زيد بن ثعلبة .

٤- سفيان بن بشر .

و- ومن بنى جدارة بن عوف بن الحارث أربعة نفر ، وهم :

١- تميم بن يعار بن قيس .

٢- عبد الله بن عمير .

٣- زيد بن المزين بن قيس .

٤- عبد الله بن عرفطة بن عدى .

ز- ومن بنى الأبحر (وهم بنو خلدرة) رجل واحد وهو :

١- عبد الله بن ربيع بن قيس .

ح- ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى عبید رجلاً ، وهما :

١- عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ^(١) .

٢- أوس بن خولى بن عبد الله بن الحارث .

ح- ومن بنى جزء بن عدى بن مالك ستة نفر ، وهم :

١- زيد بن ودیعة بن عمرو . حلیف لهم من غطفان .

٢- عامر بن سلمة بن عامر . حلیف لهم من أهل اليمن .

٣- أبو حمیضة ، معبد بن عباد ، ويقال ابن عبادة بن قشير .

٤- عامر بن البكير . حلیف لهم .

٥- عقبة بن وهب بن كلدة ، حلیف لهم من غطفان .

٦- رفاعة بن عمرو بن زيد ، حلیف لهم .

ط- ومن بنى سالم بن عوف ، رجل واحد ، وهو :

١- نوفل بن عبد الله بن نضلة .

ی- ومن بنى أصرم بن فهر بن ثعلبة رجلاً ، وهما :

(١) هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي الأنصاري ، كان أبوه رأس المتأقين ، أما هو فقد كان من خيرة شباب الإسلام ، كان صحابياً جليلاً شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه لما ظهر نفاقه فلم يأذن له ، بل قال له أحسن صحبتته ، قتل عبد الله هذا شهيداً في حرب الردة باليمامة سنة الثنتي عشرة ، وكان فيمن كتب للنبي صلى الله عليه وسلم

١ - عبادة بن الصامت .

٢ - أوس بن الصامت .

ك - ومن بنى دعد بن فهر بن ثعلبة ، رجل واحد ، وهو :

١ - النعمان بن مالك بن ثعلبة .

ل - ومن بنى لوزان بن سالم عشرة نفر :

١ - ثابت بن هزال .

٢ - مالك بن الدخشم بن مرضخة (وهو من بنى مرضخة) .

٣ - ربيع بن إياس بن عمرو بن غنم .

٤ - ورقة بن إياس .

٥ - عمرو بن إياس (حليف لهم) من أهل اليمن .

٦ - المجذر بن زياد البلوى حليف لهم .

٧ - عبادة بن الخشخاش بن عمرو .

٨ - نحاب ، ويقال له ، (بحاث) بن ثعلبة بن حزمة .

٩ - عبد الله بن ثعلبة بن حزمة .

١٠ - عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية (حليف لهم) .

م - ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج رجلاً ، وهما :

١ - أبو دجانة (سمك بن أوس بن خرشة) .

٢ - المنذر بن عمرو بن خنيس . ويقال . المنذر بن عمرو بن

خنيش .

ن - ومن بنى البدى بن عامر بن عوف رجلاً ، وهما :

١ - أبو أسيد بن ربيعة بن البدى .

٢ - مالك بن مسعود بن البدى .

س- ومن بنى طريف بن الخزرج ستة نفر :

١- عبد ربه بن حق بن أوس .

٢- كعب بن حمار (ويقال بن جماز بن ثعلبة الفبشاني الجهني) .

حليف لهم .

٣- ضمرة بن عمرو (ويقال ابن بشر الجهني) ، حليف لهم .

٤- زياد بن عمرو (ويقال أيضاً ابن بشر) الجهني ، حليف لهم .

٥- بسبس بن عمرو الجهني ، حليف لهم .

٦- عبد الله بن عامر البلوي ، حليف لهم .

ع- ومن بنى جشم بن الخزرج اثنا عشر رجلاً ، وهم :

١- خراش بن الصمة بن عمرو .

٢- الحباب بن المنذر .

٣- عمير بن الحمام .

٤- نعيم (مولى خراش بن الصمة) .

٥- عبد الله بن عمرو بن حرام .

٦- معاذ بن عمرو بن الجموح .

٧- خلاد بن عمرو بن الجموح .

٨- عقبة بن عامر بن ثاقب^(١) .

٩- حبيب بن أسود (مولى لهم) .

١٠- ثابت بن ثعلبة بن زيد .

١١- معوذ بن عمرو بن الجموح .

١٢- عمير بن الحارث بن ثعلبة .

(١) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

ف- ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب تسعة نفر ، وهم :

- ١- بشر بن البراء بن معرور بن صخر .
- ٢- الطفيل بن مالك بن خنساء .
- ٣- سنان بن صيفى بن خنساء .
- ٤- عبد الله بن الجعد بن قيس بن صخر بن خنساء .
- ٥- عتبة بن عبد الله بن صخر بن خنساء .
- ٦- خارجة بن حمير الأشجعي ، حليف لهم .
- ٨- عبد الله بن حمير ، حليف لهم .
- ٨- الطفيل بن النعمان بن خنساء .

ص- ومن بنى خناس بن سنان بن عبيد سبعة نفر ، وهم :

- ١- يزيد بن المنذر بن سرح بن خناس .
- ٢- معقل بن المنذر بن خناس .
- ٣- عبد الله بن النعمان بن بلدمة .
- ٤- الضحاك بن حارثة بن زيد .
- ٥- سواد بن زريق بن ثعلبة .
- ٦- معبد بن قيس بن صخر بن حرام .
- ٧- عبد الله بن قيس بن صخر بن حرام .

أ- ومن بنى النعمان بن عبيد أربعة نفر ، وهم :

- ١- عبد الله بن عبد مناف بن النعمان .
- ٢- جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان .
- ٣- خليدة بن قيس بن النعمان .
- ٤- النعمان بن سنان (مولى لهم) .

ب- ومن بني سواد بن غنم بن كعب بن سلمة أربعة نفر ، وهم :

١- يزيد بن حديدة .

٢- سليم بن عمرو بن حديدة .

٣- قطبة بن عمرو بن حديدة .

٤- غنثرة (مولى سليم بن عمرو) .

ج- ومن بني عدى بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم ستة نفر ، وهم :

١- عبس بن عامر بن عدى .

٢- نعلبة بن غنمة بن عدى .

٤- سهل بن قيس بن أبي كعب .

٥- عمرو بن طلق بن زيد بن أمية .

٦- معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس .

د- ومن بني زريق بن عامر بن زريق سبعة نفر ، وهم :

١- قيس بن محصن بن خالد .

٢- أبو خالد (الحارث بن قيس بن خالد) .

٣- جبير بن إياس بن خالد .

٤- أبو عبادة (سعد بن عثمان بن خلدة) .

٥- ذكوان بن عبد قيس بن خلدة .

٦- عقبة بن عثمان بن خلدة .

٧- مسعود بن خلدة بن عامر .

هـ- ومن بني خالد بن عامر بن زريق رجل واحد ، وهو :

١- عباد بن قيس بن عامر بن خالد .

و- ومن بني خلدة بن عامر بن زريق خمسة نفر :

١- أسعد بن يزيد بن الناكهة .

٢- الفاكهة بن بشر بن الفاكهة .

٣- معاذ بن ماعص بن قيس .

٤- عائد بن ماعص بن قيس .

٥- مسعود بن سعد بن قيس .

ز- ومن بنى العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق ستة نفر ، وهم :

١- رفاعة بن رافع بن العجلان .

٢- خلاد بن رافع بن مالك .

٣- عبيد بن زيد بن عامر .

٤- عبيد بن مالك بن عمرو .

٥- مليل بن وبرة بن خالد .

٦- عصمة بن الحصين بن وبرة .

ح- ومن بنى بياضة بن عامر بن زريق ستة نفر ، وهم :

١- زياد بن لبيد بن عامر .

٢- فررة بن عمرو بن وذقة .

٣- خالد بن قيس بن مالك .

٤- رجيلة بن ثعلبة بن خالد .

٥- عطية بن نوبرة بن عامر .

٦- خليفة بن عدى بن عمرو . ويقال خليفة .

ط- ومن بنى حبيب بن عبد حارثة رجلان ، وهما :

١- رافع بن المعلى بن لوذان .

٢- هلال بن المعلى بن لوذان .

ى- ومن بنى النجار (وهو نيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج)

ثلاثة وخمسون رجلاً وهم :

- ١ - خالد بن زيد بن كليب .
- ٢ - ثابت بن خالد بن النعمان .
- ٣ - عمارة بن حزم بن زيد .
- ٤ - سراقه بن كعب بن عبد العزى .
- ٥ - حارثة بن النعمان بن زيد .
- ٦ - سليم بن قيس بن فهد .
- ٧ - سهيل بن رافع بن أبى عمرو .
- ٨ - عدى بن الزغباء (حليف لهم) من جهينة .
- ٩ - مسعود بن أوس بن زيد .
- ١٠ - أبو خزيمة بن أوس بن زيد .
- ١١ - رافع بن الحارث بن سواد .
- ١٢ - عوف بن الحارث بن رفاعه .
- ١٣ - معوذ بن الحارث بن رفاعه .
- ١٤ - معاذ بن الحارث بن رفاعه ، (وهؤلاء الثلاثة هم بنو عفراء)
- ١٥ - النعمان بن عمرو بن رفاعه ، ويقال (نعيان) .
- ١٦ - عامر بن مخلد بن الحارث .
- ١٧ - عبد الله بن قيس بن خالد .
- ١٨ - عصيمة (حليف لهم من أشجع) .
- ١٩ - وديعة بن عمرو (حليف لهم من جهينة) .
- ٢٠ - ثابت بن عمرو بن زيد .
- ٢١ - ثعلبة بن عمرو بن محصن .
- ٢٢ - سهل بن عتيك بن عمرو .

- ٢٣- الحارث بن الصمة بن عمرو^(١) . ويقول ابن إسحاق أنه أصابه كسر وهو بالروحاء فضرب له النبي ﷺ بسهمه فصار بلياً .
- ٢٤- أبي بن كعب بن قيس^(٢) .
- ٢٥- أنس بن معاذ بن أنس .
- ٢٦- أوس بن ثابت بن المنذر .
- ٢٧- أبو شيخ (أبي بن ثابت بن المنذر أخو حسان بن ثابت) .
- ٢٨- أبو طلحة (زيد بن سهل بن الأسود)^(٣) .
- ٢٩- حارثة بن سراقه بن الحارث .
- ٣٠- عمرو بن ثعلبة بن وهب .
- ٣١- سليط بن قيس بن عمرو بن عتيك .
- ٣٢- أبو زيد قيس بن سكين .
- ٣٣- أبو خارجة عمرو بن قيس بن مالك .
- ٣٤- ثابت بن خنساء بن عمرو .
- ٣٥- عامر بن أمية بن زيد .
- ٣٦- محرز بن عامر بن مالك .
- ٣٧- سواد بن غزبة بن أهيب البلوي (حليف لهم) .
- ٣٨- الحارث بن ظالم بن عيس (أبو الأعور) ، ويقال أبو الأعور ابن الحارث بن ظالم .
- ٣٩- سليم بن ملحان بن خالد بن زيد .

(١) كان الحارث بن الصمة من الأبطال الذين ثبتوا مع الرسول يوم أحد ، انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :
 (٢) انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :
 (٣) أبو طلحة هذا من الأبطال المشهورين ، انظر ترجمته في كتابنا (غزوة أحد) :

- ٤٠ - حرام بن ملحان بن خالد .
- ٤١ - قيس بن أبي صعصعة .
- ٤٢ - عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف .
- ٤٣ - عصيمة (حليف لهم من بني أسد بن خزيمة) .
- ٤٤ - عمير بن عامر بن مالك .
- ٤٥ - سراقه بن عمرو بن عطية .
- ٤٦ - قيس بن مخلد بن ثعلبة .
- ٤٧ - النعمان بن عبد عمرو بن مسعود .
- ٤٨ - الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود .
- ٤٩ - سليم بن الحارث بن ثعلبة .
- ٥٠ - جابر بن سهيل بن عبد الأشهل .
- ٥١ - سعد بن سهيل بن عبد الأشهل .
- ٥٢ - كعب بن زيد بن قيس .
- ٥٣ - بجير بن أبي بجير (حليف لهم من غطفان) .

حديث القرآن عن المعركة

وقد تحدث القرآن الكريم عن معركة بدر ، فتناول أهم الأحداث التي جرت فيها ، فقد أنزل الله تعالى فيها سورة الأنفال بأكملها وهي خمس وسبعون آية .

قال ابن إسحاق .. فلما انقضى أمر بدر أنزل الله عز وجل فيه من القرآن (الأنفال) بأسرها .

وأول ما تحدث عنه القرآن الكريم اختلاف عسكر بدر من المسلمين حول الثنائيم والأسلاب ، فقال تعالى : (يسألونك عن الأنفال ، قل

الأنفال لله والرسول ، فاتبعوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله
إن كنتم مؤمنين) .

وقد كانت هذه الآية الكريمة بمثابة قرار حاسم لحل الخلاف بين
العسكر حول الغنائم ، إذ جعل الله أمرها عائداً إلى النبي ﷺ وعلى
المسلمين أن يطيعوا أمره .

وقد قسم النبي ﷺ الغنائم بين الجيش على السواء .
فكان عبادة بن الصامت يقول - إذا سئل عن سورة الأنفال - فينا
معشر أهل بدر نزلت حين اختلفنا في النفل يوم بدر ، فانتزعه الله من
أيدينا حين ساءت فيه أخلاقنا ، فردّه على رسول الله ﷺ ، قسمه
بيننا عن بواء - يقول .. على السواء - ، وكان في ذلك تقوى الله وطاعة
رسوله ﷺ وصلاح ذات البين .

كذلك أشار القرآن الكريم إلى خروج النبي ﷺ من المدينة
للملافة غير قريش ، وحرص المسلمين على الاستيلاء على القافلة ، وكرهه
البعض لملافة قريش ، فقال تعالى :

(كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين
لكارهون ، يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم
ينظرون ، وإذ بعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات
الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يُحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ،
لِيُحق الحق وَيُبطل الباطل ولو كره المجرمون) .

وقد ذكر القرآن أيضاً دعاء قريش واستفتاح أبي جهل قبل
المركة والذي قال فيه (كما تقدم) .. اللهم اقطعنا للرحم وآتنا بما
لناعرف ، فاحنه الغداة (أى اجعل حينه غداً) .. فقال تعالى :

(إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، وإن تنتهوا) أى بعدما أصابكم
فى بدر (فهو خير لكم ، وإن تعودوا نعد) أى نوقع بكم مثلما أوقعنا
بكم فى بدر (وإن تغنى عنكم فتحتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين)
كذلك تحدث القرآن عن اللقاء العجيب الذى كان غير متوقع
(بالنسبة للمسلمين) بين الفريقين فى بدر ، إذ أن المسلمين لم يخرجوا
للحرب وإنما خرجوا للاستيلاء على العير ، فوجدوا أنفسهم أمام جيش
العدو الذى ما كانوا على ميعاد معه ، فقال تعالى :

(إذ أنتم بالعدوة الدنيا ، وهم بالعدوة القصوى والركب (أى العير
التي نجت) أسفل منكم ، ولو تواعدتم لآخلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى
الله أمراً كان مفعولاً ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حى عن
بينة وإن الله لسميع عليم) .

كما تحدث القرآن الكريم عن حالة الوجل والخوف التى خاف
فيها النبي ﷺ على جيشه الصغير من القناء فى هذه المعركة ، فاستغاث
ربه ، كما تحدث القرآن عن الملائكة الذين شهدوا المعركة لتقوية
روح المسلمين المعنوية وتثبيتهم ، فقال تعالى :

(إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة
مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا
من عند الله إن الله عزيز حكيم) .

كذلك أشار القرآن إلى الطمأنينة التى جهز الله بها الجيش الإسلامى
قبل المعركة ، والثبات الذى مدهم به فلقوا عدوهم بقلوب ثابتة ، لم
يجد الخوف سبيلاً إليها ، فقال تعالى :

(إذ يغشىكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم

به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) .
كذلك تحدث القرآن عن خفقة النعاس التي أصابت النبي ﷺ ،
وهو في العريش (والمعركة قائمة) والتي رأى فيها (أى الخفقة)
البشارة بالنصر ، فبشر أبا بكر بذلك (كما تقدم) فقال تعالى :

(وإذ يريكهم الله في منامك قليلا ، ولو أراكمهم كثيراً لفشلتم ،
ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلّم إنه عليم بذات الصدور) .
كذلك أشار القرآن إلى رى النبي ﷺ المشركين بالحصباء عند
إصدار أوامره بالهجوم عليهم ، فقال تعالى : (وما رميت إذ رميت ولكن
الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم . ذلكم وأن الله
موهن كيد الكافرين) .

قال ابن إسحاق (يصف أمر الرسول بالهجوم على المشركين بعد
رميهم بالحصباء) قال :

(ثم إن رسول الله أخذ خفنة من الحصباء فاستقبل قريشاً بها ، ثم
قال .. شأنت الوجوه ، ثم نفجهم بها ، وأمر أصحابه فقال .. شدوا ،
فكانت المزيمة) .

وتحدث القرآن أيضاً عن حالة صار عليها المسلمون عند لقاء عدوهم .
حالة لا بد من أن يكون عليها كل من يتوق إلى النصر ، وهى احتقار
قوة العدو وعدم الخوف منها (وإن كانت كثيرة) تحدث القرآن عن
امتنان الله على العسكر الإسلامى بإيجادها عندهم لثلاثهم كثرة العدو
الغامرة فينخاذلوا ، فقال تعالى :

(وإذ يريكموهم إذ التقينم في أعينكم قليلا) ..
كذلك تحدث القرآن مذكراً للمسلمين بنصرهم المؤزر الذى أحرزوه

في معركة بدر الذي كان سبباً في تغيير مجرى حياتهم وتدعيم مركزهم السياسي والعسكري والاقتصادي الذي صاروا بعده سادة المنطقة بعد أن كانوا ضعفاء خائفين لا يأمنون على أنفسهم ، فقال تعالى :

﴿ واذكروا ، إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأوakم وأيدكم بنصره وورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾ .
كما طلب من المسلمين عامة ، وعسكر بدر (خاصة) أن يعطوا الطاعة الكاملة دائماً لله ولرسوله ، وأن لا يختلفوا فيما بينهم ، فيصيبهم الفشل الذي هو (دائماً) من لوازم الخلاف ، كما طلب منهم الابتعاد دائماً عن الفرور والرياء والكبر الذي كان سبباً في نكبة جيش مكة الذي قاده غرور وبطر أبي جهل إلى هزيمة نكراء لم تشهد مكة مثلها في تاريخها فقال تعالى :

﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين ، ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورناء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ، وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وأني جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لاترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ .

الفرار من الزحف

كما أن القرآن (أيضاً) في هذه السورة حذر المؤمنين من الفرار ساعة اللقاء ، وبين لهم في شدة بأن الحرب ساعة الالتحام بالعدو جريمة وخيانة كبرى جزاء فاعلها جهنم ، فقال تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ
الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُولُهمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ
بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

كذلك حث القرآن المسلمين في هذه السورة التي نزلت في جو
مشحون بروح الحرب .. حثَّ المسلمين فيها على عدم التهاون في محاربة
أعداء الإسلام والتنكيل بهم فقال تعالى :

(فَإِنَّمَا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مِنْ خَلْقِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ .
وإِنَّمَا تَخَافُنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ .
وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ، اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ، وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ
شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ) .

غير أن القرآن إذا كان قد حثَّ أتباعه في ذلك الظرف الخطير
على التزام جانب القوة وخوض المعارك لضرب المعتدين الذين يتربصون
بالإسلام الدوائر ، فإن دعوته الأساسية للسلم الذي لم يشرع الحرب إلا
لتحقيقه ، هذه الدعوة ظل القرآن يدعو لتحقيقها كمطلب أساسي
لدعوته فقال تعالى :

(وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .
كذلك لم يُغفل القرآن في هذه السورة الثناء على المهاجرين والأنصار
الذين بسببهم (بعد تأييد الله) حققوا للإسلام أعظم نصر دخل المسلمون
عن طريقه التاريخ من بابه الواسع فقال تعالى :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا
(أَى الْأَنْصَارِ) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) .

كما أن القرآن الكريم عاتب النبي ﷺ في هذه السورة على تصرفه في أسرى بدر ، حيناً أطلق سراحهم مقابل مبلغ من المال يدفعونه للمسلمين ، حيث كان من الأولى قتلهم لتحطيم معنويات المشركين وكسر شوكتهم الحربية وإعزاز جانب الإسلام ، لاسيما في ذلك الجو الذي كانت فيه قريش تتحفز لإبادة المسلمين وتحشد الحشود لخضد شوكتهم ، فقال تعالى (معاتباً نبيه ﷺ) :

(ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) .

الفصل الثاني عشر

- عودة الجيش إلى المدينة .
- الخلاف حول الغنائم والأسرى .
- كيف تلقت المدينة أنباء النصر .
- وقع المزيمة في مكة .
- الموقف العام في المدينة بعد النصر .
- محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم .
- أثر الانتصار على سكان الجزيرة .
- نظرة وتحليل ، ورجاء وخاتمة .

الخلاف حول الغنائم

وقد أقام النبي ﷺ مع جيشه ببدر ثلاثة أيام ، وقبل رحيله من مكان المعركة حدث خلاف بين الجيش حول الغنائم .

فقال الذين ظلوا يطاردون العدو بعد المزيمة ، نحن شغلنا العدو عنكم حتى أصبتم الغنائم ، وقال حرم القيادة ما أنتم بأحق به منا . لقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه من يمنعه ، ولكننا خفنا على رسول الله كره العدو فقمنا دونه ، وقال الذين جمعوا الغنائم هي لنا ، لأننا نحن الذين استولينا عليها .

ولما اشتد الخلاف أمر الرسول ﷺ بأن يرد الجميع ما بأيديهم

لينظر في الأمر فيما بعد ، ثم لم يمض وقت طويل حتى نزل حل مشكلة الغنائم من السماء ، فقسمها الرسول ﷺ بين المحاربين على السواء ، وذلك بعد أن أنزل الله عليه سورة الأنفال التي افتتحت بقوله تعالى ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلَحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ وقد تم تقسيم الغنائم في أثناء الطريق بمكان قريب من مضيق وادي الصفراء ، بين المضيق وبين النازية ^(١) والتي عائد من بدر إلى المدينة .

عودة الجيش إلى المدينة

وبعد أن أقام ببدر ثلاثة أيام أصدر ﷺ أوامره إلى جيشه الظافر بالتحرك نحو المدينة ^(٢) ، ومن مكان المعركة بعث برمولين ليسبقاه إلى المدينة ليبشرا أهلها بالنصر ، أحدهما من المهاجرين وهو زيد ابن حارثة ، والآخر من الأنصار وهو عبد الله بن رواحة .

قتل عقبة بن أبي معيط

وعندما وصل الرسول ﷺ إلى الصفراء أمر بقتل النصر بن الحارث ابن كلفة ، وهو حامل لواء المشركين يوم بدر ومن أكبر مجرمي تلك الحرب ومن أشد الناس كيداً للإسلام قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه

(١) كان رجوع النبي ﷺ بجيشه من بدر يوم الأربعاء في الثالث والعشرين من رمضان .

(٢) سبط التنجيم المرالي ج ٢ ص ٣٨ :: والصفراء - بالتأنيث - وادي الصفراء

بينه وبين بدر - من ناحية المدينة - مرحلة واحدة . والنازية - بالزال وتخفيف الياء - عين بالقرب من الصفراء :

والنضر هذا ، هو الذى قالت ابنته قتيلة فيه تلك الأبيات المشهورة
التي تعد من أروع الشعر المؤثر :

يا ركباً إن الأثيل مظنة	من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتاً بأن تحية	ما أن تزال به النجائب تخفق
منى إليك وعبرة مسفوحة	جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعى النضر إن ناديت	أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضئء كريمة	في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما	من الفتى وهو المفيض المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن	بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة	وأحقهم إن كان عتق يعتق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه	لله أرحام هناك تشفق
صبراً يقاد إلى المنية متعباً	رسف القيود وهو عان موثق

ويقول بعض الرواة إن النبي ﷺ لما بلغه هذا الشعر الجزل ثبأثر
وقال ، لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ، وتفيد رواية ابن هشام عدم
صحة هذه الرواية ، وهو المعقول لأن الرسول لم يأمر بقتله إلا وهو
مستحق ، فلا تكون أبيات من الشعر مغيرة لحكم مشروع .

قتل عقبة بن أبي معيط

ولما وصل ﷺ إلى عرق الظبية أمر بقتل عقبة بن أبي معيط ،

وهو من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قتله عاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح ^(١) .

ويقول بعض الرواة إن النبي ﷺ لما أمر بقتل عقبة قال .. أتقتلني يا محمد من بين قريش ؟ قال نعم ، ثم قال الرسول لأصحابه أتلترون ما صنع هذا بي ؟ .

جاءني وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها ، فما رفعها حتى ظننت أن عيني مستندران من رأسي ، وجاء مرة أخرى بسلا شاة ^(٢) فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة ^(٣) فغسلته عن رأسي .

(١) هو عاصم بن ثابت بن الأفلح الأنصاري ، كان من السابقين الأولين ، وكان عارياً فلذا ، روى أن النبي - ليلة بدر - سأل من معه ، كيف تقاتلون ، فأخذ عاصم ابن ثابت القوس والنبل ، وقال ، إذا كان القوم قريباً من مائتي ذراع كان الرمي ، وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعسة حتى تقصف فإذا تقصفت وضعتها وأخذنا السيوف وكانت الجالدة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم ، قتل عاصم غداً في يوم الرجيع في أرض هذيل بالحجاز وذلك في السنة الثالثة من الهجرة ، والقصة مفصلة في سيرة ابن هشام :

(٢) السلا - بكسر السين - ما يعقب الولادة من أوساخ وقاذورات :

(٣) هي فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي أصغر بنات النبي وأحبهن إليه ولدت والكعبة تبنى والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة ، تزوجها على رضى الله عنه في أوائل سنة اثنتين من الهجرة ، وذلك بعد مضي أربعة أشهر على تزوج أبيها صلى الله عليه وسلم من عائشة ، وقد أجمع المؤرخون على أن نسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انقطع إلا من فاطمة ، قالت عائشة ما رأيت أحداً أفضل من فاطمة بعد أبيها ، وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أفضل نساء العالمين أربع : مريم ، وآسيا ، وخديجة ، وفاطمة ، توفيت فاطمة رضى الله عنها يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة : »

والنضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط ، هما الأسيران الوحيدان اللذان قتلا صبراً من بين أسرى بدر . وكان هذان الرجلان من أشد عباد الله كفرةً وعناداً وبغياً وحسداً وكانا من أكبر دعاة الحرب ومثيريها ضد الإسلام ، والمتربصين بالرسول الدوائر ، وبقاؤهما مصلر خطر كبير على الإسلام ، لا سيما في تلك الظروف الحربية التي نجتازها دعوة محمد ﷺ فهما إذن من مجري الحرب الذين لو أطلق سراحهم لما تورعوا عن سلوك أى طريق فيه تدمير لمحمد وأصحابه ونسف لدعوتهم ، ولا أدل على ذلك مما كانا يرتكبانه من إهانات وتنكيل في حق محمد ﷺ وهو أعزل آمن في مكة .

فقتلهما (إذن) ضرورة نحتما مصلحة دعوة الإسلام الفتنية ، لا سيما وأنها من أكبر مجرى الحرب المسؤولين عن إشعال نيران معركة بدر التي خاضتها قريش بغياً وعدواناً ، وما كانت لتخوضها لولا عناد أمثال هذين الزعيمين المجرمين اللذين وأمثالهما ساقا مكة إلى الحرب قسراً بدافع الحقد على الإسلام . وإذا كان الرسول قد قتل هذين الأسيرين العريقين في الإجمام فقط ، وقبل الفداء عن غيرهما من الأسرى ومن على البعض الآخر ، فإن القرآن قد نزل بالعتاب على إطلاق سراح الأسرى الذي تم إما بالمن وإما بالفداء ، فقد كان القرآن يجهد الإثخان في هؤلاء الأسرى ويفضل القتل على قبول الفداء .

وقد جاء هذا العتاب صريحاً في قوله تعالى ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم ، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ^(١) ﴾ .

إن الوقوع في الأسر لا يعنى صدور عفو عام عن الجرائم التي اقترفتها الأسرى أيام حريتهم ، وهؤلاء الطغمة من كبراء مكة لهم ماضٍ شنيع في إيذاء الله ورسوله ، وقد أبطرتهم منازلهم فساقوا عامة مكة إلى حرب ما كان لها من داع فكيف يتركون بعد أن استمكنت الأيدي من خناقهم ؟^(١) .

لقد كانت غزوة بدر هي المعركة الأولى بين المسلمين والمشركين ، وكان المسلمون قلة والمشركون كثرة ، وكان نقص عدد المحاربين من المشركين بالقتل أو بالأسر كسباً ضخماً في هذه الحالة لا يعدله مال . وكان هنالك معنى آخر يراد تقريره في النفوس وتثبيتته في العقول ، ذلك هو المعنى الكبير الذي أشار إليه عمر رضي الله عنه في صرامة ونصاعة (وحتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هودة للمشركين) لـهذين السبيين الكبيرين نحسب أن الله كره للمسلمين أن يفادوا أسارى بدر^(٢) فقتل الأسيرين إذن ... النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إنما هو تنفيذ لما كان يريد القرآن تنفيذه وأمر تنطابه ظروف المسلمين الحربية التي أجبروا فيها على خوض المعارك ، التي أثارها هؤلاء البغاة وأشعلوا أوارها بالقرب من ديار المسلمين ..

ولود التهنة

ولا وصل النبي إلى الروحاء^(٣) لقيه رؤوس المسلمين من أهل المدينة يهنئونه بما فتح الله عليه ، فقال لهم سلمة بن سلامة ، ما الذي

(١) فقه السيرة ص ١٨٢ .

(٢) في ظلال القرآن ج ١٠ ص ٢٥ .

(٣) الروحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة .

نهشوننا به ؟ فو الله إن لقينا إلا عجائز صلعا كالبدن^(١) فتبسم الرسول
ﷺ ثم قال ، يا ابن أخى أولئك الملا^(٢) .

وقال أسيد بن الحضير ، (وكان فيمن قدم إلى الروحاء للتهنئة)
بارسول الله الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك ، والله يارسول الله
ما كان تخلفى عن بدر وأنا أظن إنك تاقى عدواً ، ولكن ظننت أنها
عير ، ولو ظننت أنه عادو ما تخلفت ، فقال رسول الله : صدقت^(٣) .

كيف تلقت المدينة أنباء النصر

عند وقوع معركة بدر كان سكان المدينة يتألفون من عناصر ثلاثة :
المسلمون .. واليهود .. والنافقون .

وقد كان اليهود والنافقون يتمنون ، بل ويتوقعون الهزيمة للمسلمين
والنصر والغلبة للمشركين فى هذه المعركة .

وقد نظم هؤلاء - قبل وصول البشير بنصر المسلمين - حملة من
الإرجاف وبلبلة الأفكار أشاعوا فيها خبر قتل النبي وتمزيق جيشه فى
معركة بدر .

وبينما كان المسلمون يترقبون - فى تلهف وهم على أحر من الجمر -
أنباء المعركة ، وبينما كانت الإشاعة والإرجاف بهزيمة المسلمين تملآن أرجاء
المدينة ، بشكل كادت تذهب له عقول المسلمين خوفاً على نبيهم

(١) جمع بدنة ، والبدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة ،
نطلق على الذكر والأنثى :

(٢) أى الأشراف :

(٣) البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٠٤

وجيشهم الفتى الصغير .. إذا بصوتى عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة ^(١)
يهزان أنحاء المدينة تهليلاً وتكبيراً معلنين - انتصار المسلمين الكامل
وهزيمة المشركين الساحقة وقرب قدوم النبي ﷺ وجيشه سالمين غانمين
فعمت البهجة والسرور نفوس المسلمين ، وزالت عنهم جميع
المواجس الزعجة التي انتابتهم نتيجة الإشاعات الكاذبة والإرجاف
المقصود الذي نظمه اليهود والمنافقون .

وبالرغم من وصول البشير بنصر المسلمين وهزيمة المشركين ، فقد
حاول اليهود والمنافقون تكذيب أنباء الانتصار التي وصل بها البريد
النبوي من بدر .

فاستمروا في إرجافهم ، حتى إن أحد المنافقين عندما رأى زيد
ابن حارثة - أحد المبشرين بالنصر - راكباً القصواء ناقة رسول الله ﷺ
بحضور أبي لبابة الأنصاري قال : لقد قتل محمد وهذه ناقته نعرفها ،
وهذا زيد لا يدرى ماذا يقول من الرعب ، وجاء فلا ^(٢) وقالت اليهود
ما جاء زيد إلا فلا .

(١) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصة
استرقاقه أن أمه زارت قومها وزيد معها فأغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية
على بيوت بني معن فاحتلموا زيدا وهو غلام صغير ، فباعوه في سوق عكاظ ، اشتراه
حكيم بن حزام لعمته خديجة ، فلما تزوجها رسول الله وهبته له ، وكان أبوه حارثة قد
حضر إلى مكة وطلب من النبي أن يقبل الفداء فيه ويغديه إليه ، فقال ، ادعوه فخيروه ،
فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي اختار على من اختارني
فداء ، وعند تخيير زيد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك قبل الهجرة ،
هاش زيد في بيت النبوة ، فكان من السابقين الأولين في الإسلام ، ثم صار من القادة
البارزين ، كان أول القادة الثلاثة الذين أداروا دفة معركة مؤتة وكان أول هؤلاء القادة
استشهاده حيث قتل وهو يقود المعركة ضد الرومان :

(٢) رجل فل ، وقوم فل ، منهزم ومنهزمون ، يستوى فيه الواحد والجمع ،

ولشدة الإرجاف وقوة الإشاعة بقي كثير من المسلمين مترددين في تصديق خبر انتصار المسلمين .

قال أسامة بن زيد ^(١) لقد جئت أبي (وهو أحد مبعوثي النبي من بدر بخبر النصر) حتى خلوت به فقلت له أحق ما تقول ؟؟ فقال أي والله ، حق ما أقول .

قال أسامة فقويت نفسي ورجعت إلى ذلك المنافق ، فقلت له ، أنت المرجف برسول الله وبالمسلمين ، لتقدمك إلى رسول الله ﷺ إذا قدم فليضربن عنقك ، فقال المنافق (متخاذلا) إنما هو شيء سمعته من الناس يقولونه .

طلاليع الجيش المنتصر

وبالرغم من تأكيد الرسولين (ابن حارثة وابن رواحة) خبر نصر المسلمين وهزيمة المشركين ، فقد ظل اليهود والمنافقون يقاومون ما قرع آذانهم من بشائر الفوز المحقق ، واستمروا في مكابرتهم حتى آخرتهم الحقيقة الملموسة المجسدة التي لا تجدى معها إشاعة أو إرجاف .

(١) أسامة هذا هو ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولد أسامة في الإسلام ، وقد أعطاه الرسول (قبل موته بقليل) القيادة على جيش عظيم لغزو أطراف الشام ، تولى أسامة قيادة هذا الجيش وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وكان عمرين الخطاب ممن انضوى تحت لوائه ، وقد مات الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يفصل جيش أسامة من المدينة فيمرابطاً في ضواحي المدينة حتى يبيع أبو بكر بالخلافة ، ثم أمر هذا الجيش بأن يواصل سيره إلى الجهة التي رسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة أسامة ، إلا أن أبا بكر استأذن أسامة في السماح لابن الخطاب (الذي كان أحد جنوده) أن يبقى معه في المدينة ففعل : اعتزل أسامة الفتنة بعد قتل عثمان ووقف على الحياد بين الفريقين حتى توفاه الله في أواخر خلافة معاوية رضي الله عنه .

فقد أسقط في أيدي هؤلاء اليهود والمنافقين ، عندما رأوا طلائع الجيش المحمدي المنتصر تزدحم بها طرقات المدينة ، وأمامها يساق أسرى البنى والعدوان مقرنين في الأصفاد ، تعلو وجوههم ذلة الخزيمة .

وقد كاد اليهود والمنافقون يتهمون أبصارهم عندما رأوا سهيل بن عمرو ، وعمرو بن أبي سفيان والعباس بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث ، والوليد بن الوليد وغيرهم من سادات مكة وقادتها ، قد شدت أيديهم إلى الوراء يتعشرون في خطاهم بين أفواج أسرى الشرك .

حقاً لقد كانت النهاية التي انتهت بها معركة بدر ، حدثاً خطيراً اعتزت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها .

الرسول المنتصر يدخل المدينة

وقبل وصول الأسرى مع طلائع الجيش إلى المدينة بيوم واحد دخلها صلى الله عليه وسلم يحيط به قادة جيشه وهيئة أركان حربه . وقد استقبلته المدينة استقبالا رائعاً ، أما اليهود والمنافقون فقد اسودت وجوههم واستبد بهم الغل والحقد فأفقدتهم رشدهم وأذهب صوابهم .

معاملة الأسرى

أما الأسرى فقد فرقتهم النبي على جماعته وأوصى بهم خيراً . قال أبو عزيز وهو أحد الأسرى ، وأخو مصعب بن عمير ، حامل لواء المسلمين يوم بدر .. قال : كنت في رهط من الأنصار حتى أقبِلوا من بدر ، فكانوا ، إذا قدّموا غداهم وعشاءهم ، خصوني بالخبز وأكلوا

التمر ، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا ، فما تقع في يد رجل كسرة من الخبز إلا نفحنى بها ، قال فأستحي فأردها عليه ، فبردها على ما يحسها .

الاختلاف حول مصير الأسرى

وبعد أن استقر الرسول ﷺ بالمدينة عقد مجلساً استشارياً أعلى شاهده كبار الصحابة ، لبحث موضوع الأسرى ونقرير مصيرهم ، وقد شهد هذا المجلس أبو بكر وعمر وعثمان^(١) وعلى وعبد الله بن رواحة وغيرهم من كبار الصحابة وقادة الجيش المنتصر .

وقد اختلف أعضاء هذا المجلس حول مصير الأسرى . فقد كان فريق يرى إبادة هؤلاء الأسرى جميعهم ، وعلى رأس هذا الفريق عمر ابن الخطاب الذى قال :

« يا رسول الله .. كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم واضرب أعناقهم »
وشاطر عمر هذا رأى ، القائد عبد الله بن رواحة الأنصارى الذى قال :

(١) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموى القرشى ، غنى عن التعريف .. الخليفة الراشد الثالث ، وزوج ابنتى رسول الله ، رقية وأم كلثوم أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وهو الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « لكل نبي رفيق ورفيقي في الجنة عثمان » ، لم يشهد بدر لأنه تخلف أرض زوجته رقية التى توفيت يوم قدوم البشير إلى المدينة بانتصار المسلمين في بدر ، وكتب له النبي صلى الله عليه وسلم بسمه وأجره كأي محارب في معركة بدر ، تولى الخلافة بعد عمر بن الخطاب ، قتل بالمدينة ظلماً في تلك الفتنة العمياء التى أثارها المجرمون والى لا يزال المسلمون ينجون في ظلالها حتى اليوم ، وكان قتله رضى الله عنه في التاسع عشر من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين هجرية ، قتله المجرمون وهو ابن اثنتين وثمانين سنة :

يا رسول الله .. انظر واديا من حطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم
ناراً ، وكان العباس بن عبد المطلب (وهو أحد الأسرى) يسمع ، فقال
لابن رواحة قطعتك رحمتك .
وكان فريق آخر يرى الرأفة بهم والتأني في شأنهم ، وعلى رأس هذا
الفريق أبو بكر الصديق الذي قال :
يا رسول الله .. قومك وأهلك ، استبقهم واستأن بهم لعل الله أن
يتوب عليهم .

القرار الأخير

وبعد أن عرف الرسول رأى الفريقين شكرهما وأثنى على اجتهداهما ،
حيث شبه رأى الفريق الأول الذي يرى إبادة الأسرى برأى نبي الله
نوح الذي طلب من الله تدمير قومه بقوله : ﴿ رب لا تذر على الأرض
من الكافرين دياراً ﴾ .^(١)

وشبه الفريق الثاني الذي يرى الرأفة بالأسرى ، بنبي الله عيسى
الذي قال في قومه : ﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت
العزيز الحكيم ﴾ .^(٢)

إلا أن الرسول اتخذ بشأن هؤلاء الأسرى رأياً وسطاً بين الرأيين ،
فقد خيّر الأسرى بين القتل أو الفداء ، حيث قال لهم : أنتم اليوم
عالة فلا يفلتن منكم أحد إلا بفداء أو ضرب عنق .
وهكذا انتهت مشكلة الأسرى ، وأبلغت المدينة مكة هذا القرار ،
وتم على أساسه فيما بعد إطلاق سراح الأسرى جميعاً ، إما بواسطة الفداء

(١) نوح ٢٥ .

(٢) المائدة ١١٨ .

الذى دفعه الموسرون ، وإما بواسطة المن الذى تكرم به ﷺ وأطلق سراح بعض الأسرى من غير فداء لفقرهم .
كما اتفق مع المثقفين من الأسرى على إطلاق سراحهم مقابل قيامهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة .

آية العتاب بشأن الأسرى

غير أنه بعد صدور قرار الرسول بشأن الأسرى نزل وحى من السماء فيه عتاب بشأن هذا القرار .

فقد روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ، غدوت إلى النبي ﷺ وأبى بكر وهما يبكيان فقلت ، يا رسول الله أخبرنى ، ما الذى يبكيك أنت وصاحبك ؟ ، فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء نباكيت . فقال ﷺ الذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ، عرض على عذابكم أذى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - ، وأنزل الله تعالى ﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ﴾ الآية .

كيف تلقت مكة نأ هزيمة جيشها

لقد فر من ساحة المعركة يوم بدر من مشركى مكة حوالى ثمانمائة وخمسين مقاتلاً ، بغررتهم الهزيمة الساحقة فى وديان تهامة وشعابها . واتجهوا صوب مكة مذعورين ، لا يدرى الواحد منهم كيف يدخلها خجلاً ، للذى منوا به من اندحار على كثرتهم وقلة أعدائهم .
ففى الوقت الذى تلقت فيه المدينة نبأ انتصار المسلمين بالغبطة

والسرور والابتهاج ، كانت مكة في ذهول شديد ، عند تلقى الأنباء الأولية عن هزيمتها ، واستعصى على عقول أهلها تصديق تلك الأنباء ، إلى درجة أنهم اتهموا الناقل الأول لأنباء الهزيمة بالجنون .
فما كان يخطر لهم على بال ، وما كانوا يتصورون أن ألف مقاتل يضم خيرة شباب قريش وأمهر قادتها وأشجع زعمائها سيندحر هكذا (وهذه الصورة المخزية) أمام ثلاثمائة مقاتل من أهل المدينة الذين يفوقهم جيش مكة في كل شيء أضعافاً مضاعفة .

اسألوه إن كان يعقل

كان أول من صك أسماع أهل مكة بهزيمة جندهم ، الحيسمان بن إياس الخزاعي ^(١) ، الذي كان أحد الفارين وأول القادمين من ساحة المعركة .

تجمع حوله أهل مكة وأحاطوا به كتلاً متراسة يسألونه (في لطفة) عن نتيجة المعركة ، وقال قائلهم : ما وراءك يا حيسمان ؟ .
فأبلغهم (وهو يلهث من شدة الإعياء) خبر الهزيمة الساحقة التي نزلت بجيشهم ، وبينما كان يعد عليهم بعض أسماء الصرعى من زعماء مكة وقادتها ، وقف عليه صفوان بن أمية ^(٢) - وهو أحد زعماء المشركين

(١) الحيسمان - بفتح الحاء وضم السين - ابن إياس بن عبد الله الخزاعي ، كان شريكاً في قومه ، أسلم فحسن إسلامه .

(٢) هو صفوان بن أمية بن خلف الجمحي القرشي ، قتل أبوه يوم بدر مشركاً ، كان أحد الذين قاوموا في الخدمة يوم فتح مكة ، كان من أشد الناس عداء للإسلام ، وكان أحد الذين أهدر الرسول دمهم ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، فهرب يوم الفتح ، ثم عفا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم فعاد إلى مكة وحضر وقعة حنين مع المسلمين قبل أن =

الذين لم يشهدوا بدرأ - وبمجرد استماعه إلى حديث الحيسمان عن الهزيمة أكد للحاضرين أنه مجنون ، وليؤكد ذلك ، قال لهم ، أسألوه عنى إن كان يعقل ؟؟ فقالوا له ما فعل صفوان بن أمية ؟ .

قال ، هو ذاك جالس فى الحجر ، وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا .
فأسقط فى أيدي أهل مكة ، وهاج الناس وماج بعضهم فى بعض من هول الصدمة ، وزاد الأمر تأكيداً أن قدم أبو سفيان بن الحارث ^(١) ، وهو أحد القادة الذين أداروا دفعة القتال ضد النبي يوم بدر ، فأيد ما أذاعة الحيسمان عن هزيمة الجيش المكي .

وقع الهزيمة على نفس أبى لهب

قال أبو رافع ^(٢) مولى رسول الله ﷺ ، قال كنت رجلاً ضعيفاً أعمل الأقداح ، أنحتها فى حجرة زمزم ، فو الله إني لجالس إذ أقبل أبو لهب (عم رسول الله ﷺ) وهو يجبر رجله بشر ، حتى جلس على طنب الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري .

فبينما هو جالس ، إذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم ،

= يسلم ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، كان من كرماء الجاهلية وفصحائها ، شهد معركة اليرموك وكان قائد أحد الكراديس ، مات بالمدينة فى اليوم الذى قتل فيه عثمان .

(١) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاعة أَرْضَعَتْهُمَا حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّة ، كان ممن يؤذى النبي ويهجوّه ، وكان شديد الأذى للمسلمين ، أسلم عام الفتح ، وشهد معركة حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان ممن ثبت مع الرسول ، مات سنة خمس عشرة من الهجرة وقيل سنة عشرين .
(٢) كان أبو رافع عبداً لسعيد بن العاص بن أمية ، فأعتق كل من بنيه نصيبه فيه إلا خالد بن سعيد فإنه وهب نصيبه للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فكان أبو رافع يقول أنا مولى رسول الله .

فقال له أبو لهب بن عبد المطلب ، هلم إلى فعندك ، لعمرى ، الخير .
قال فجلس والناس قيام عليه ، فقال يا ابن أخى ، أخبرنى كيف
كان أمر الناس ؟ .

فقال الحارث ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم ، فمئناهم أكتافنا
يقتلوننا كيف شاءوا ، ويأسروننا كيف شاءوا ، وأيم الله - مع ذلك -
مالت الناس ، لقينا رجال بيض على خيل بلق بين السماء والأرض ،
والله لا يقوم لها شيء .

قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى ، ثم قلت ، تلك والله
الملائكة ، قال فرفع أبو لهب يده فضرب بها وجهى ضربة شديدة ،
فثاورته فاحتملنى فضرب بى الأرض ، ثم برك على يضربنى ، وكنت
رجلاً ضعيفاً ، فقامت أم الفضل ^(١) (زوج العباس بن عبد المطلب) إلى
عمود من عمد الحجرة فضربت به ضربة فعلت فى رأسه شجة منكرة ،
وقالت استضعفته أن غاب عنه سيده ، فقام مولياً ذليلاً فوالله ما عاش
إلا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته ^(٢) .

(١) أم الفضل ، اسمها لبابة بنت الحارث الملالية ، يقال إنها أول امرأة أسلمت
بعد خديجة ، تزوج النبي شقيقتهما ميمونة ، كانت من رواة الحديث ، أخذه عنها كثير
من الصحابة ، كانت أم الفضل من شريقات النساء ، ماتت فى خلافة عثمان قبل زوجها
العباس :

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٩٢ .. وقد روى ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية
أن أبا لهب لما مات تركه ابنه بعد موته ثلاثاً ما دفناه حتى أنن ، وكانت قريش تنقى
العدسة (مرض معد مشهور عند العرب) كما تنقى الطاعون ، حتى قال لهما رجال من
قريش ، ويحكمنا إلا تستحيان إن أباكما قد أنن فى بيته لا تدفناناه ؟ فقالا إنا نخشى عدوة
هذه القرحة ، فقال أحدهم انطلقا فأننا أعينكما عليه ، فوالله ما غساوه إلا قذفاً بالماء
عليه بعيداً ما يدنون منه ، ثم احتملوه إلى أعلى مكة فأسندوه إلى جدار ثم رضموا
عليه بالحجارة .

منع النباحة على قتل بدر

وبعد أن تأكدت قريش من نتيجة المعركة ، وعرف كل بيت في مكة مصابه فيها أقامت المناحات ، وهى المآتم - وتلك عادة جاهلية أزالها الإسلام .

ناحت قريش على قتلاها فترة تمسيرة من الزمن ، بعدها أصدر قادة مكة أمراً بأن لا ينوح أحد على قتيل من قتل هذه المعركة البينة ، وأن يلتزم الناس السكون تجلداً ، ولثلاثين يوماً محمد ﷺ وأصحابه

٣٣

لقد كانت فاجعة مكة في معركة بدر فاجعة مروعة حقاً ، مامنيت بمثلها تاريخها الطويل إذ لم يكذب ينجو بيت فيها من مآتم على ابن أو زوج أو أخ أو أب أو قريب .

ولهذا هال زعماء مكة وأزعجهم أن سمعوا جبال هذه المدينة تردد أصوات النائحات الشكالي أينما ذهبوا بشكل تنهار له أقوى الأعصاب ، حيث انقلبت مكة من أقصاها إلى أقصاها إلى مناحة مفزعة رهيبة . فسارع هؤلاء الزعماء إلى إصدار خطر كامل منعوا بموجبه البكاء على قتلى بدر ، ولثلاثين يوماً بهم المسلمون .

ولقد بلغ المصاب من الهول إلى درجة أن بعض أشراف مكة فقد أكثر من ابن له في هذه المعركة التي أشعلها أبو جهل دونما مبرر إلا الخيلاء والغرور .

فقد ، فقد صفوان بن أمية في هذه المعركة أباه أمية وأخاه على ابن أمية ، وفقد أبو سفيان بن حرب ابنه حنظلة وأسر ابنه عمرو ، كما فقد عكرمة بن أبي جهل أباه (واسمه عمرو بن هشام) وعمه

العاص بن هشام ، كما فقد خالد بن الوليد أخاه الوليد بن الوليد .

أبكي أن يفضل لها بعير ؟

وكان أشد الناس مصاباً في هذه المعركة ، الأسود بن المطلب ، فقد في هذه المعركة ثلاثة من أبنائه دفعة واحدة .

حيث قتل فيها ابنه زمعة ^(١) ، وعقيل ، والحارث ، وكان الأسود هذا شيخاً طاعناً في السن وشريفاً في قومه .

وكان الحزن يحرق جوفه كلما تذكر مصرع أبنائه الثلاثة ، وكان يود لو يسمح له زعماء مكة بإعلان البكاء على أولاده لتخفف عليه وطأة الحزن ، فقد كان لا يذوق للنوم طعماً حزيناً على أبنائه . وبينما هو على هذا الحال إذ سمع نائحة في الليل ، فطمع أن يكون قد سمح بالنحيب لبكي وينوح على أبنائه ، وكان الأسود هذا قد ذهب بصره ، فاستدعى غلاماً له ، وقال له : انظر هل أحل النحيب ؟ - يعني هل رفع جطر البكاء على قتلى بدر ؟؟ هل بكى قريش على قتلها ؟ لعل أبكى على أبي حكيمة - يعني ابنه زمعة - وكان من أحب أبنائه إليه - فإن جوفى قد احترق .

فذهب الغلام يستطلع الخبر ، ثم عاد ليخبر سيده بأن الحظر لا يزال قائماً ، وأن التي تنوح إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أصلته ، فهاجت أحزان الشيخ المفؤود وسالت دموعه ، فقال بعد أن أدرك بذكائه أن صابغة الجمل الضائع لم يكن بكاؤها - في الحقيقة على

(١) زمعة بن الأسود بن المطلب هذا كان أحد النبلاء الخمسة الذين سعوا لإلغاء الحصار الاقتصادي الذي فرضته قريش على النبي وبنى هاشم وبنى المطلب قبل الهجرة ،

جعلها - وإنما جعلت من ضياعه وسيلة تنخيل بها للبكاء على قتيل لما
فقدته في معركة بدر ، أنشد قصيدته التي مطلعها :

أتبكي أن يفضل لما بعير ويمنعها من النوم السهود
فما تبكي على بكر ولكن على بدر نقاصرت الجود

فداء الأسرى

وهكذا عاشت مكة فترة من الزمن في ذهول وحزن ، وبعد أن
هدأت عاصفة الحزن في النفوس أخذ مشركو مكة يفكرون في مصير
سبعين أسيراً من أبنائهم لا يزالون في معسكر المدينة .

وبينما هم كذلك إذا بنص القرار الذي اتخذته مجلس المدينة الأعلى
بشأن الأسرى يصل إليهم ، وكان هذا القرار يقضى بتخييرهم بين
الأسر أو دفع الفداء عنهم ، ومقداره أربعة آلاف درهم عن كل
أسير .

وهنا شرعت مكة في الاتصال بالمدينة وأخذ مندوبوها يتوافدون
إلى المدينة لإطلاق سراح الأسرى ودفع الفداء عنهم .

كيف فدى العباس بن عبد المطلب نفسه

وكان العباس بن عبد المطلب (عم النبي) أجد الأسرى ، وهو
من أغنياء قريش ، فدى نفسه ودفع الفداء عن ابني أخيه عقيل بن
أبي طالب ، ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، ، كما دفع الفداء عن

حليفه عتبة بن عمرو بن جحدم ^(١) أبره بذلك رسول الله ﷺ ، فقال ، لا مال لي .

فقال له رسول الله ﷺ ، أين المال الذي وضعته عند أم الفضل ، وقلت لها إن أصبت فللفضل كذا ، ولعبيد الله كذا ، وقال والذي بعثك بالحق ، ما علم به أحد غيري وغيرها ، وإني لأعلم إنك رسول الله . وفدى نفسه وابني أخويه وحليفه ^(٢) .

وكان المسلمون ، أثناء معركة بدر ، قد استولوا على أربعين أوقية من الذهب أخذوها من العباس بن عبد المطلب عند أسرهم ، وعندما جاء وقت إطلاق الأسرى بالفداء ، طلب العباس من الرسول ﷺ ، أن يحسب كمية الذهب التي صودرت منه يوم بدر من الفداء ، فرفض الرسول ﷺ طلبه ، وقال لا . ذلك شيء أعطانه الله عز وجل (أى أنه أصبح غنيمة للمقاتلين المسلمين بعد استيلائهم عليه) ^(٣)

زينب بنت الرسول وزوجها الأسير

وكان من بين الأسرى أبو العاص بن الربيع بن عبد شمس ، زوج زينب بنت الرسول ﷺ ، وكانت أمه هالة بنت خويلد أخت أم

(١) كان مقدار الفداء الذي دفعه العباس عن نفسه وعن ابني أخويه وحليفه مائة أوقية من الذهب ، وهذا يعني أن مقدار الفداء الذي تقرر دفعه عن كل أسير هو خمس وعشرون أوقية من الذهب .

(٢) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٩٢ .

(٣) وذكر ابن كثير أن المسلمين أبلغوا الرسول صلى الله عليه وسلم رغبتهم في إعفاء العباس من الفداء وإطلاقه مجاناً ، لقربه من رسول الله ، فرفض صلى الله عليه وسلم ذلك وكلف العباس بأن يدفع الفداء كغيره من الأسرى .

المؤمنين خديجة رضى الله عنها ، فسألت الرسول ﷺ أن يزوج أبا العاص ابنته زينب ففعل .

وكان ذلك قبل أن يوحى إليه ﷺ حيث كانت زينب وأبو العاص على شركهما ، فلما نزل الوحي آمنت زينب بأبيها ، وبقي أبو العاص على شركه ، ولم يستطع الرسول التفريق بينهما ، لأنه كان مغلوباً بمكة قبل الهجرة .

ولما وقع أبو العاص بن الربيع في الأسر بعثت زوجته زينب (وهى بمكة) في فدائه بقلادة لها كانت خديجة رضى الله عنها جهزتها بها يوم زفافها ، فلما رآها الرسول ﷺ رق لها رقة شديدة فقال للمسلمين إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا ، فأطلقوا سراح زوجها وردّوا إليها قلادتها ، وأخذ الرسول على أبي العاص أن يبعث بزينب إلى المدينة ففعل ، وفرق الرسول بينهما ، وعندما أسلم أبو العاص فيها بعد رد عليه الرسول زينب بعقد جديد .

انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيأ

وكان من بين الأسرى سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامرى^(١) وكان شجاعاً وهو أحد أشراف مكة ، وخطيب قريش المشهور ، وكان لخطاباته الشهيرة تأثير كبير في محاربة دعوة الإسلام .
لذلك لما جاء وقت دفع الفداء عنه وتقرر إطلاق سراحه ، طلب عمر

(١) سهيل هذا هو الذى (بالنيابة عن قريش) عقد صلح الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان من سادات مكة ، أسره يوم بدر مالك بن النخشم . أسلم سهيل عام الفتح وحسن إسلامه ، وكان كثير الصوم والصلاة والصدقة ، قتل شهيداً في معركة اليرموك رضى الله عنه .

ابن الخطاب من الرسول ﷺ أن يحدث له عاهة لا يتمكن بعدها من أن يقوم خطيباً ضد النبي ﷺ حيث قال يا رسول الله ، انزع ثنيقي (سهيل يدلع لها لسانه) فلا يقوم عليك خطيباً في موضع أبداً . فرفض الرسول ﷺ طلب ابن الخطاب رضى الله عنه وقال : لا أمل فيمثل الله بي وإن كنت نبياً ، ثم قال النبي لعمر (دعه فعمسى أن يقوم مقاماً تحمده) ولقد صدق الرسول ﷺ فيما أشار إليه من موقف سهيل الحمود ، وهذا من أعلام النبوة .

فعند موت النبي ﷺ هم بعض أهل مكة بالارتداد عن الإسلام وبدأت الفتنة تظهر قرونها على أيدي المتربصين من ضعاف الإيمان . ولما بلغ سهيلاً ذلك - وكان سيداً مطاعاً وشجاعاً مهاباً - وقف خطيباً وقال (في حزم وصرامة) : يا أهل مكة ، لا تكونوا آخر الناس إسلاماً وأولهم ارتداداً ، والله من رابنا أمره شيء ضربنا عنقه كائنا من كان .. أو كما قال . فكان لموقفه البطولي هذا أكبر الأثر في قتل الفتنة في مهدها .

إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم

وكان سهيل بن عمرو هذا من أرجح الناس وأصدقهم لهجة . حضر الناس (مرة) باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفيهم سهيل بن عمرو وأبو سفيان بن حرب وأولئك الشيوخ من قريش فخرج آذنه يأذن لأهل بدر .. لصهيب الرومي وبلال الحبشي ، وأهل بدر ، وكان (عمر) يحبهم ، وكان قد أوصى بهم .

فقال أبو سفيان ، ما رأيت كاليوم قط ، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد ونحن جلوس لا يلتفت إلينا ، فقال سهيل بن عمرو :

أيها القوم إني والله قد أرى الذى فى وجوهكم ، فإن كنتم غضاباً
فاغضبوا على أنفسكم ، دُعِىَ القوم ودعيتم ، فأسرعوا وأبطأتم ، أما والله
لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوثاً من بابكم هذا الذى تنافسون
فيه ، ثم قال : أيها القوم إن هؤلاء قد سبقوكم بما ترون ، ولا سبيل لكم
والله إلى ما سبقوكم إليه ، فانظروا هذا الجهاد فالزموه ، عسى الله عز وجل
أن يرزقكم الشهادة ، ثم نفخ ثوبه ولحق بالشام ، وخرج بجماعة
أمله - إلا ابنته هند - إلى الشام مجاهداً حتى ماتوا كلهم هنالك ^(١) .

أثر المعركة على سكان الجزيرة

وهكذا انتهت معركة بدر بهذا الانتصار الحاسم للمسلمين ، الذى
تدهورت له سمعة قريش العسكرية والسياسية فى بلاد العرب .
لقد دهش العرب قاطبة للنصر الحاسم غير المتوقع الذى ناله
المسلمون فى هذه المعركة .

وكان اليهود والمنافقون أشد الناس استياءً لهذا النصر المبين .
وبالرغم من تباين الوقع الذى تلقت به أحزاب الكفر نبأ انتصار
المسلمين فى هذه المعركة ، فقد كان الاستياءُ عاماً بينهم ، والإجماع
منعقداً منهم على الوقوف فى وجه المسلمين .

فقد صمم الجميع على أن لا يمكنوا المسلمين مرة أخرى من تحقيق
أى نصر يزيد من قوتهم ويقوى من شوكتهم .

إلا أن هؤلاء الأعداء قد تباينوا فى سلوكهم إزاء المسلمين بعد هذا

(١) الاستيعاب فى أسماء الأصحاب المطبوع مع الإصابة فى تمييز الصحابة ج ١ ص ١١٠

النصر ، إذ ذهب كل فريق يعمل في سبيل الإيقاع بالمسلمين وتفريق جمعهم وخضد شوكتهم بالطريقة التي يراها كفيلة ببلوغ غايته .

مكة بعد الهزيمة

ففي مكة انطوى أهلها على أنفسهم بئدبون قتلاهم ويدأون جراح قلوبهم ، بعد أن مرغت الهزيمة كبرياءهم وجذعت أنف غرورهم ، ولكنهم مع هذا لم يستكينوا ، فبعد أن أفاقوا من هول الصدمة أخذوا يواصلون الاجتماعات ، ويعقدون المؤتمرات للنظر في الطريقة التي يغسلون بها عار الهزيمة التي أنزلها المسلمون بهم ، والتي لم تزدهم إلا حقداً على محمد ﷺ وبغضاً للإسلام .

فأعلنوا التعبئة العامة التي كانت نتيجةها معركة أحد الرهيبة ، كما أن الهزيمة قد ضاعفت من نقيمتهم على المسلمين الذين يعيشون بينهم في مكة ، فأخذوا يشددون على من يدخل الإسلام من أهل مكة ويضاعفون من اضطهادهم والتنكيل بهم .

فعاش في مكة - آن ذاك - كل مسلم إما مستخفياً بإسلامه ، وإما ذليلاً مستضعفاً ، عرضة للتنكيل والإهانة ، لأن الدولة هناك كانت للمشركين .

الموقف في المدينة بعد المعركة

أما في المدينة فقد كان الأمر على العكس تماماً - من حيث السيطرة فقد أصبحت سلطة المسلمين - بعد معركة بدر - هي النافذة ، مما

اضطر كثيراً من غير المسلمين إلى التظاهر بالإسلام مع الانطواء على بغض الإسلام وإظهار الكيد للمسلمين .

وفي مقدمة هؤلاء رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول^(١) الذي نصح أصحابه - بعد معركة بدر - بأن يعلنوا إسلامهم حين قال مشيراً إلى اشتداد شوكة المسلمين - بعد معركة بدر - هذا أمر قد توجه (أى استمر) فلا مطمع في إزالته ، ثم أعلن إسلامه ، وتبعه على ذلك جميع أحزاب النفاق فتظاهروا بالإسلام .

ولكنهم مع هذا ظلوا في الباطن يتربصون بالإسلام الدوائر ، وقد لجأ هؤلاء المنافقون (في محاربة النبي وصحبه) إلى سلوك سبل الدس والمخاتلة ، فظلوا يرسمون الخطط سرّاً للإيقاع بالنبي ﷺ ، وينتهزون الفرص لتفكيك وحدة أصحابه وإضعاف قوتهم ، كما هو مفصل في قصص المنافقين التي قصها القرآن وروتها أمهات التاريخ .

اليهود بعد المعركة

على أنه إذا كانت هذه الفئة في المدينة وضواحيها من عبدة الأوثان وقلة من اليهود ، قد تظاهرت بالإسلام ، وكفّت عن معالنة النبي بالعداء

(١) هو عبد الله بن أبي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ، أبو الحباب ، المشهور بابن سلول - بفتح السين وضم اللام - وسلول جدته لأبيه ، رأس المنافقين في الإسلام من أهل المدينة كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، وأظهر الإسلام بعد وقعة بدر ، تقية ، ولما نبأ النبي رضي الله عنه لوقعة أحد انخزل ابن أبي وكان معه ثلاثمائة رجل فعاد بهم إلى المدينة ، وفعل ذلك يوم التهوي لغزوة تبوك ، وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم ، وكلما سمع بسينة نشرها ، وله في ذلك أخبار ، مات بالمدينة سنة تسع من الهجرة ، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابن الخطاب لا يرى ذلك ، فترت (ولا تصل على أحد منهم) : الآية

فإن فئة أخرى وكلها من اليهود ظلوا على دينهم أحراراً ، لم يكرههم
الرسول على الدخول في الإسلام ، كما هي شرعة الإسلام ﴿ لا أكراه
في الدين ﴾ .

المعاهدة بين النبي واليهود

كان النبي ﷺ عندما وصل إلى المدينة مهاجراً ، وجد بها يهوداً قد
انتخلوا منها وطناً ، فعقد معهم كما قلنا معاهدة ، كان من أهم بنودها
أن يمتنع كل من الفريقين عن إيصال أى أذى للفريق الآخر وأن
لا يعين أحد منهما عدواً على الفريق الآخر .

لم يحدث المسلمون أنفسهم بنقض عهود اليهود ولا فكروا في
طردهم من أرض الجزيرة (بالرغم من أن المسلمين أصبحوا سادة الموقف
بعد المعركة) بل على العكس توقع المسلمون منهم أن يكونوا عوناً لهم
في حرب الوثنية المخرفة ودعم عقيدة التوحيد ، ورجا المسلمون أن يصدق
اليهود محمداً فيما بثبته الله من تنزيه ومجد ، وأن تكون صلتهم بالكتب
القديمة والفتهم لأحاديث المرسلين سبباً في إقناع العرب الأميين بأن
الرسالات حق والإيمان بها واجب ، وهذه المشاعر الحسنة تتماشى مع
القرآن النازل يومئذ يؤسسها ويؤكددها قول القرآن ﴿ ويقول الذين
كفروا لست برسلاً ، قل .. كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم
الكتاب ﴾ (١) .

(١) الرعد آية ٤٣ :: عن كتاب فقه السيرة ص ١٨٤

ولكن هذه الفئة من اليهود وعلى رأسها المرابي الكبير ، كعب بن الأشرف النبهاني ^(١) قد خالفت نصوص هذه المعاهدة وأعلنت سخطها على النبي ﷺ ، وجاهرت بعدائها له وأظهرت تألها للهزيمة التي حاقت بالمشركون في بدر .

وأخذ هؤلاء اليهود يحرضون المشركين (وخاصة أهل مكة) على الفتك بالنبي والقضاء على دعوته ، ويقدمون لهم كل مساعدة ممكنة ، ويدلونهم على عورات المسلمين ، ناكثين بذلك كل العهود والمواثيق التي أعطوها لمحمد ﷺ على أنفسهم .

وهكذا أفقد النصر الذي أحرزه المسلمون اليهود صوابهم ، فاشتد حقدهم على الإسلام ، مما ضاعف نشاطهم ضده وضد حاملي دعوته ، واكتشف المسلمون عدة مؤامرات دبرها اليهود بغية القضاء عليهم وعلى نبيهم .

وظل المسلمون (بالرغم من هذا) ضابطين لأعصابهم حتى تفاقم الأمر ، واتسعت شقة الخلاف بين الفريقين ، ولم تنته الحرب الباردة بين الفريقين إلا بتلك الأحداث الدامية الخطيرة التي جاءت نتيجة للحماقات المتكررة التي كان اليهود يرتكبونها ضد الإسلام والمسلمين ، والتي كانت ثمارها إبادة فريق منهم ونفي الفريق الآخر من المدينة

(١) هو كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان كانت أمه من بني النضير . شاعر جاهل . . دان باليهودية ، وكان سيداً في أخواله ، يقيم في حصن له قريب من المدينة ، ما زالت بقاياها إلى اليوم ، قتل سنة ثلاث من الهجرة خارج حصنه :

ونظهيرها من شرور دسائسهم ومؤامراتهم ، كما حدث لبني قريظة وبني قينقاع وبني النضير ، كما سنفصل ذلك في أول حديثنا عن معركة أحد وغزوة الأحزاب إن شاء الله .

موقف الأعراب بعد المعركة

أما الأعراب - وخاصة الضاربين حول المدينة - فقد كان وقع انتصار المسلمين شديداً على نفوسهم .

فقد اضطربوا لهذا الانتصار وأصابهم الذعر ، وخافوا أن تقوم للإسلام دولة في المدينة تحول بينهم وبين ما ألفوه (حسب شريعة الغاب) من السلب والنهب الذي هو مصدر رزقهم وعليه يقوم كيانهم . وهذا هو المصدر الرئيسي لقلقهم من انتصار المسلمين ، أما مسألة الكفر أو الإيمان فلإنها ليست ذات أهمية بالنسبة لهؤلاء الأعراب ، إذا قيست بمسألة حرصهم وإصرارهم على إخضاع المنطقة لرماحهم ينهاون ويسلبون في ظلها ، كما هي شرعة الجاهلية في جميع مناطق الأعراب . فباعث قلق الأعراب من انتصار المسلمين في هذه المعركة وانتشار نفوذهم لم يكن باعداً سياسياً أو عقائدياً ، وهذا عكس ما عليه أهل مكة الذين يعتبرون أنفسهم حراس الوثنية وسدنة الكعبة ، والزعماء الروحيين لجميع المشركين في الجزيرة بحكم وجودهم في منطقة الحرم التي يعظمها ويحج إليها جميع الوثنيين على اختلافهم في تعدد الآلهة التي يعبدون من دون الله .

كما أن قريشا كانت تعتبر من الناحية السياسية والمدنية والعسكرية

في الدرجة الأولى بالنسبة لجميع سكان الجزيرة ، مما أعطاها مركزاً ممتازاً بين جميع قبائل العرب في كل هذه الميادين .

ولهذا كان حقد قريش على محمد وبغضهم للإسلام قائماً على بواعث عقائدية وسياسية في الدرجة الأولى ، ومن هنا صاروا أشد سكان الجزيرة حرصاً على القضاء على محمد وقتل دعونه .

إحاطة الأخطار بالمسلمين

وهكذا وجد النبي ﷺ وصحبه أنفسهم ، بعد انتصارهم في بدر وسط دائرة من الأخطار تحيط بهم من كل جانب .

فهم وإن كان انتصارهم في بدر قد عزز مركزهم في المدينة أكثر من أى وقت مضى ، حيث أصبحت وما حوالها خاضعة لنفوذهم ، إلا أنهم أصبحوا أكثر من ذى قبل عرضة لشقى الدسائس والمؤامرات والاستفزازات والتحرشات العلنية من الوثنيين واليهود ، الذين أدركوا بعد معركة بدر - أنهم أمام قوة خطيرة تهدد نفوذهم وسلطانهم .

مؤامرة لاغتيال النبي

وبينما كان النبي ﷺ وصحبه يتعرضون في المدينة وما حولها لشقى التحرشات والدسائس والاستفزازات كانت مكة ضدهم تغلى كالمرجل ، تهدد وتتوعد حيث أعلنت التعبئة العامة لغسل عار الهزيمة (بغزو محمد ﷺ في عقر داره) .

بل لقد بلغ النفيظ والحققد إلى أبعد من هذا ، فقد قررت مكة

اختصار الطريق للتخلص من النبي ﷺ فدبرت مؤامرة لاغتياله في المدينة .

وهذه أول مؤامرة تدبرها مكة لاغتيال النبي بعد معركة بدر .

بطل المؤامرة

وقد اختارت مكة لتنفيذ هذه المؤامرة الخطيرة شيطاناً من شياطين قريش ، وفارساً من فرسانها المشهورين بعدائهم الشديد وبغضهم العارم للنبي ودينه .. وهو عمير بن وهب الجمحي ، الذي زاده كرها للنبي وحقداً عليه أن أسر المسلمون ابنه وهباً يوم بدر .

فقد اتفق مع بعض زعماء مكة (وفي مقدمتهم صفوان بن أمية الذي قتل أبوه وأخوه يوم بدر) على أن يقوم باغتيال النبي في المدينة . وقد كان من السهل تنفيذ هذه المؤامرة ، لولا عناية الله .

ذلك أن الوقت الذي حدّد فيه تنفيذ المؤامرة ، كان وقتاً ليس من المستنكر فيه وجود أى مشرك مكى في المدينة ، فقد كان المنتدبون من مكة لدفع فداء الأسرى ، وإطلاق سراحهم موجودين بكثرة في المدينة . لهذا كانت خطة المؤامرة تقضى بأن يذهب عمير بن وهب إلى المدينة بحجة دفع الفداء عن ابنه ^(١) والعودة به إلى مكة .

وهناك يقوم باغتيال النبي ﷺ بطريقة انتحارية حيث تعهد لصفوان بن أمية بقتل النبي أينما وجده وبين أى قوم لقيه ، وفي مقابل

(١) ابنه هذا اسمه وهب ، أسلم فيها بعد ، اشترك في فتح مصر تحت قيادة عمرو ابن العاص ، وتولى قيادة حملة بحرية للمساهمة في فتح عمورية ، وذلك سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ، مات بالشام مجاهداً .

ذلك تعهد له صفوان بن أمية بتسديد ما عليه من ديون ، ثم إعالة عياله طيلة حياتهم إن هو قتل .

فشل المؤامرة

وفعلا وصل بطل المؤامرة إلى المدينة متظاهراً بأنه جاء لدفع الفداء عن ابنه وهب وإطلاق سراحه .

وكان أول من ارتاب في أمره وقرأ (بفراسته) نوايا الشر في وجهه ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد كان ابن الخطاب واقفاً مع نفر من المسلمين ، قريباً من المسجد ، يتحدثون عن يوم بدر وما كتب الله لهم فيه من نصر حاسم .

وبينما هم كذلك ، إذ حانت التفاتة من ابن الخطاب ، رأى فيها عمير بن وهب قد أناخ راحلته على باب المسجد النبوي متوشحاً سيفه ، فارتاب في أمره وقال لرفقائه : هذا عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ، وهو الذي حرش بيننا وحزرننا للقوم يوم بدر ^(١) .

وفور رؤية ابن الخطاب لعمير بن وهب دخل على النبي ، وهو في المسجد وقال :

يا رسول الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه . فقال النبي ﷺ ، ادخلوه على .

(١) وفعلا كان عمير هذا قائد سلاح الاستكشاف في جيش مكة أيام بدر ، فهو الذي قدر للمشركين جيش مكة بثلاثمائة مقاتل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، وذلك عندما جال بفروسه حول جيش المدينة بالقرب من المكان الذي حدثت فيه المعركة :

احذروا عليه من هذا الخبيث

فخرج ابن الخطاب من المسجد ليدخل عمير بن وهب على النبي
(كما أمر) وقبل أن يدخله طلب من الصحابة الموجودين عند باب
المسجد أن يسارعوا بالدخول إلى المسجد ليتولوا حراسة رسول الله ﷺ
ويراقبوا حركات عمير بن وهب عند دخوله على الرسول قائلا :
أدخلوه على رسول الله فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث
فإنه غير مأمون .

ثم قاد ابن الخطاب عمير هذا بجمائل سيفه بعد أن لبيه بها في
عنقه حتى أوقفه على النبي ﷺ ، وبمجرد وقوفه على النبي طلب ﷺ
من ابن الخطاب أن يطلقه قائلا : أرسله يا عمر .. ثم قال النبي ﷺ :
أدن يا عمير .

فدنا .. ثم قال : أنعم صباحاً يا محمد .. وكانت هذه تحية الجاهلية .
فقال الرسول ﷺ قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ..
بالسلام تحية أهل الجنة .

كيف أسلم بطل المأمرة

ثم قال النبي ﷺ ما جاء بك يا عمير ؟
قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه .
قال : فما بال السيف في عنقك ؟
قال : قبحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟
قال : اصدقني ، ما الذي جئت له ؟

قال : ما جئت إلا لذلك .

قال : بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرنا أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت ، أولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، علي أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك .

فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يارسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان .

والله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق .

فقال الرسول ﷺ فقهوا أخاكم في دينه وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره ففعلوا^(١) وهكذا فشلت المؤامرة الخبيثة ، وبدلاً من أن يعود بطلها إلى مكة مبشراً رموس الكفر بقتل النبي ﷺ عاد إليهم مسلماً ، يتحدى مكة كلها بإسلامه ، فقد جاهر أهل مكة بأنه قد أسلم ، وكان شجاعاً مهيباً ، ولذلك لم يجرؤ أحد من أشرف مكة على التعرض له عندما قام يدعو إلى الإسلام علناً في مكة حيث كان من المحظور التظاهر بالإسلام فضلاً عن الدعوة إليه ، وخاصة بعد معركة بدر .

قال ابن كثير في تاريخه : إن عمير هذا بعد أن هداه الله للإسلام استأذن الرسول ﷺ في العودة إلى مكة ليكون داعية إلى الإسلام قائلاً : « يارسول الله إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله شديد الأذى لمن كان على دين الله ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله

وإلى رسوله وإلى الإسلام لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت
أؤذى أصحابك في دينهم .

فأذن له الرسول ﷺ فلحق بمكة ، (وكان صفوان يتوقع وصوله
بين آونة وأخرى) فكان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب (قبل
عمير) فأخبر صفوان عن إسلامه ، فغضب غضباً شديداً وحلف أن
لا يكلمه أبداً ولا ينفعه نفماً أبداً .

قال ابن إسحاق ، فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام
ويؤذى من خالفه أذى شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير .

لظرة وتحليل

وهكذا انتهت معركة بدر ، هذه النهاية التي غيرت موازين القوى
الروحية والسياسية والعسكرية والاجتماعية في الجزيرة العربية ، وقفزت
بشمعة المسلمين العسكرية إلى الذروة وجعلتهم سادة الموقف ، وخاصة
في منطقة يثرب .

كما تدهورت لها (من ناحية أخرى) سمعة قريش العسكرية
والسياسية في أنحاء الجزيرة .

معركة عفوية

وما لاجدال فيه أن معركة بدر هي معركة عفوية غير مقصودة
(أصلاً) من جانب المسلمين ، وإنما أجبروا على خوضها دونما سابق
استعداد أو قصد مبيت .

فهم عندما خرجوا من المدينة ، إنما كان قصدهم العير ، وهي قافلة

للدلو آتية من الشام إلى مكة ، لم يزد حرسها على أربعين مقاتلا .
وهو أمر لا يستحق من الاستعداد أكثر مما استعد به جيش المدينة
عندما غادرها للاستيلاء على القافلة .

ولقد كان المسلمون - وخاصة المهاجرين الذين هاجروا وكل واحد
منهم صفر اليدين بعد أن صادر مشركو مكة كل أموالهم - كانوا
حريصين كل الحرص على الاستيلاء على هذه القافلة الضخمة التي
تتألف من ألف بعير محملة بمختلف السلع والأرزاق .

وكان الصحابة يومها في ضيق من العيش ، يدل على هذا أن النبي
ﷺ لما فاتته العير وانتهى إلى بدر قال :

اللهم إنهم جياع فأشبعهم ، اللهم إنهم خفاة فأحملهم ، اللهم إنهم
عراة فأكسهم^(١) .

فقد كانوا يريدون العير ، ولكن الله أراد غير الذي أرادوا ، حيث
وجلوا أنفسهم (بدلا من العير وما تحمله من أرزاق وأموال يحملون
بالاستيلاء عليها) أمام جيش لجب عرمرم ، لا يحمل تجارة ولا أرزاقا ،
ولما يحمل ألف سيف يجرها ألف مقاتل من صفوة شباب مكة وأمهر
قاداتها بحثاً عن الموت ، فأجبروا على خوض معركة يفوقهم فيها العدو
عدداً وعدة أضعافاً مضاعفة .

غير ذات الشوكة

وهذا هو الذي عناه الله تعالى بقوله : ﴿ وتودون أن غير ذات الشوكة
تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ﴾^(٢) .

(١) فقه السيرة ص ١٨٠ .

(٢) الأنفال آية ٧ .

لقد أراد المسلمون أن تكون لهم العير التي لا شوكة لها .
ولكن الله أراد أن تكون ملحمة لا غنيمة ، وأن تكون موقعة بين
الحق والباطل ، ليحق الحق ويثبتته ، ويبطل الباطل ويذهبته ، وأراد
أن يقطع دابر الكافرين ، فيقتل منهم فريق ويؤسر منهم فريق ، وتذل
كبرياؤهم ، وتحضد شوكتهم ، وتذل دولتهم ، تحق راية الإسلام
عالية جهاراً نهراً ، عن استحقاق لا مصادفة ، وبالجهد والجهاد ، لا بالمال
ولا بالأنفال .

نعم أراد الله للفئة المؤمنة أن تصبح أمة وأن تصبح دولة ، وأن
يصبح لها سلطان وقوة ، وأراد لها أن تقيس قوتها الحقيقية إلى قوة
أعدائها ، فترجح ببعض قوتها على قوة أعدائها . وأن تعلم أن النصر
ليس بالعدد ولا بالعدة ، وليس بالمال والخييل والزاد ، إنما هو بمقدار
اتصال القلوب بالقوة الكبرى ، التي لا تقف لها في الأرض قوة ، وأن
يكون هذا عن تجربة واقعية ، لا كلاماً ولا اعتقاداً .

لتنزود الفئة المؤمنة من هذه التجربة الواقعية لمستقبلها كله ، ولتوقن
أنها تملك في كل زمان وفي كل مكان أن تغلب خصومها وأعداءها مهما
تكن هي من القلة ويكن عدوها من الكثرة . ومهما تكن هي من ضعف
القوة المادية ويكن عدوها من الاستعداد والعتاد ، وما كان هذا المعنى
ليستقر في القلوب كما استقر بالمركة الفاصلة بين قوة الإيمان ، وقوة
الطغيان .

وينظر الناظر اليوم وبعد اليوم ليرى الآماد المتطاولة بين ما أراده
المسلمون لأنفسهم يومذاك ، وما أراده لهم الله ، بين ما حسبه المسلمون
خيراً ، وما قدره الله من الخير .

ينظر فيرى هذه الآماد المتطاولة ، ويعلم كيف يخطئ الناس حين يحسبون أنهم قادرون على أن يختاروا لأنفسهم الخير ، ما لم يوفقهم الله إليه ، وحين يتضررون مما يريد الله لهم ، وقد يكمن وراءه الخير الذي لا يخطر لهم ببال ولا بخیال .

فأين ما أرادوه لأنفسهم مما أراد الله لهم ؟؟ لقد كانت تمضي - لو كانت لهم غير ذات الشوكة - قصة غنيمة .. قصة قوم أغاروا على قافلة تجارة فغنموها (فحسب) .

فأما معركة بدر فقد مضت في التاريخ كله ، قصة نصر حاسم ، قصة فرقان بين الحق والباطل ، قصة انتصار الحق على أعدائه ، المدججين بالسلاح ، الزودين بكل زاد ، وهو في قلة العدد ، وضعف في الزاد والراحلة ، قصة انتصار القلوب حين تتصل بالله ، وحين تتخلص من ضعفها الذاتي ، بل قصة انتصار حفة من القلوب من حولها الكارهون للقتال ، ولكنها بيقينها انتصرت على نفسها ، وانتصرت على من حولها وخاضت المعركة والكفة راجحة رجحاناً ظاهراً في جانب الباطل ، فقلبت بيقينها الميزان ، فإذا الحق راجح غالب .

إلا أن غزوة بدر بملابساتها هذه ، لتمضي مثلاً في التاريخ ، ألا وإنما لتقرر دستور النصر والهزيمة ، وتكشف عن أسباب النصر وأسباب الهزيمة ، الأسباب الحقيقية ، لا الأسباب الظاهرة المادية ، ألا وإنما لكتاب مفتوح تقرأه الأجيال في كل زمان وفي كل مكان ، لا تتبدل دلالتها ولا تتغير طبيعتها ، فهي آية من آيات الله ، وسنة من سننه الماضية في خلقه ، ما دامت السماوات والأرض ^(١) .

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ج ٦ من ٨٣ :

لا جدال في أن القوتين المتضادتين في معركة بدر ، قد كانتا غير متكافئتين من ناحية العدد والاستعداد والعدد .

فقد كان عدد جيش مكة حوالى ألف مقاتل خرجوا من مكة وهم مستعدون للحرب ، بينما كان عدد جيش المدينة ثلاثمائة مقاتل يزيدون قليلا ، غادروا المدينة وهم على غير استعداد للحرب ، إذ لم يدر بخلف أحد منهم أنه سيخوض مثل هذه المعركة الراهبة .

فما هي (إذن) أسباب النصر الرئيسية في هذه المعركة ، وقد انعدمت - في جانب المسلمين - كل الأسباب المادية التي بها عادة ييم النصر في المعارك ؟ .

مجمال الأسباب

يمكننا - على ضوء الاطلاع على مراحل المعركة منذ البداية - أن نلخص أسباب هذا النصر - بعد التأييد الإلهي فيما يلي :

١- عدم التحمس في جيش مكة .. فبالرغم من أن هذا الجيش اللجب^(١) قد خرج من مكة وهو يتدفق حماساً للقتال دفاعاً عن العير، وحفاظاً على سمعة قريش التي سيصيبها الانهيار لو أن محمداً تمكن من الاستيلاء على تلك القافلة القرشية الضخمة ، فإن هذا الجيش قد فتر حماسه للقتال عندما بلغته أنباء نجاه العير من قبضة جيش النبي ﷺ . لا سيما بعد أن جاهر كثير من قادة هذا الجيش في رابغ وفي بدر

(١) اللجب - يفتح الجيم - صهيل الخيل وكثرة أصوات الأبطال ، وجيش لجب ، أي ذو كثرة وجلبة .

نفسها بضرورة عودته دونما اصطدام بجيش المدينة ، حيث لم يعد أى مبرر لهذا الاصطدام بعد نجاة العير التى خرجوا لإنقاذها .

وهذا كان رأى الأختس بن شريق الثقفى الذى انشق على جيش مكة فى ربيع ورجع بجميع حلفائه من أفراد قبيلة بنى زهرة ، عندما لم يصنع أبو جهل لنصحهم ، كما كان هذا الرأى أيضاً ، رأى عتبة ابن ربيعة وغيره من أشراف مكة الذين قاموا بمحاولة صادقة وهم فى بدر لكى يتجنب جيش مكة خوض هذه المعركة ، ونادوا علناً داخل معسكر قريش بأنه من غير الصواب خوض معركة تصطدم فيها الأسرة الواحدة ، دونما داع لها ولا مبرر^(١) ، ولكنهم غلبوا على أمرهم ، حيث تغلبت الرعونة على الرزانة والتعقل .

وهذا يعنى أن جيش مكة أو أكثره قد خاض هذه المعركة على كره منه ، أو غير متحمس لخوضها على الأقل ، وهذا فى علم الحروب وفلسفة المعارك من أهم الأسباب التى تؤدى إلى الهزائم العاجلة .

٢- الاعتداء .. لقد كانت الحروب من أكره الأشياء إلى النفوس فى كل زمان ومكان ، ولهذا كانت الكراهة اسماً من أسمائها ، وكان العقلاء (فى كل عصر) لا يخوضونها إلا لأسباب موجبة قاهرة ، لأنهم يعلمون تمام العلم أن الباغى هو المصروع عادة .

ومعركة بدر هذه ، كان البغى والعدوان والخيلاء والغطرسة باعثها الأول من جانب قادة قريش وإن شئت قل ، من جانب أبى جهل السيد المشعور المطاع .

(١) كان مما قال عتبة بن ربيعة - ناصحاً قريشاً بالعدول عن قتال محمد وصحبه - يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون شيئاً بأن تلقوا محمداً وأصحابه ، والله لأن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، لأنه قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ..

فقد خرج جيش مكة وغايته الأساسية الدفاع عن ألف بعير بأحمالها ، وإنقاذها من الوقوع في قبضة جيش المدينة ، وهذا وحده (في نظر جيش مكة) مما يسبغ الشرعية على المعركة وينقذ عنصر البغي عنها ، ويجعل هذا الجيش يخوضها وهو مقتنع بضرورة خوضها . ولكن هذا الجيش لما وصل إلى رابغ وهى تبعد عن مكان المعركة حوالى مائة وخمسة وعشرين ميلاً بلغه نبأ نجاة القافلة ، فزال الموجب والمبرر للقتال ، ونادى العقلاء بعودة الجيش إلى مكة من مكانه في رابغ ، كما حاولوا مرة أخرى موادة محمد ﷺ (وقد تقابلوا معه وجها لوجه) والعودة إلى مكة دونما قتال ، ولكن أبا جهل أصر (أمام كلا المحاولتين) على أن تخوض مكة هذه المعركة باغية معتدية ، فخاضتها وكانت نتيجة يتوقعها العقلاء دائماً لكل جيش يقاتل بدافع البغي والعدوان .

٣- العقيدة ، وهى أهم أسباب النصر .. لقد خاض المسلمون هذه المعركة وهم على صلة وثيقة بالله سبحانه وتعالى .

فقد خاضها كل واحد منهم وهو على يقين بأنه لاشك فائز بإحدى الحسينيين ، إما الموت ، وهو الشهادة التى بها يدخل الجنة ويعيش فيها عيشة أشرف وأفضل من عيشة الحياة الدنيا من جميع الوجوه^(١) وإما

(١) ولقد عبر عن صدق هذه العقيدة السامية الراسخة التى لا يقف في طريق حاملها شيء ، عبر عنها أصدق تعبير ، عبر بن الحمام الذى كان واقفاً في الصف يوم بدر والذى قد ف بتمرات من يده كان يريد أكلهن ، قد ف بين وقال (بخ بخ) أفما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء ثم أخذ سيفه وغاص في جيش المشركين يقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وذلك بعد أن سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في الخطاب الذى ألقاه على جيشه قبيل المعركة بقليل ، والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم (أى المشركين) اليوم رجل صابر محتسب ، مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة .

النصر الذى به يعود مرفوع الرأس موفور الكرامة وقد ساهم فى نشر العقيدة التى فى سبيل نشرها استطاب الموت واستعذب مواده .

وهذا دونما شك من أهم بواعث الروح المعنوية التى يعتبرها العسكريون (فى كل زمان ومكان) من أهم العناصر التى يجب أن تتوفر فى كل جيش لضمان النصر فى أية معركة يخوضها .

فالعقيدة الصادقة هى مصدر الزخم والقوة لكل أمة دخلت التاريخ من باب المجد واستوت فى قمة الزمان على عرش السؤدد المقامة دعائمة على المحبة والعدل والنزاهة ، وهذا هو الذى سجله التاريخ للعرب (قبل غيرهم) عندما ساروا فى حربهم وسلمهم على هدى العقيدة الصحيحة والمبدل الثابت السليم الذى جاء به الإسلام .

أما المشركون فليسوا كالمسلمين - يدافعون عن عقيدة صحيحة أو يقاتلون فى سبيل مبدل سليم - وإنما يقاتلون بطراً ورياء وسمعة وسفها^(١) فحسب .

وهذا لا يمكن البتة ، أن يكون باعثاً لشي من الروح المعنوية الحقبة التى هى العنصر الضرورى الذى يجب توفره للحصول على النصر فى أية معركة حربية .

فالروح المعنوية - التى معدنها الفياض العقيدة الصالحة - إذا انعدمت فى جيش فإن أمل قادته فى النصر على أعدائهم ، الزاحفين

(١) ولا أدل على ذلك من خطاب ابن جهل الذى ألقاه فى رابغ - عندما حاول العقلاء العودة بالجيش إلى مكة بعد نجاة العير - والذى قال فيه ، والله لا نرجع حتى نرد بدرأ فتقيم عليها ثلاثاً . فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقى الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فامضوا .

تحت لواء العقيدة الصحيحة ، يكون ضعيفاً هو الذى حدث فعلاً في بدر ، ويحدث غالباً في كثير من المارك حتى يومنا .

٤ - الأسلوب الجديد في القتال .

لقد دخل المسلمون معركة بدر بأسلوب جديد لم يعرفه العرب في تاريخهم ، وقد فاجأ النبي أعداءه في بدر بهذا الأسلوب ، فكان لهذه المفاجأة أثر كبير في انتصار المسلمين ، ويمكن تلخيص هذا الأسلوب المبكر فيما يلي :

١ - القيادة .. قال السيد اللواء الركن محمود شيت خطاب ^(١) في كتابه (الرسول القائد) : كان النبي ﷺ هو القائد الأعلى للجيش ، وكان المسلمون يعملون في المعركة ، كيدٍ واحدة تحت قيادة واحدة ، يوجههم في الوقت الحاسم للقيام بعمل حاسم ، وهذا هو واجب القائد الكفء .

وكان ضبط المسلمين تجاه تنفيذ أوامره مثلاً رائعاً للضبط الحقيقي المتين ، وإذا كان الضبط أساس الجندية ، وإذا كان الجيش الممتاز

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب من كبار ضباط الجيش العراقي ، ذو نزعة إسلامية قوية ، رجل صلب العود يعتبر مثلاً حياً للثبات على العقيدة ، نال من التعذيب والتنكيل من الشيوعيين في عهد قاسم ما لا يمكن لبشر أن يتحملة إلا من كان على مستواه في متانة العقيدة وقوة الإيمان ، والسبب في تعذيبه أنه مسلم يكفر بالشيوعية وكل مبدأ يخالف الإسلام ، ظل صامداً في وجه الشيوعية والديكتاتورية رافضاً التعاون مع قاسم طيلة حكمه حتى ثورة أربعة عشر رمضان التي كان أحد العاطلين فيها ، وقد شغل أخيراً منصب وزير البلديات : بعد كتابه (الرسول القائد) من أروع ما خطته الأقلام المسلمة في تاريخ الرسول العسكري ، حيث لم يسبقه أحد إلى الطريقة التي سلكها في وصف المعارك التي قادها الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أثبت للقارئ (بفلسفة عسكرية شيقة) أن محمداً - بالإضافة إلى كونه نبياً مرسلًا - هو أعظم قائد عسكري عرفته البشرية . أكثر الله من أمثال هذا الضابط المؤمن في رجالنا العسكريين .

هو الذى يتحلى بضبط ممتاز ، فقد كان جيش المسلمين حينذاك جيشاً ممتازاً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

إن معنى الضبط - فيما أرى - هو إطاعة الأوامر وتنفيذها بحرص وأمانة وعن طيبة خاطر .

وقد كان المسلمون ينفذون أوامر قائدهم بحرص شديد وأمانة رائعة وبشوق وطيبة خاطر ، ومن حقهم أن يفعلوا ذلك لأن قائدهم يتحلى بصفات القائد المثالى .

ضبط للأعصاب فى الشدائد ، وشجاعة نادرة فى المواقف ومساواة لنفسه مع أصحابه واستشارتهم فى كل عمل حاسم .

كما أن النبي قد أنشأ له قيادة جعل مقرها رابية تشرف على ساحة المعركة وجعل لهذا المقر حرساً بقيادة قائد مشول (هو سعد بن معاذ) . أما المشركون فلم تكن لهم قيادة عامة ، حيث كان أكثر قادة مكة مع جيش المشركين ولكن الذى يظهر أن أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة هما أبرز ما فى القادة ، وكان يمكن أن يكون أحدهما قائداً عاماً لجيش مكة ، لولا الاختلاف بينهما . فى وجهات النظر ، والعداوة العنصرية التى كانت بينهما ، ولهذا قاتل جيش مكة قتالاً فوضوياً دونما قيادة موجهة أو تنظيم سابق .

٢ - نعيمة جديدة .. قال صاحب كتاب (الرسول القائد)^(١)

طبق الرسول فى مسير الاقتراب من المدينة إلى بدر ، تشكيلاً جديداً لا يختلف بتاتاً عن النعيمة الحديثة فى حرب الصحراء .

كانت له مقدمة وقسم أكبر ومؤخرة ، واستفاد من دوريات

الاستطلاع للحصول على المعلومات ، وتلك هي الأساليب الصحيحة لتشكيلات مسير الاقتراب في حرب الصحراء .

أما في المعركة فقد قاتل المسلمون بأسلوب (الصفوف) بينما قاتل المشركون بأسلوب الكر والفر ، ولابد لنا من بيان الفرق بين الأسلوبين ، لمعرفة عامل من أهم عوامل انتصار المسلمين .

القتال بأسلوب الكر والفر ، هو أن يهجم المقاتلون بكل قوتهم على العدو ، النشابة منهم ^(١) والذين يقاتلون بالسيوف ويضعفون بالرمح مشاة وفرساناً ، فإن صعد لهم العدو أو أحسوا بالضعف نكسوا ، ثم أعادوا تنظيمهم وكروا ، وهكذا يكرون ويفرون حتى يكتب لهم النصر أو الفشل .

والقتال بأسلوب الصفوف ، يكون بترتيب المقاتلين صفين أو ثلاثة أو أكثر ، على حسب عددهم ، وتكون الصفوف الأمامية من المسلحين بالرمح لصد هجمات الفرسان ، وتكون الصفوف المتعاقبة الأخرى من المسلحين بالنبال لتسديدها على المهاجمين من الأعداء . وتبقى الصفوف في مواضعها بسيطرة قائدها ، حتى يفقد زخم المهاجمين ^(٢) بالكر والفر شدته .. عند ذلك تتقدم الصفوف متعاقبة . للزحف على العدو .

يظهر من ذلك أن أسلوب الصفوف يمتاز على أسلوب الكر والفر بأنه يؤمن الترتيب (بالعمق) فتبقى دائماً بيد القائد قوة احتياطية يعالج بها المواقف التي ليست بالحسبان ، كأن يصد هجوماً مقابلاً للعدو أو

(١) النشابة : هم الذين يرمون بالقوس .

(٢) الزخم : الدفع الشديد .

يضرِب كميناً لم يتوقعه أو أن يحمي الأجنحة التي يهددها العدو بفرسانه أو بمشاته ثم يستثمر الفوز بالاحتياط من الصفوف الخلفية عند الحاجة .

إن أسلوب الصفوف يؤمن السيطرة على القوة بكاملها ، ويؤمن احتياطاً للطوارئ ويصلح للدفاع والمهجوم في وقت واحد ، أما أسلوب الكر والفر^(١) (وهو ماسارت عليه قريش في حربها يوم بدر) فيجعل القائد يفقد السيطرة ولا يؤمن له أى احتياط للطوارئ .

ويقول اللواء الركن (محمود شيت خطاب) إن تطبيق الرسول لأسلوب الصفوف في معركة بدر ، عامل مهم من عوامل انتصاره على المشركين .، والتاريخ العسكري يخبرنا بأن انتصار القادة العظام - كالإسكندر وهنريال قديماً ، ونابليون ومولتكه ورومل ورنشتد حديثاً ، هو أنهم طبقوا أسلوباً جديداً في القتال غير معروف ، أو قاتلوا بأسلحة جديدة غير معروفة . ١٥ .

وهكذا صار للخطة التي ابتدعها الرسول في التعبئة وسار عليها في حربه يوم بدر وامتاز بها على المشركين الذين لم يسبق لهم أن ساروا على مثلها في شيء من حروبهم ، صار لها أثر كبير في انتصار المسلمين في هذه المعركة .

هذه الأسباب الأربعة (في نظرنا) هي - من الناحية العسكرية - أهم الأسباب التي أدت إلى هزيمة المشركين في هذه المعركة ، تلك الهزيمة الساحقة التي بدأ الانهيار في صرح دولة الشرك .. وحقت للمسلمين ذلك النصر الرائع الذي به دخل المسلمون التاريخ من بابه الخالد .

(١) أسلوب الكر والفر هو الأسلوب المتبع عند الهنود الحمر بأمريكا .

خاتمة ورجاء

وختاماً فإننا (في محاولة لرفع طبقات الأتربة السميكة التي أهالها خصوم الإسلام على كنوز تاريخنا الإسلامى الثمينة) نتقدم بهذه الرسالة إلى الشباب المسلم المثقف من كل جنس ولون ، ونهيب به أن يحطم الحواجز والسدود التي أقامها المخربون بينه وبين النظر الجدى في صفحات هذا التاريخ المشرق الخالد ، فركزوا اهتمامه على تاريخ غير أمته ، وأشغلوه بالنظر فى سير أبطال ومفكرين لا تربطهم أية صلة بحاضره أو ماضيه ، أو أعطوه صورة مشوهة عن تاريخه الإسلامى فجعلوه يزهد فيه ويتفر من النظر فيه ، فحرموه من الانتفاع بكنوز هذا التاريخ الثمين .

كما أننا فى الوقت نفسه ، نتوجه إلى المسؤولين عن التربية والتعليم فى جميع البلاد الإسلامية - أن يعيدوا النظر فى برامج تعليمهم وخاصة فيما يتعلق منها بالتربية الدينية والتاريخ الإسلامى الصحيح . فإن هاتين الناحيتين الهامتين (بالنسبة لنا كأمة إسلامية) قد تم إهمالهما وعدم الاعتناء بهما فى جميع مراحل التعليم فى أكثر الأقطار الإسلامية ، وذلك تنفيذاً لمخطط تخريبى تم رسمه ضد الإسلام

وتاريخه الخالد ، قبل أن تحصل أكثر البلاد الإسلامية على حريتها واستقلالها .

ولقد ظل كثير من الأقطار الإسلامية (بعد انتزاعها استقلالها السيامي من الغاصبين) تسير - مع الأسف الشديد - في برامجها التعليمية حسب هذا البرنامج التخريبي الذي وضعه المحتلون قبل رحيلهم ، ولهذا ترى برامج التعليم في كثير من الأقطار الإسلامية مجردة تماماً من التربية الدينية وخالية من حصص التاريخ الإسلامي الصحيح . وإذا ما احتوت بعض هذه البرامج في بعض البلاد العربية على بعض حصص التربية الدينية والتاريخ الإسلامي ، فإن تدريس هذه الحصص يتم بطريقة سطحية وبدون أي حماس أو تركيز بحيث لا يعلق بذهن الطالب أي شيء يذكر من هذه الحصص أثناء تدريسها ، لا سيما وأن الرسوب فيها لا يعد رسوباً بالنسبة لغيرها من الحصص ، فلا يؤثر رسوب الطالب في الحصص الدينية والتاريخ الإسلامي على شهادته كما يؤثر فيها رسوبه في اللغة الإنكليزية والرسم والجغرافيا وما شابهها . فهل هناك تخريب أعظم من سلوك هذا الطريق ، بالنسبة لنا كأمة إسلامية يستحيل عليها أن تعيش عزيزة مستقرة من غير السير على هدى دينها والأعتزاز بتاريخها ؟ ؟ .

ولعله من المؤلم جداً ، أن بعض الأقطار التي لم تخضع طيلة تاريخها للاستعمار قد أخذ يصيبها ما أصاب غيرها حيث سرى نفس ذلك الداء إلى كيائها التعليمي ، وأخذت في اغتيال بعض الحصص الدينية من برامج تعليمها تدريجياً .

فلا نمر سنة إلا ونرى تخفيضاً لهذه الحصص واستبدالها بحصص

ليس فيها أية تقوية أو تعضيد لكيانها السياسى ، كحصى الرسم
وتربية الدواجن وغيرها من الأمور الثانوية التى يمكن إضافتها إلى
حصص التدريس دون اللجوء إلى اغتيال الحصص الدينية .

ويخطئ - بل يساهم فى تخريب الكيان - من يزعم أن إضعاف
الحصص الدينية وعدم الاهتمام بالتاريخ الإسلامى فيه تقوية لكيان
الدولة السيامى أو رفع منزلتها بين الأمم المتحضرة .

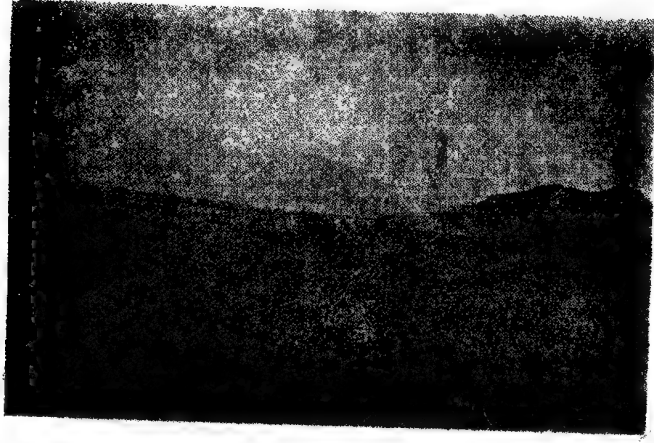
إن هذا الزعم والترويج له هو من جانب حملات التخريب التى
يقوم بتنفيذها قوم دربوا خصيصاً لتنفيذها ، وقدر لهم فى غفلة من
الزمن أن يشغلوا مناصب قيادية حساسة فى حقول التعليم .

ولأفهل يعقل أن دولة قامت ، أول ما قامت على أساس من
الإسلام والدعوة إليه وتقوية جانبه والتمسك بآدابه وتنفيذ أحكامه ،
ولم يبن لها كيان ولم يكن لها شأن إلا عندما أخذت تسير على هديه
وتحمل رايته .. هل يعقل أن الدولة التى هذا شأنها سيكون فى مصلحتها
اغتيال الحصص الدينية من برامج التعليم فيها ؟ .

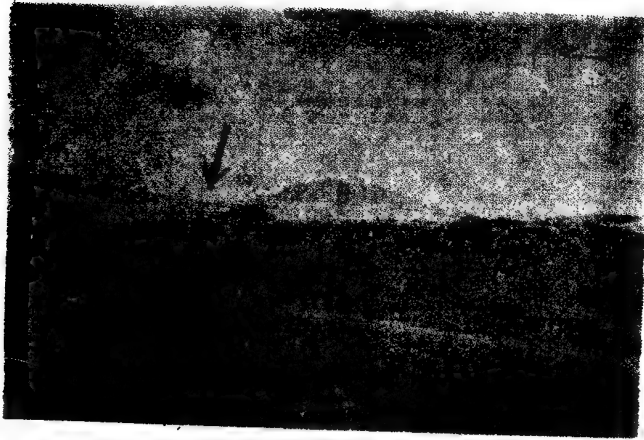
نقولها صريحة مرة أخرى ، للمسئولين عن التربية والتعليم فى البلاد
الإسلامية - العربية منها وغير العربية - إن تجريد برامج التعليم من
حصص التربية الدينية والفقه الإسلامى ، وعدم الاهتمام بالتاريخ
الإسلامى لن يكون إلا عوناً لانتشار المذاهب الهدامة المخربة بين الشباب
الثقف الذى - باتباع هذه السياسة التعليمية الخطيرة - سيتجرد
بالتدريج من كل وازع دينى أو حافز خلقى ، وهذا لن تكون له نتيجة
فى البلاد الإسلامية إلا القلاقل والفتن التى لا ثمرة لها إلا الكوارث
والنكبات التى كادت أن تكون العلامة الفارقة كما هو الواقع المشاهد .

فما يعيشه العالم العربي اليوم من قلق واضطراب ، لا سبب له إلا
الانحراف بالشباب - في مراحل التربية والتعليم - عن الطريق المستقيم
الذي رسمه الإسلام ودعا أمته إلى السير عليه في جميع مراحل حياتها .
وإني هنا أقسم بالله ثلاثاً ، غير حائث ولا آثم - أن الأمة الإسلامية
(سواء كانت عربية أو غير عربية) لن تذوق الاستقرار طعماً ولن
تعرف للهدوء والطمأنينة معنى إذا لم ترجع إلى الإسلام وتمسك به
ديناً ودولة وخلقاً ومعاملة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به
أولها .. والله حسبنا ونعم الوكيل .





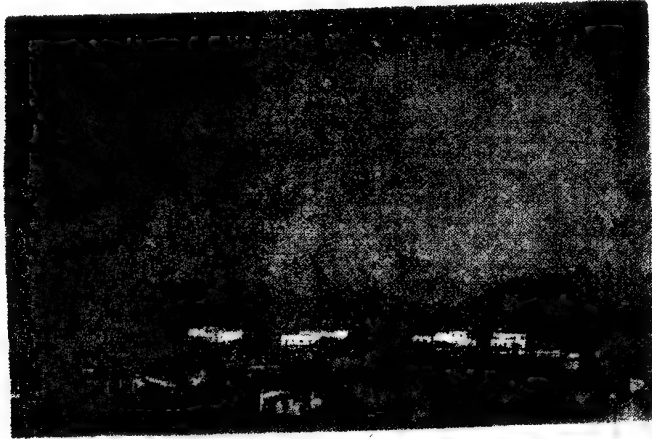
العدوة الدنيا ، وهى الممر بين الجبلين المشار إليه بالسهم ، وهذه العدوة هى التى سلكها الرسول ﷺ فى طريقه إلى بدر ، والتى عنها الله تعالى بقوله ﷻ إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم (أى المشركين) بالعدوة القصوى والركب (أى العير التى نجا بها أبو سفيان) أسفل منكم .



العدوة القصوى ، وهى الكثيب الذى بين الجبلين المشار إليه بالسهم ، وهذا الكثيب هو الذى سلكه المشركون يخيشهم فى طريقهم إلى بدر ، والذى لما راهم الرسول ﷺ ينخدرون منه قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك ، اللهم نصرك الذى وعدتنى اللهم أحنهم الغداة . ومن الجدير بالذكر أن المسافة بين العدوتين حوالى خمسة كيلو مترات كما أن المساحة التى دارت فيها المعركة تقدر بميل مربع .



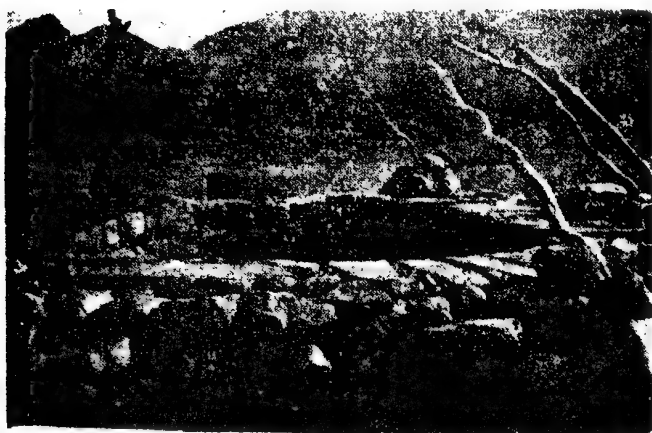
منظر آخر لجانب من قرية بدر اليوم وفي هذا المكان بالذات دارت المعركة حوالى مقر قيادة الرسول المبني اليوم مكانه مسجد كما هو واضح في الصورة ، وقد قام ببناء هذا المسجد السيد حسن الشريتلى ، كما ظهرت في هذه الصورة سلسلة الجبال التى توارى خلفها أبو سفيان بعير قريش هاربا ، والتى عناها الله تعالى بقوله ﴿والركب أسفل منكم﴾ لأن هذه السلسلة تقع أسفل العدو الدنيا التى كان بها المسلمون ، وقد ظهر الجبل الذى يقال أن الملائكة نزلت عليه يوم بدر لتقوية روح المسلمين المعنوية ، وقد رسمنا لهذا الجبل بسهم كما يراه القارئ . ومن الجدير بالذكر أن النخيل والمنازل المشاهدة في الصورة هى حادثة بعد المعركة بعدة قرون .



منظر عام لقرية بدر اليوم، وقد ظهر فيه الجبل الواقع غربى العدو الدنيا والعرصة التى سلكها الرسول في طريقه من العدو الدنيا إلى مكان المعركة الواضح في المنظر الآخر لجانب من قرية بدر ، كما ظهر في هذا المنظر طريق السيارات المعبد المؤدى إلى المدينة من مكة .



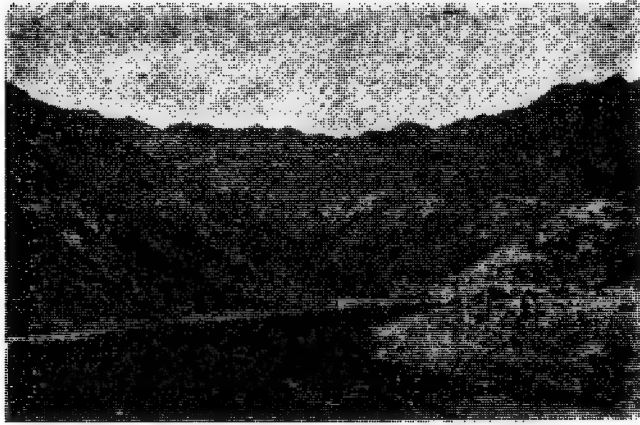
فج الروحاء الذى سلكه الرسول بجيشه فى طريقه إلى بدر .



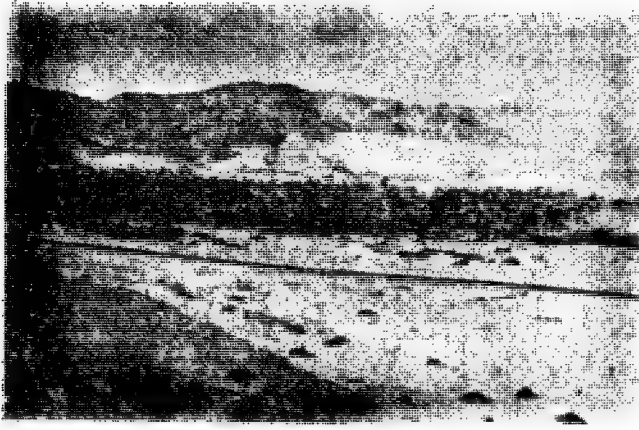
بئر الروحاء الذى استراح عندها الرسول ﷺ ثم غادرها منحرفاً إلى فج النازية تاركا طريق مكة يسار يريد بدرأ



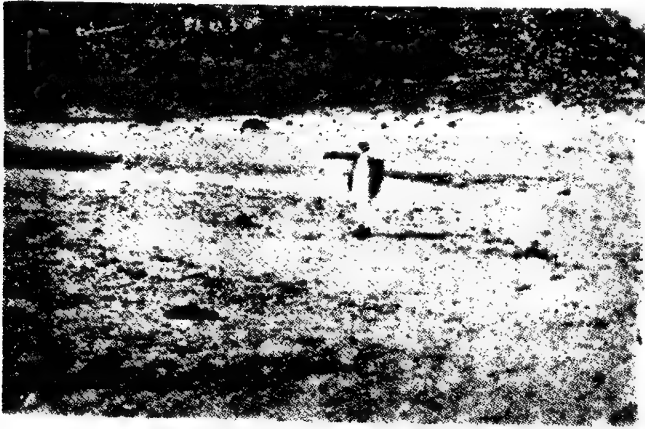
فج النازية الذى سلكه الرسول ﷺ بجيشه عندما غير خط سيره بعد أن استراح عند
بئر الروحاء وترك الطريق الرئيسى المؤدى إلى مكة نيسار .



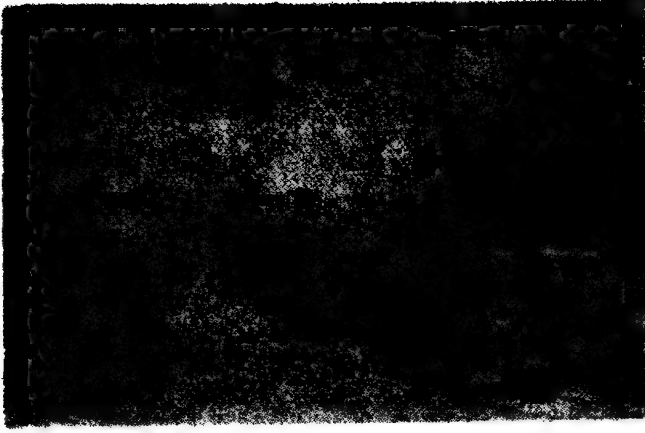
مضيق الصفراء المشهور الذى انصب منه الرسول ﷺ بجيشه إلى وادى الصفراء بعد
أن قطع وادى النازية ثم وحقان يريد بدرأ . وقد ظهر فيه طريق السيارات المعبد المؤدى من
مكة إلى المدينة .



منظر آخر لجانب من النخيل الواقع في الطرف الجنوبي لقرية بدر . وقد ظهر أيضا في هذه الصورة جانب من المكان الذى دارت فيه المعركة والذي يقوم عليه اليوم جانب من هذا النخيل الذى لم يكن موجودا قبل معركة بدر . كما ظهر أيضا في الصورة جانب من سلسلة الجبال الغربية التى توارى خلفها ركب أى سفيان عندما هرب بالعرير لئلا تقع في قبضة جيش المدينة .



عرق الظبية المشهور الذى يقال أن الرسول ﷺ أمر عنده بضرب عنق مجرم الحرب الثانى (عقبة بن أبى معيط الأموى) وقد أشار الرجل الواقف بأصبعه إلى المكان الذى يقال أنه الموضع بالذات الذى ضربت فيه عنق ابن أبى معيط .. ومن الغريب أنه قد أقيم - منذ العصور السحيقة - قبر في هذا المكان ظل عرب البادية المحيطين به يقصدونه للتبرك حتى جاء العهد السعودى فهدم هذا القبر وأزيلت معالمه .



وادی الصفراء المشهور الذى سلكه الرسول ﷺ بجيشه إلى بدر ، وهو الوادى الذى أمر فيه بضرب عتق مجرم الحرب (النضر بن الحارث العبدري) فى رجوعه منتصراً من بدر ، ومن هذا الوادى انحرف بجيشه ذات اليمين تاركاً هذا الوادى وطريق مكة الرئيسى يساراً سالكاً - فى خروجه إلى بدر - وادى ذفران الذى عقد عند خروجه منه مجلسه العسكرى المشهور قبل أن يصل بدراً عندما بلغه زحف جيش مكة لإنقاذ العير .



الفج المؤدى إلى وادى ذفران ، وهو الفج الذى اتجه إليه الرسول بجيشه بعد أن قطع وادى الصفراء وتركه عن يساره ليختصر الطريق إلى بدر عن طريق وادى ذفران الواقع غربى وادى الصفراء .

الفهارس

أهم مراجع هذا الكتاب

اسم المؤلف	اسم الكتاب
ابن كثير	تفسير ابن كثير
محمد بن عل الشوكاني	فتح القدير (تفسير)
سيد قطب	في ظلال القرآن (تفسير)
الزمخشري	الكشاف
البناري	مصحح البخاري
محام	مصحح مسلم
ابن القيم	زاد الماد
الدكتور جواد علي	تاريخ العرب قبل الإسلام
محمد بن إسحاق	سيرة ابن هشام
أبو الفرج الأصبهاني	الأغان
أبو حيان التوحيدي	الصداقة والصديق
أحمد بن علي القلقشندي	صبح الأعشى
ابن قدامة	المغني في الفقه
ملاء الدين الرادوي	الإبصار في معرفة الراجع من الخلاف
منصور بن يونس البهوتي	كشف القناع
محمد قطب	شبهات حول الإسلام
محمد بن محمد بن سليمان	جمع الفوائد
الشيخ مصطفى السيوطي الرحبياني	غاية المنتهى
محمد بن جرير الطبري	الطبري (تاريخ)
الدكتور سموحي فوق الماد	القانون الدول العام
الدكتور مونتجمري وات	محمد في ورجل دولة
عباس محمود العقاد	حقائق الإسلام وأباطيل خصومه
عباس محمود العقاد	ما يقال عن الإسلام
السيد سابق	فقه السنة
أقواء الركن محمود شيت خطاب	الرسول الفائده

اسم الكتاب

اسم المؤلف

الأدب المفرد	البخارى
تفسير الإمام محمد عبده	السيد وشيد رضا
حياة محمد ورسالة	مولانا محمد حل
السيرة الحلبية	ابن برهان الدين
فقه السيرة	محمد النزال
سبط النجوم الدوال	عبد الملك بن حسين المصاوى
البداية والنهاية	إسماعيل بن كثير
الكامل في التاريخ	محمد بن الأثير
جوامع السيرة	حل بن حزم
آثار المدينة	عبد القدوس الأنصارى
وفاء الوفاء	حل بن أحمد السهمودى
دائرة معارف القرن الرابع عشر - العشرين	محمد فريد وحدى
لسان العرب	أبن منظور الأفرى المصرى
نيل الأوطار	محمد بن حل الشوكانى
مجلة الحج العدد (١٢) السنة (١٨)	عفيف عبد الفتاح طيارة
اليهود في القرآن	أبن سعد
الطبقات الكبرى	ياقوت الحوى
معجم البلدان	صلى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع	عمر رضا كحالة
معجم النساء	خير الدين الزركلى
الأعلام	أبو تمام الطائى
ديوان الحماسة	جورجى زيدان
العرب قبل الإسلام	تومان كارليل
الأبطال	جوستاف لوبون
حضارة العرب	الشهيد عبد القادر عودة
التشريع الحنفى في الإسلام	أبن حجر العسقلانى
الاصابة	أبن عبد البر
الإستيعاب	محمد ابو الفضل - حل النجاوى
أيام العرب في الإسلام	السجيل
الروض الأنف	القلقشندى
نهاية الأرب	

اسم الكتاب

مجزاة محمد رسول الله

قصص الأنبياء

قاريخ ابن خلدون

مروج الذهب

معجم قبائل العرب

معجم البكري

اسم المؤلف

عبد العزيز الثعالبي

عبد الوهاب النجار

عبد الرحمن بن خلدون

المحمودي

عمر رضا كحالة

البكري

فهرس الأعلام

(١)

- أبو إدريس الخولاني ٦٥ .
 أبو أسيد بن ربيعة ٢٠١ .
 أبو أيوب الأنصاري (خالد بن زيد بن كليب) ٦١ .
 أبو البحري بن هشام (العاص بن هشام) ٤٢ - ٤٣ - ٧١ - ٧٢ - ١٣١ - ١٤١ -
 ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٩ - ١٧٨ .
 أبو بردة بن نيار ٦٠ .
 أبو بكر الصديق (عتيق بن عثمان بن عامر) ١٨٥ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٦٥ - ٧٦ - ٧٧ -
 ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٤ - ٨٧ - ١٠٤ - ١٥٩ - ١٦٤ - ١٦٩ - ١٧٩ -
 ١٩٠ - ١٩٢ - ٢٢٢ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ .
 أبو ثور ١٨٦ .
 أبو جهل بن هشام ٣٩ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٨ - ٦١ - ٧١ - ٧٢ - ٧٤ - ٨٠ -
 ١١٣ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٤١ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ -
 ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢ - ١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٧١ -
 ١٨٠ - ٢٠٩ - ٢٣١ .
 أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ١٤٧ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٩٠ .
 أبو حمضة (معبد بن عباد) ٢٠٠ .
 أبو خنثة (ثابت بن النعمان) ١٩٨ .
 أبو خازجة (عمرو بن قيس بن مالك) ٢٠٧ .
 أبو خالد (الحارث بن قيس بن خالد) ٢٠٤ .
 أبو خزيمه بن أوس بن زيد ٢٠٦ .
 أبو دجنانة (مهاك بن أوس بن خروشة) ٢٠١ .
 أبو دجنانة (عبد الله بن بليمة العجلاني) ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ .
 أبو الدرداء ١٠٢ .
 أبو ذر الغفاري ٢١ .
 أبو رافع (غلام أمية بن خاف) ١٨٨ .
 أبو رافع (مول رسول الله) ٢٢٩ - ٢٣٠ .
 أبو وداعة بن ضبيرة ١٨٧ .

- أبو رهم بن عبد الله ١٨٨ .
 أبو زيد قيس بن سكن ١١٥ .
 أبو سفيان بن الحارث ٢٢٩ .
 ١١٩ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٧٤ - ٢٣١ -
 أبو سلمة بن عبد الأسد ١٩٣ .
 أبو سمر بن حجر الكلثي ١٣٦ .
 أبو سنان محسن بن حرثان ١٩١ .
 أبو ضياع بن ثابت ١٩٨ .
 أبو طالب ٢٧ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٧ - ٣٨ - ١٥٧ .
 أبو طلحة زيد بن سهل ٦٢ - ٢٠٧ .
 أبو العاصم بن قيس ١٨٢ .
 أبو عبادة (سعد بن عثمان بن خلدة) ٢٠٤ .
 أبو عبيدة بن الجراح (عامر بن عبد الله بن الجراح) ٨ - ٦٥ - ١١٩ - ١٧٩ - ١٩٤ .
 أبو العريض يسار ١٨٦ .
 أبو عزيز بن عمير ١٧٠ - ١٨٦ - ٢٢٤ .
 أبو عقيل بن عبد الله ١٩٨ .
 أبو عتب بن جبر ١٩٦ .
 أبو لبابة (رفاعة بن عبد المنذر) ٦٠ - ٦٧ - ١٢٢ - ١٧٥ - ١٩٧ - ٢٢٢ .
 أبو لحب (عبد المزي بن عبد المطلب) ٣٤ - ٣٩ - ١٢٩ - ١٥٥ - ٢٢٩ - ٢٣٠ .
 أبو لؤلؤة فيروز الفارسي ١٦٤ .
 أبو ماسنغ الأشعري ١٨١ .
 أبو المنذر بن أبي رفاعة ١٨٧ .
 أبو الميم بن التيهان ٥٣ - ٦٠ - ١٩٥ .
 أبي بن كعب بن قيس ١٩٠ - ٢٠٧ .
 ١٤٨ .
 أسامة بن زيد ٢٢٣ .
 أسد بن يزيد بن الفاكهة ٢٠٤ .
 أسماء بنت أبي بكر ٧٧ - ٨٠ - ٨٤ - ٨٥ .
 أسماء بنت عمرو (أم ميثم) ٥١ - ٥٥ - ٦٦ .
 الأسود بن عامر ١٨٦ .
 الأسود بن عبد الأسد المخزومي ١٥٤ - ١٥٥ .
 الأسود بن المطلب ٢٣٢ .
 آسيا (بنت عمران) ٢١٨ .
 أسيد بن الحضير ٦٠ - ٦٧ - ١٢٢ - ٢٢١ .
 الأشتر النخعي ١٠١ .
 أم سلمة بنت أبي أمية ٤٢ .

أم الفضل (لياقة بنت الحارث المملانية) ٢٣٠ - ٢٢٤ .

أم كلثوم بنت محمد ٢٢ - ٢٢٥ .

أمية بن أبي حذيفة ١٨٧ .

أمية بن خلف ٧١ - ١٣١ - ١٤١ - ١٧٩ - ١٨٣ - ٢٢١ .

أنس بن ماذ بن أنس ٢٠٧ .

أنسة الحبشي (مولد وحول الله) ١٨٩ .

أنيس بن قتادة ١٩٧ .

أنطونيوس ٢٣ .

أوس بن غول بن عبد الله ٢٠٠ .

أوس بن ثابت بن المنذر ٥٨ - ٢٠٧ .

أوس بن ميمر بن لؤذان ١٨٢ .

أوس بن الصامت ٢٠١ .

أياس بن البكير ١٩٢ .

أوى بن يعقوب ١٠١ .

أيما بن رخصة ١١٧ .

(ب)

الجناري ١٠٢ - ١٥٨ .

بجير بن أبي بغير ٢٠٨ .

البراء بن عمرو ٥٢ - ٦٢ - ٦٦ .

بدر بن قريش ٢٥ .

بشير بن سعد بن ثعلبة ٦٢ - ١٩٩ .

بشر بن البراء بن عمرو ٦٣ - ٢٠٢ .

بكر بن عبد مائة بن كنانة ١٢٩ .

بسبب بن عمرو الجهمي ١٢٧ - ٢٠٢ .

البيهقي ٩٢ .

البيهي (الإمام) .

بلال بن رباح ١٩٢ - ٢٢٦ .

(ت)

تميم بن يعار بن قيس ١٩٩ .

تميم بن عمرو ١٨٥ .

تميم (مولد خراش بن الصمة) ٢٠٢ .

تميم (مولد بني غنم) ١٩٨ .

(ث)

ثابت بن الجذع ٦٤ - ١٧٨ .

ثابت بن ثعلبة ٢٠٢ .

ثابت بن غنساء بن عمرو ٢٠٧ .

ثابت بن خالد بن النعمان ٢٠٦ .

ثابت بن هزال ٢٠١ .

ثابت بن عمرو بن زيد ٢٠٦ .

ثعلبة بن عمرو بن حصن ٢٠٦ .

ثعلبة بن حاطب ١٩٧ .

ثعوف بن عمرو ١٩١ .

ثعلبة بن غنمة بن عدي ٦٤ - ٢٠٤ .

ثورة بن يزيد ١٦٢ .

ثورية مولاة أبي لهب ١٥٥ .

(ج)

جابر بن سليمان ١٨٢ .

جابر أبو بزدة بن نيار ١٨٢ .

جابر بن عبد الله بن رئاب ١٨ - ٦١ - ٢٠٢ .

جابر بن سويل بن عبد الأشهل ٢٠٨ .

جبار بن صغر ٦٣ .

جان دارك ٢٣ .

جبير بن إياس بن خالد ٢٠٤ .

جبر بن عتيك ١٩٨ .

جرجن ملك الروم ٢١ .

جبير بن مطعم ٥٩ - ٧١ .

(ح)

- حاجب بن السائب ١٨١ .
 الحارث بن الأسود ٢٣٢ .
 الحارث بن أبيه ٥٩ .
 الحارث بن حاطب ١٩٧ .
 الحارث بن خزنة ١٩٥ .
 الحارث بن الصمة ٢٠٧ .
 الحارث بن عامر ٧٠ - ١٧٨ .
 الحارث بن قيس بن خالد ٦٣ .
 الحارث بن النعمان ١٩٨ .
 حارثة بن النعمان بن زيد ٢٠٦ .
 حاطب بن عمرو ١٩٤ .
 الحجاب بن المنذر الأنصاري ١٤٢ - ١٥١ - ٢٠٢ .
 حبيب بن أسود ٢٠٢ .
 الحجاج بن قيس ١٨٧ .
 حذيفة بن أبي حذيفة ١٨٢ .
 الحرث بن سويد ١٦٦ .
 حريث بن زيد بن ثعلبة ١٩٩ .
 الحسين بن الحارث ١٨٣ - ١٩٠ .
 حكيم بن حزام ٣٩ - ٧١ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٩ - ٢٢٢ .
 حلبة السعدية ٢٢٩ .
 حمزة بن عبد المطلب ٢٨ - ١١٣ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٦ - ١٧٠ - ١٧٨ - ١٨٢ - ١٨٩ .
 حنظلة بن أبي سفيان ١٧٧ - ٢٣١ .
 الحويرث بن عباد ١٨٦ .
 حي بن أخطب ١٠١ - ١٠١ .
- الحارث بن أبي وجرة ١٨٥ .
 الحارث بن أنس ١٩٥ .
 الحارث بن أوس ١٩٥ .
 الحارث بن الحصري ١٧٧ .
 الحارث بن زمة ١٧٨ .
 الحارث بن ظالم بن عبس ٢٠٧ .
 الحارث بن عرقبة ١٩٨ .
 الحارث بن منبه ١٨٢ .
 حارثة بن سراقه بن الحارث ١٧٦ - ٢٠٧ .
 حاطب بن أبي بلتعة ١٩١ .
- حبيب بن جابر ١٨٨ .
 الحجاج بن يوسف ٢١ - ٨١ .
 حرام بن ملحان ٢٠٨ .
 حرمة بن عمرو ١٨١ .
 الحسن بن علي بن أبي طالب ١٨ .
 الحسين بن سلام ١٠٣ .
 حكمة بن حزام ٣٩ - ٧١ - ١٤٥ - ١٤٧ - ١٤٩ - ٢٢٢ .
 حلبة السعدية ٢٢٩ .
 حمزة بن عبد المطلب ٢٨ - ١١٣ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٦ - ١٧٠ - ١٧٨ - ١٨٢ - ١٨٩ .
 حنظلة بن أبي سفيان ١٧٧ - ٢٣١ .
 الحويرث بن عباد ١٨٦ .
 حي بن أخطب ١٠١ - ١٠١ .

(خ)

- خارجة بن حمير ٢٠٣ .
 خالد بن أسيد ١٨٦ .
 خالد بن البكير ١٨٣ - ١٩٢ .
 خالد بن سعيد ٢٢٩ .
 خالد بن قيس بن مالك ٦٢ - ٢٠٥ .
 خالد بن الوليد ٢١ - ٢١ - ١٧٧ - ١٨١ - ١٨٧ - ٢٣٢ .
 خباب بن الأرت ١٩٢ .
 خبيب بن أناف ١٧٨ - ١٩٩ .
 خارجة بن زيد ٦٢ - ١٨١ - ١٩٩ .
 خالد بن الأعم ١٨٧ .
 خالد بن زيد بن كليب ٢٠٦ .
 خالد بن عمرو بن عدى ٦٤ .
 خالد بن هشام بن المنيرة ١٨٧ .
 خباب (مول عتبة بن لحران) ١٩١ .
 خديج بن سلامة ٦٥ .

- خديجة بنت خويلد (أم المؤمنين) ٢٩ - ١٤٥ - ١٧٨ - ٢١٨ - ٢٢٢ - ٢٢٥ .
 خراش بن الصمة ٢٠٢ .
 خلاد بن سويد بن ثعلبة ٦٢ - ١٩٩ .
 خلاد بن عمرو ٢٠٢ .
 خليفة بن عيسى ٢٠٣ .
 خليفة بن طلي بن عمرو ٢٠٥ .
 خوات بن جبير ١٩٨ .
 خيال ١٨٢ .

(٥)

الدارقطني ١٧٠ .

(٥)

- ذكوان بن عبد قيس بن مخلدة ٦٣ - ٢٠٤ .
 ذكوان بن قيس ٤٨ .
 ذو النبالين بن عبد عمرو ١٧٤ - ١٧٦ .
 ذو النبالين بن عمرو بن فضالة ١٩٢ .

(ر)

- رائع بن الحارث ٢٠٦ .
 رائع بن حنيفة ١٩٧ .
 رائع بن رافع ١٩٧ .
 ربيع بن رافع ١٩٧ .
 ربيعة بن أكثم ١٩١ .
 ربيعة بن عمرو (أبو الأسود) ٧٢ .
 ربيعة بن رافع بن المجلان ٢٠٥ .
 ربيعة بن رافع بن عبد المنذر ٦٠ - ٦٧ - ١٩٧ .
 ربيعة بن رافع بن عمرو بن المجلان ٢٠٥ .
 ربيعة بن رافع بن عمرو بن زيد ٦٥ - ٢٠٠ .
 ربيعة بن رافع بن عمرو بن زيد ٦٥ - ٢٠٠ .
 ربيعة بن رافع بن عمرو بن زيد ٦٥ - ٢٠٠ .
 ربيعة بن رافع بن عمرو بن زيد ٦٥ - ٢٠٠ .

(ز)

- الزبير بن بكار ٢٥ - ٤٨ .
 الزبير بن العوام ١٩ - ٦٩ - ٨٤ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٤٠ - ١٧٨ - ١٨١ - ١٩١ .
 زمة بن الأسود ٤٢ - ٤٣ - ٧١ - ١٧٨ - ٢٢٢ - ٢٢٣ .
 زهير بن أبي سلمى ٧٢ .
 زهير بن أبي رفاع ١٨٢ .
 زياد بن عمرو ٢٠٢ .
 زيد بن أسلم ١٩٧ .
 زيد بن حارثة ١٨٩ - ١٩٠ - ٢١٦ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ .
 زيد بن الخطاب ١٩١ - ١٩٣ .
 زيد بن المزين بن قيس ٢٠٠ .
 زيد بن ربيعة بن عمرو ٢٠٠ .
 زينب (بنت الرسول) ٤٠ - ١٨٥ - ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(س)

- السائب بن أبي حبيش ١٨٦ .
 السائب بن أبي السائب ١٨١ .
 السائب بن عثمان بن مظعون ١٩٤ .
 سالم بن شاخ ١٨٦ .
 سالم مول أبي حذيفة ١٩٠ .
 سائت مارية ٢٣ .
 سبيع بن قيس ١٩٩ .
 سراقه بن كعب ٢٠٦ .
 سراقه بن مالك بن جشم ٨٦ - ٨٧ - ١٢٩ .
 سعد بن أبي وقاص ١١٣ - ١٤٠ - ١٧٤ - ١٨٢ - ١٨٢ - ١٩٢ .
 سعد بن خولة ١٩٤ .
 سعد بن خيشمة ٦٠ - ٦٧ - ١٧٥ - ١٧٥ - ١٩٨ .
 سعد بن الزابيع د - ٨ - ٦٢ - ٦٦ - ٩٦ - ١٨١ - ١٩٩ .
 سعد بن زيد ١٢٤ .
 سعد بن عبادة ٥٩ - ٦٦ - ٦٧ .
 سعد الكلابي ١٩٢ .
 سعد بن معاذ ٤٩ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٣٨ - ١٥١ - ١٥١ - ١٥٤ - ١٩٥ .
 سعيد بن زيد ١١٩ - ١٩٣ - ١٩٥ - ١٩٥ .
 سعيد بن الناصر .
 سفيان بن الحارث ٢٢٩ .
 سلمان الفارسي ١٠٢ .
 سلمة بن ثابت ١٩٥ .
 سليط بن قيس بن عمرو ٢٠٧ .
 سليم بن الحارث ٢٠٨ .
 سليم بن قيس ٢٠ .
 سمالك بن سعد بن ثعلبة ١٩٩ .
 سنان بن صبيح بن غنبل ٢٠٣ .
 سهل بن حنيف ١٩٦ .
 سهل بن عمرو ٨٩ .
 سهيل بن رافع ٢٠٦ .
 سهيل بن عمرو ٨٩ - ١٣١ - ١٤١ - ١٨٨ - ٢٢٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ .
 سهيل بن وهب ١٩٤ .
 سواد بن زريق ٢٠٣ .
 سويد بن الصامت ١٦٦ .
 السائب بن أبي رفاع ١٨٢ .
 السائب بن عبيد ١٨٥ .
 السائب بن مالك ١٨٨ .
 سالم بن عمير ١٩٨ .
 سام بن قوح ١١٧ .
 سبرة بن مالك ١٨٣ .
 سراقه بن عمرو ٢٠٨ .
 سعد بن سويل ٢٠٨ .
 سعد بن عبيد ١٩٧ .
 سعد بن ليث ١٧٤ .
 سفيان بن بشر ١٩٩ .
 سلام بن مشكم ١٠١ .
 سلمة بن أسلم ١٩٥ .
 سلمة بن سلامة ٦٠ - ١٩٥ - ٢٢٠ .
 سليمان بن خالد بن الوليد ١٦١ .
 سليم بن عمرو بن حذيفة ٦٤ - ٢٠٤ .
 سليم بن ملحان ٢٠٧ .
 سنان بن أبي سنان ١٩١ .
 سنان بن صبيح بن صخر ٦٣ .
 سهل بن عتيك ٦٢ - ٢٠٦ .
 سهل بن قيس ٢٠٤ .
 السهيل ٧٦ .
 سواد بن غزوة ١٥٣ - ٢٠٧ .
 سويط بن سعد بن حرملة ١٩٢ .

(ر سن)

- شاس بن قيس . ١٠٤ .
 شجاع بن وهب . ١٩١ .
 شاس بن عثمان . ١٩٣ .
 شيبة بن ربيعة ٧١ - ١٣١ - ١٤١ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٤ - ١٧٧ .

(ص)

- صفوان بن أدية ١٢٩ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٤٤ - ٢٤٥ .
 صفوان بن وهب . ١٩٤ .
 صفية بنت عبد المطلب ١٤٠ .
 صفية بنت حيي ١٠١ .
 صهيب بن سنان (الروي) ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٢ - ١٩٢ - ٢٣٦ .
 صهيب بن أبي وقاعة ١٨٧ .
 صهيب بن سواد بن عباد ٦٤ .

(ض)

- الضحاك بن حارثة بن زيد ٦٣ - ٢٠٣ .
 الضحاك بن عمرو بن مسعود ٢٠٨ .
 ضمرة بن بكر بن كنانة ١١٤ .
 ضمضم بن عمرو الغفاري ١٢٨ .

(ط)

- طلحة بن عدي ٧١ - ١٧٥ - ١٧٨ .
 الطفيل بن الحارث ١٩٠ .
 الطفيل بن مالك بن خنساء ٦٣ - ٢٠٣ .
 الطفيل بن النعمان بن خنساء ٦٣ - ٢٠٣ .
 طلحة بن عبيد الله ١٩ - ٨٢ - ١١٩ - ١٢٤ - ١٨٠ - ١٩٢ - ١٩٥ .
 طليحة بن خويلد ١٨٣ .

(ظ)

- ظهير بن رافع بن عدي ٦٠ .

(ع)

- عائذ بن السائب بن عويمر ١٨٢ .
 عائشة بنت أبي بكر ١٩ - ٧٧ - ١١٩ - ١٢٢ - ١٧١ - ٢١٨ .
 العاص بن سعيد بن العاص ١٧٨ .
 العاص بن هشام ١٧٨ - ٢٢٢ .
 عاصم بن ضبيرة ١٨٢ .
 عاتل بن البكير ١٧٤ - ١٩٣ .
 عامر بن البكير ١٩٣ - ٢٠٠ .
 عاذ بن ماعص بن قيس ٢٠٥ .
 عامر بن ثابت ١٧٨ - ١٩٦ - ٢١٨ .
 عامر بن عدي ١٩٧ .
 عامر بن أمية ٢٠١ .
 عامر بن الحضير ١٧٧ .

- عامر بن سلمة بن عامر ٢٠٠ .
 عامر بن عوف بن خبيزة ١٨٢ .
 عامر بن لؤي ١٢٩ .
 عباد بن بشر بن وقش ١٢٢ - ١٩٥ .
 عباد بن قيس بن عيشة ١٩٩ .
 عبادة بن الصامت ٦٥ - ٦٧ - ٢٠١ .
 العباس بن عبادة ٥٤ - ٥٧ - ٦٥ .
 العباس بن عبد المطلب ٥٢ - ٥٢ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٦٤ - ١٨١ - ١٨٤ - ٢٢٤ - ٢٢٦ - ٢٢٣ - ٢٢٤ .
 عبد الله بن أبي بكر ٨٢ - ٨٢ - ١٠١ - ١٦٢ .
 عبد الله بن أبي خلف ١٨٧ .
 عبد الله بن أرقط ٧٧ .
 عبد الله بن أنيس ٦٤ .
 عبد الله بن جبير ٦١ - ١٩٧ .
 عبد الله بن جحش ١١٢ - ١١٥ - ١١٥ - ١٤٥ - ١٤٩ - ١٩١ .
 عبد الله بن الجعد ٢٠٣ .
 عبد الله بن حميد ١٨٦ .
 عبد الله بن ربيع ٢٠٠ .
 عبد الله بن ربيعة ٦٢ - ٦٦ - ١٦٠ - ١٩٩ - ٢١٦ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٥ .
 عبد الله بن الزبير ٢٠ - ٢١ - ٨٤ .
 عبد الله بن سراقه ١٩٢ .
 عبد الله بن سلام ١٠٢ - ١٠٣ .
 عبد الله بن سهل ١٩٦ .
 عبد الله بن طارق الباري ١٩٦ .
 عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول ٢٠٠ .
 عبد الله بن عبد مناف ٢٠٣ .
 عبد الله بن عمرو بن حرام ٤٦ - ٦٤ - ٦٧ - ٢٠٢ .
 عبد الله بن عمر ٢٠٠ .
 عبد الله بن قيس بن خالد ٢٠٦ .
 عبد الله بن كعب ٢٠٨ .
 عبد الله بن مخزومة ١٩٤ .
 عبد الله بن مسعود ١٠٢ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٨٠ - ١٩٢ .
 عبد الله بن مظعون ١٩٤ .
 عبد الله بن النضر ١٨٢ .
 عبد الله بن النعمان ٢٠٤ .
 عبد الله بن زهبة بن قيس ١٨٨ .
 عبد الرحمن بن أبي بكر ٨ - ١٩٩ .
 عبد الرحمن بن عوف ٨ - ٩٢ - ٩٦ - ١٨٢ - ١٩٢ .

عبد الرحمن بن المالحم ١٢٣ .
عبد الله المقدسي ٨٤ .
عبد الملك بن مروان ٢١ .
عبد الله بن أم الفضل ٢٣٤ .
عبد بن أوس بن مالك ١٩٦ .
عبد بن زيد بن عامر ٢٠٥ .
عبد بن مالك بن عمرو ٢٠٥ .
عبدة بن الحارث ١١٣ - ١٥٦ - ١٥٦ - ١٧٠ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٩٠ .
عبدة بن سعيد بن العاص ١٧٨ .
عتبة (حليف لبني هاشم) ١٨٥ .
عتبة بن ربيعة ٢٥ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٧ - ٤٨ - ٧١ - ١٢١ - ١٤١ - ١٤٥ -
١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٠ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٤ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٤ -
١٧٧ .
عتبة بن ربيعة بن خالد بن معاوية ٢٠١ .
عتبة بن عمر بن جحدم ١٨٩ .
عثمان بن عبد الله ١٨٧ .
عثمان بن عفان ١٨ - ١٨ - ٢١ - ٢٤ - ٤٨ - ٦٩ - ٨٦ - ١٠١ - ١٢٤ - ١٤٠ - ١٦٣ -
١٦٧ - ١٧٧ - ١٩٠ - ١٩٥ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٩ - ٢٣٠ .
عثمان بن مالك بن عبيد الله ١٨٠ .
عدي بن أبي الزغباء ١٢٧ .
عدي بن الزغباء ٢٠٦ .
عصبة بن الحسين بن وبرة ٢٠٥ .
عالية بن نورية بن عامر ٢٠٥ .
عقبة بن زيد ١٧٨ .
عقبة بن عبد الحارث ١٨٦ .
عقبة بن عمرو بن ثعلبة ٦٢ .
عقبة بن وهب بن كلفة ٦٥ - ٢٠٠ .
عقيل بن الأسود بن المطلب ١٧٨ - ٢٣٢ .
عقيل (حليف بني عبد الدار) ١٨٦ .
عكرمة بن أبي جهل ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٦ - ٢١٨ - ٢٣١ .
عل بن أبي طالب ٥ - ١٨ - ٢٠ - ٦١ - ٧٥ - ٧٦ - ١٠٣ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٥ -
١٤٠ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٧٠ - ١٧٤ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٨ - ١٨٠ - ١٨١ -
١٨٠ - ٢٨١ - ١٨٩ - ٢٢٥ .
عل بن أمية ٢٣١ .
عمارة بن سحزم بن زيد ٦٢ - ٢٠٦ .

عمرو بن الخطاب ٨ - ٢٠ - ٢١ - ٢٨ - ٤٨ - ٦٠ - ٦٩ - ١٠١ - ١٢٧ - ١٤٢ - ١٥٢ -
 ١٦١ - ١٦٤ - ١٦٤ - ١٦٩ - ١٧٧ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨٤ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٣ -
 ٢٢٣ - ٢٢٣ - ٢٢٥ - ٢٢٧ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٩ - ٢٤٥ -
 عمرو بن أبي خلف ١٨٨ . عمرو بن أبي سرح ١٩٤ .
 عمرو بن أبي سفيان ١٨٥ - ٢٢٤ - ٢٣١ . عمرو بن الأزرق ١٨٦ .
 عمرو بن أسد بن عبد الغزي ٣٩ . عمرو بن إياس ٢٠١ .
 عمرو بن ثعلبة ٢٠٧ . عمرو بن جرهموز ١٤٠ .
 عمرو بن الحارث ٦٥ - ١٩٤ . عمرو بن الحضرمي ١١٥ - ١٤٥ - ١٥٠ .
 عمرو بن الناصر ٢٠ - ٢١ - ٦٥ - ١٨٢ - ٢٤٤ .
 عمرو بن عبد الله بن جدعان ١٨٠ . عمرو بن عوف ٨٨ - ١٠٢ .
 عمرو بن غزية بن عمرو ٦٢ . عمرو بن غنمة بن علي ٦٤ .
 عمرو بن سزاعة ١٩٣ . عمرو بن سفيان ١٨١ .
 عمرو بن طلق ٢٠٤ . عمرو بن معاذ ١٩٥ .
 عمرو بن ميمب ١٩٦ . عمرو بن هشام ٢٣١ .
 عمرو بن ود العامري ١٧٤ . عمير بن أبي عمير ١٧٨ .
 عمير بن أبي وقاص ١٧٤ - ١٩٢ . عمير بن الحارث ٦٤ - ٢٠٢ .
 عمير بن الحمام ١٥٢ - ١٧٦ - ٢٠٢ . عمير بن مالك ٢٠٨ .
 عمير بن عثمان ١٨٠ . عمير بن عوف ١٩٤ .
 عمير (حايف بن مخزوم) ١٨٢ . عمير (مولى بني أسد بن عبد الغزي) ١٧٨ .
 عمير بن هاشم ١٧٩ . عمير بن وهب ١٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٤ .
 عنترة (مولى سليم بن عمرو) ٢٠٤ .
 عوف بن الحارث بن وقاعة ٤٨ - ٦١ - ١٧٦ - ٢٠٦ .
 عوف بن عمرو ١٥٥ . عويم بن ساعدة ٦١ - ١٩٧ .
 عويم بن السائب ١٨١ . عياض بن زهير ١٩٤ .
 عيسى (عليه السلام) ٢٢٦ .

(ف)

فاطمة بنت (الذي) ٤٠ - ١٢٣ - ٢١٨ . فاطمة بنت الوليد ١٩٠ .
 فاطمة بنت يمار ١٩٠ . الفاكية بن بشر بن الفاكية ٢٠٥ .
 الفاكية (مولى أدية بن خلف) ١٨٨ . فروة بن عمرو بن وذقة ٦٢ - ٢٠٥ .
 الفضل بن أم الفضل (لجاجة بنت الحارث) ٢٣٤ .

(ق)

القاسم بن محمد بن عبد الله ٤٠ . قتادة بن النعمان ١٩٦ .
 قتيلة بنت النضر ٢١٧ . قدامة بن مظعون ١٩٤ .
 قريش بن الحارث ٢٥ . قطبة بن عامر بن حديدة ٤٨ - ٢٠٤ .

قيس بن أبي صعصعة ٦٢ - ١٢٣ - ٢٠٨ .
 قيس بن غيلان ١٢٥ .
 قيس بن مخلد بن ثعلبة ٢٠٨ .

قيس أبو الأقالح بن ثعلبة ١٩٦ .
 قيس بن السائب ١٨٧ .
 قيس بن محسن بن خالد ٢٠٤ .

(ك)

كعب بن الأشرف التيهاني ٢٤١ .
 كعب بن زيد بن قيس ٢٠٨ .
 كايوبترا ٢٣١ .
 كنانة بن أبي الحقيق ١٠٦ .

كريستوف كوليس ٢٢ .
 كعب بن حمار ٢٠٢ .
 كعب بن مالك ٦٤ .
 كنان بن حصين ١٨٩ .
 كنانة بن خزيمية ١٢٩ .

(م)

مالك بن أبي خول ١٩٣ .
 مالك بن ربيعة (أبو أسيد) ١٨٢ .
 مالك بن عمرو ١٩١ .
 مالك بن مسعود بن البدي ٢٠٦ .
 مالك بن نويرة ٢١ .
 مجدي بن عمرو الجاهلي ١١٢ - ١٣٢ .
 المجنن بن زياد البلوي ٤٢ - ١٦٦ - ١٦٦ - ١٧٨ - ٢٠١ .
 محرز بن فضالة ١٩١ .
 محمد الفزالي ٩٣ .
 المختار بن أبي عبيد ٨٤ .
 مدليج بن عمرو ١٩١ .
 مريم (بنت عمران) ٢١٨ .
 مسعود بن أبي أمية ١٨١ .
 مسعود بن خلدة ٢٠٤ .
 مسعود بن زيد بن سيم ٦٣ .
 ماسك الأشر النخعي ١٧٧ .
 مالك بن الدخشم ١٨٨ - ٢٠١ - ٢٣٥ .
 مالك بن عبيد الله بن عثمان ١٨٠ .
 مالك بن قدامة ١٩٨ .
 مالك بن نميلة ١٩٨ .
 مبشر بن عبد المنذر ١٧٥ - ١٩٦ .
 المجنن بن زياد البلوي ٤٢ - ١٦٦ - ١٦٦ - ١٧٨ - ٢٠١ .
 محرز بن عامر بن مالك ٢٠٧ .
 محمد بن مسلمة ١٩٥ .
 محمود شيت خطاب ١ - ١٢٨ .
 مخزومة بن نوفل ١٣٣ - ١٤٩ .
 مرثد بن أبي مرثد ١٢٥ - ١٩٠ .
 مسطح (عوف بن أنانة) ١٩٠ .
 مسعود بن أوس بن زيد ٢٠٦ .
 مسعود بن ربيعة ١٩٢ .
 مسعود بن سعد ١٩٦ - ٢٠٥ .
 مصعب بن عمير ٤٩ - ٥٠ - ٦١ - ٦٩ - ١٢٣ - ١٧٠ - ١٨٦ - ١٩٢ - ٢٢٤ .
 المطم بن عدي بن نوفل ٤٢ - ٤٣ .
 معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس ٦٥ - ١٠٢ - ١٩٠ - ٢٠٤ .
 معاذ بن الحارث بن رفاعة ٦١ - ٢٠٦ .
 معاذ بن عمرو بن الجهموح ٦٤ - ١٦٢ - ١٨٠ - ٢٠٢ .
 معاذ بن ماعص ٢٠٥ .
 معاوية بن أبي سفيان ١٨ - ٢٠ - ٢١ - ٦٠ - ٦١ - ١٤٥ - ١٨٤ - ٢٢٣ .
 معاوية بن عامر ١٨٣ .
 معاوية بن قيس بن حنظل ٢٠٣ .

- مقتب بن وهب ١٨٣ .
 مقتب بن هوف ١٩٣ .
 معقل بن المنذر بن خنسان ٢٠٣ .
 معمر بن الحارث ١٩٤ .
 معوذ بن الحارث بن وقاعة ٤٨ - ٦١ - ١٧٦ - ٢٠٦ .
 معوذ بن عفران ١٥٥ - ١٦٢ - ١٦٣ .
 المعيرة بن شعبة ١٦٤ .
 المقاد بن عمرو بن ثعلبة ١٩٢ .
 المقاد بن عمرو الكندي ١٢٢ - ١٣٦ .
 المقوقس (حاكم مصر) ٦٥ .
 منبه بن المجاج ٧١ - ١٣١ - ١٤١ - ١٨٢ .
 المنذر بن عمرو بن خنيس ٦٦ - ٦٧ - ٢٠١ .
 منظر بن محمد ١٩٨ .

مجمع المكي (دول من) ١٥٢ - ١٧٥ - ١٩٣

موسى (عليه السلام) ١٠١ - ١٣٧ .

- الثابتة الليثاني ٧٢ .
 نهبان (دول بني نوفل) ١٨٦ .
 نبيه بن زيد ١٧٩ .
 نهبان بن ثعلبة بن حزمة ٢٠١ .
 نسطاس (مول أدية بن خلف) ١٨٨ .
 نسبية بنت كعب المازنية (أم عمار) ٥١ - ٥٥ - ٦٦ .
 النضر بن الحارث بن عبد ١٩٦ .

النضر بن الحارث بن كلدة ٧١ - ١٧٩ - ٢١٦ - ٢١٩ - ٢٢٠ .

- النهان بن سنان ٢٠٣ .
 النهان بن عمرو بن وقاعة ٢٠٦ .
 النهان بن عمرو بن سمود ٢٠٨ .
 النهان بن مالك الفوقلي ١٨١ - ١٨٢ .
 النهان بن الهيثم ٦٠ .
 نوح (عليه السلام) .
 نوفل بن الحرث ٢٣٣ .
 نوفل بن عبد الله ٢٠٠ .

(ه)

- هالة بنت خويلد ٢٣٤ .
 هارون بن عمران ١٠١ .
 هشام بن عمرو بن ربيعة العامري ٤٢ .
 هند بنت أبي سفيان ٢٣٧ .

- هاني بن تيار البلوي ١٩٦ .
 هشام بن أبي حنيفة ١٨٢ .
 هلال بن المثل بن لؤذان ٢٠٥ .

(ز)

- واثق بن عبد الله ١٩٣ .
 وحشى ١٥٥ .
 ورقة بن إباص ٢٠١ .
 ولنجتون ٢٣ .
 الوليد بن عتبة بن ربيعة ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٤ - ١٧٧ .
 الوليد بن المغيرة ٢٩ - ٢٩ .
 الوليد بن الوليد بن المغيرة ١٨٧ - ٢٢٤ - ٢٣٢ .
 وهب بن سعد ١٩٤ .
 وهب بن عمير ١٨٨ - ٢٤٥ .

(ي)

- ياسر بن حبي بن أنطط ١٠١ - ١٠٢ .
 يزيد بن ثعلبة ٦٥ .
 يزيد بن حديد ٢٠٤ .
 يزيد بن رقيش ١٨١ .
 يزيد بن عبد الله ١٨٠ .
 يزيد بن المنذر بن سرح ٦٣ - ٢٠٣ .
 يرب بن قانية ١١٧ .
 يزيد بن الحارث ١٧٦ - ١٩٩ .
 يزيد بن حرام بن سبيع ٦٣ .
 يزيد بن عامر بن حديد ٦٣ .
 يزيد بن مارية ١٩ - ٢١ - ٦١ - ١٩٤ .
 يوسف (عليه السلام) ١٠٢ - ١٨٨ .

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة

٥	مقدمة الطبعة الثالثة :
١٥	بقلم الزاء الركن محمود شيت خطاب
١٧	كلمة المؤلف عن الطبعة الثانية
٢٥	مقدمة الطبعة الأولى
٢٧	بدر
٢٧	الفصل الأول
٢٧	بدء الصراع بين الإسلام والوثنية
٢٨	تنظيم الحملات الدعائية ضد النبي صلى الله عليه وسلم
٢٩	يزلان مكة يجتمع
٣٠	منظمات التشويش
٣١	التهديد بالحرب الأهلية
٣٢	وفد قریش عند أبي طالب
٣٣	أبو طالب يرفض الأنداز
٣٤	قریش تسام الرسول شخصياً
٣٦	فشل خطة المساومة
٣٧	سياسة العزل الاجتماعي والمقاطعة الاقتصادية
٣٨	موافقة البرلمان على قرار المقاطعة
٣٩	تطور النزاع بعد المقاطعة
٤٠	دوام الحصار ثلاث سنوات
٤١	الغاء الحصار الآثم
٤٢	النبلاء الخمسة
٤٣	هذا أمر قضى بليل
٤٤	تمزيق الصحيفة وانتهاء المقاطعة
٤٥	الفصل الثاني
٤٥	التحول الحطير في الصراع
٤٦	أول لقاء بين النبي والأنصار
٤٨	بيعة العقبة الأولى
٤٩	سفير النبي في المدينة

٥٠	عودة السفير إلى مكة
٥٠	معاهدة العقبة الثانية
٥٢	بداية المحادثات وأول المتكلمين
٥٣	معاهدة حماية
٥٥	معاهدة غير مكتوبة
٥٥	النقباء الاثنا عشر
٥٦	الجاسوس الذي اكتشف المعاهدة
٥٧	استعداد الأنصار لضرب قريش في ذي
٥٧	قريش تتقدم باحتجاجها على المباينة
٥٨	تأكد خبر البيعة لدى قريش
٥٩	أسماء الطليعة المباركة من الأنصار
٥٩	عدد أبطال معاهدة العقبة
٦٠	من شهدا من الأوس
٦١	عدد الذين شهدوا العقبة من الخزرج
٦٦	المرأتان اللتان اشتركتا في المعاهدة
٦٦	أسماء النقباء الاثني عشر
٦٦	نقباء الخزرج
٦٧	نقباء الأوس
٦٧	الحادث العظيم
٦٨	هجرة المسلمين قبل النبي
٦٩	التطورات الخطيرة
٧٠	القرار الظالم
٧٠	جلسة تاريخية يعقدها برلمان مكة
٧١	منع أهل يثماة من حضور الجلسة
٧٣	الإجماع على قتل النبي
٧٣	تلويق منزل الرسول
٧٤	فشل المؤامرة ونجاح الهجرة
٧٦	كيف نجحت الهجرة
٧٧	كيف خرج النبي من مكة
٧٨	الاختفاء في الغار
٧٩	المطاردة
٧٩	مائة ناقة مكافأة
٨٠	يفتشون بيت الصديق
٨٠	المطاردون على باب الغار
٨١	الاجظة المحرقة في تاريخ الإنسانية

٨١
٨٢
٨٣
٨٤
٨٥
٨٥
٨٦
٨٧
٨٨
٨٨
٨٩
٩١
٩١
٩٢
٩٣
٩٤
٩٥
٩٦
٩٦
٩٧
٩٨
٩٩
٩٩
١٠٣
١٠٤
١٠٦
١٠٧
١١١
١١٢
١١٢
١١٥
١١٥
١١٦
١١٧
١١٨

إن الله معنا
أيام الفار الثلاث
الذي يستأنف سيره إلى يثرب
ذات النطاقين
الطريق إلى المدينة
الفارس المطارد سراقه بن مالك
أراد قتله فأخذ منه الأمان
كيف دخل الرسول المدينة
اليوم التاريخي في المدينة
أول مسجد في المدينة
الذي في المدينة
الفصل الثالث
المجتمع الجديد
بناء المسجد النبوي
أول خطبة للرسول بالمدينة
مؤتمر المؤاخاه بين المسلمين
يعرض عليه نصف ماله
أهم دعائم المجتمع الجديد
الأنصار في الميزان الحربي
غير المسلمين في يثرب
تكمال المجتمع الإسلامي
التشريعات للمجتمع
متاعب العهد الجديد
محاولة الدس والفرقة
مثال من دسائس اليهود والمنافقين
وكر الدس والتآمر
طرد المنافقين من المسجد النبوي
الفصل الرابع
النشاط العسكري قبل معركة بدر
دورية المسلمين قبل المعركة
القتال في الشهر الحرام
موقف خرج
بعد التطور التشريعي في القتال
تجارة مكة في خطر
معركة بدر

١١٨	أسباب المعركة
١١٩	خروج النبي للاستيلاء على القافلة
١٢٠	منطلق غريب
١٢١	الحملة تتحرك
١٢٢	أمير على المدينة
١٢٣	توزيع القيادات
١٢٤	بلج قوة جيش المدينة
١٢٥	لا فرق بين قائد وجندي
١٢٥	الاستخبارات النبوية
١٢٧	الطريق إلى بدر
١٢٨	استجداء أبي سفيان بمكة
١٢٨	التدبير في مكة
١٢٩	مشكلة قبائل بني بكر من كنانة
١٣٠	جيش مكة يتحرك
١٣٠	الممولون لجيش مكة
١٣١	ساعة سرية
١٣٢	جيش مكة ونجاة المير
١٣٣	أول انشقاق في جيش مكة
١٣٣	اجعلوا جنبها بي
١٣٤	حرج موقف المسلمين
١٣٥	المجلس العسكري الأعلى
١٣٥	خطورة الموقف
١٣٦	إجماع القادة على ملاقاته جيش مكة
١٣٧	الكلمة الأخيرة للأَنْصار
١٣٨	إلى المعركة
١٣٩	النبي في سلاح الاستكشاف
١٤٠	الحصول على أهم المعلومات عن جيش مكة
١٤١	نموذج من الشورى الصحيحة
١٤٢	الكشافة في جيش العدو
١٤٣	البلايا تحمل المنايا
١٤٥	الانشقاق الثاني في جيش مكة
١٤٥	أنت كبير قرين وسيدها
١٤٦	هبة يخطب في جيش مكة
١٤٦	راكب الجمل الأحمر
١٤٧	نورة أبو جهل

١٤٨	المقد الأسود
١٤٨	أبو جهل والأخنس بن شريق
١٤٨	لا في المير ولا في النفير
١٤٩	أبو جهل يمجل بالمركة
١٥٠	ابن الحضرمي يشعل الفتيل
١٥٠	الأمر الواقع
١٥٠	حرس قيادة الرسول
١٥١	مقر قيادة الرسول
١٥٢	دعاء أبي جهل قبيل المركة
١٥٢	الرسول يخطب في جيشه قبل المركة
١٥٣	تقديم الرسول نفسه للقصاص
١٥٣	ساعة الصفر
١٥٤	أول وقود المركة
١٥٦	تصادع الأسرة بين الصمين
١٥٧	البداية السيئة
١٥٧	المجروح المأم
١٥٧	المسلمون في موقف الدفاع
١٥٨	المجروح المضاد
١٥٩	الزبي في المركة
١٦٠	المزينة الساحقة
١٦٠	صود أبو جهل وعناده
١٦١	مصرع أبي جهل
١٦٢	قاتل أبي جهل
١٦٣	حملة أبي جهل
١٦٣	الأسرى من بني هاشم
١٦٤	الابن يقاتل أباه
١٦٥	الاعتراف بالجميل لنير المسلم
١٦٥	مقتل أبي البحتري
١٦٦	انتهاء المركة ورأس أبي جهل
١٦٧	لقد ارتقيت مرتقاً صعباً
١٦٧	نروعن هذه الأمة
١٦٨	القتل في القليب والأسرى في القيود
١٦٨	نموذج رائع للشباب المؤمن
١٦٩	ابن الخطاب يقتل خاله
١٦٩	أين دعاة النصرية

١٧٠	...
١٧١	...
١٧٣	...
١٧٣	...
١٧٣	...
١٧٥	...
١٧٧	...
١٨٤	...
١٨٩	...
١٨٩	...
١٩٥	...
١٩٩	...
٢٠٨	...
٢١٢	...
٢١٥	...
٢١٥	...
٢١٦	...
٢١٦	...
٢١٧	...
٢١٩	...
٢٢٠	...
٢٢١	...
٢٢٣	...
٢٢٤	...
٢٢٤	...
٢٢٥	...
٢٢٦	...
٢٢٧	...
٢٢٧	...
٢٢٨	...
٢٢٩	...
٢٣١	...
٢٣٢	...
٢٣٣	...
٢٣٣	...

شد يدك به

ما قال الرسول لأهل القليب

الفصل الخامس

مخلفات المعركة

① قتل الفريقين في المعركة

عدد شهداء الأنصار وأسمائهم

عدد قتل المشركين وأسمائهم

أسماء المشركين وأسمائهم

أسماء من شهد بدرًا من المسلمين

البديون من المهاجرين

أسماء البديين من الأنصار

أسماء البديين من الخزرج

حديث القرآن عن المعركة

الفرار من الزحف

الفصل السادس

الحلاف حول الغنائم

عودة الجيش إلى المدينة

قتل النصر بن الحارث

قتل عقبة بن أبي معيط

مجرمو الحرب

وفود التهينة

كيف تلقت المدينة أبناء النصر

ملائع الجيش المنتصر

الرسول المنتصر يدخل المدينة

معاملة الأسرى

الاختلاف حول مصير الأسرى

القرار الأخير

آية العتاب بشأن الأسرى

كيف تلقت مكة نبأ هزيمة جيشها

أسألوه أن كان يعقل

وقع المزيمة على نفس أبي لهب

منع النياحة على قتل بدر

أتبكي أن يفضل لها بغير ؟

فداء الأسرى

كيف فدىه العباس بن عبد المطلب نفسه

٢٣٤	...
٢٣٥	...
٢٣٦	...
٢٣٧	...
٢٣٨	...
٢٣٨	...
٢٣٩	...
٢٤٠	...
٢٤١	...
٢٤٢	...
٢٤٣	...
٢٤٣	...
٢٤٤	...
٢٤٥	...
٢٤٦	...
٢٤٦	...
٢٤٨	...
٢٤٨	...
٢٤٩	...
٢٥٢	...
٢٥٢	...
٢٧٤	...
٢٨٩	...
٢٩٢	...
٣١٧	...

زينب بنت الرسول وزوجها الأسير
الزعر ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً
إن كنتم غصباً فاغضبوا على أنفسكم
أثر المعركة على سكان الجزيرة
مكة بعد الحزيمة
الموقف في المدينة بعد المعركة
اليهود بعد المعركة
المعاهدة بين النبي واليهود
مخالفة اليهود لنصوص المعاهدة
موقف الأعراب بعد المعركة
إحاطة الأخطار بالمسلمين
مؤامرة لاغتيال النبي
بطل المؤامرة
فشل المؤامرة
احلوزا عليه من هذا الخبيث
كيف أسلم بطل المؤامرة
فطرة وتحليل
معركة عفوية
غير ذات الشوكة
أسباب النصر الظاهرية
مجدد الأسباب
خاتمة ورجاء
أهم مراجع هذا الكتاب
فهرس الأعلام
فهرس الموضوعات

